ثـــقـــافة الـــهـــنـــد

مجلة علمية ثقافية ، جامعة، فصلية

المـجـلد ٥٥، الـعـدد ٤

٢٠٠٤

مدير التحرير التنفيذي

د. رضـوان الـرحـمن



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

نيو دلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الأسبانية "Papelcs dc la India" و في الهندية "Gagananchal" و كلها يصدر أربع مرات في السنة.

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها و طبعها السيد راكيش كومار المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية - أزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

طبعت في مطبعة شيبرا ، دلهي- ١١٠٠٩٢

ثـقـافـة الـهـنـد

المجلد ٥٥ ، العدد ٤، ٢٠٠٤ م

في هذا العدد

كلمة التحرير

هذا العدد يحتوي على موضوعات شتى تتراوح بين الدراسات الإسلامية و الأدب وغيرها من عناصر حيوية لثقافة الهند. كذلك تتناول المجلة شخصيات بارزة و مواقع تاريخية و أيضا يحمل قصة قصيرة من الهند و استعراض كتاب و أخبارا علمية.

يناقش الدكتور جلال السعيد الحفناوي فى "رحلات الحج الهندية الى مكة المكرمة و أثرها في مسلمي شبه القارة الهندية" مفهوم الرحلة من حيث اللغة و مدلولاتها الأخرى المستعملة في مختلف اللغات. وبعد ذلك يعالج مفهوم و أهمية الرحلة إلى مكة المكرمة لدى المسلمين الهنود. و قد ذكر فيها الدكتور الحفناوي أسبابا و دوافع خلف ضبط المعلومات عن الحج والأخطار التى حملتهم على هذا الأمر المهم وأيضا يقيّم المؤلف هذه الرحلات من حيث الفن. إن هذه الرحلات التي سجّلها الحجّاج الكرام لاتحمل معلومات عن الطرق إلى مكة المكرمة و مناهج أداء فريضة الحج فحسب بل هى تحتوي على تاريخ مفصل عن البلدان العربية ولا سيما تلك التي كانت تقع على السبيل الى مكة المكرمة و المدينة المنورة و من هذا الجانب تزداد أهمية هذه الرحلات بما أنها مذكرات عن أحوال مكة و المدينة و أهاليهما.

كلمة التحرير

و الدكتور زبير أحمد يتناول قضية ورود العرب في ولاية تاميل نادو و بروز الاسلام فيها. و هذه المقالة تتحدّث عن تاريخ مجيء العرب و الإسلام إلى الهند بجانب نوعية الاحتكاكات التي وقعت بين الهند و الدول العربية فالمقالة تهتم من ناحية احتوائها على تاريخ قيام العلاقات بين الهند و العرب. و الأستاذ الدكتور إحسان الرحمن في بحثه حول مساهمات الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر في ترجمة النصوص السنسكريتية و الفارسية يلقي أضواء على ما أعانه الإمبراطور في تطوير فن الترجمة و نقل المعارف للذين ما كانوا قادرين على فهم اللغات المختلفة و كانوا في حاجة الى معرفة الديانات الأخرى. و ذكر الأستاذ ضمن ما تمّت ترجمته من الكتب راماياتا و مهابهارتا و كتاب الحيوان و نل و دمن و هذه الكتب مهمة عن جهة الدين والأدب. و الشئ المهم الذي جاء تحقيقه في هذه المقالة هو معرفة أكبر لأمهات الكتب آنذاك فقد أثبت المؤلف أنّ أكبر كان عارفا بالعلوم بجانب براعته في الترجمة و من ثم فنّد الذين يقولون إنه كان جاهلا لا يدري القراءة و الكتابة.

و مقالة الأستاذ بدر جمال الإصلاحي عن شخصية حالي وإجادته في اللغة العربية مهمة للغاية فقد كنا نعرف أن حالي كان شاعرا للأردوية و ناقدا فيها و لم يكن يعرف اللغة العربية خير معرفة و أما قرضه الشعر فكنا على جهل عنه و لكن هذه المقالة المهمة بهتتنا فأثبت فيها الأستاذ الإصلاحي أن حالي لم يكن

شاعرا أرديا و ناقدا ماهرا فحسب بل كان شاعرا عربيا و شعره دليل على تضلعه من اللغة العربية و نبوغه في مجال الشعر و تجدر المقالة بأن يستفيد منها القراء.

و الدكتور شوبهانكار بانارجي قد رفع قضية المرأة الهندية و كفاحها في الموكب الوطني و العالمي على السواء فلفت الدكتور من خلال مقالته أنظار الناس إلى أهمية المرأة التي هى نصف الرجل أو جزء منه فينبغي لنا ألا نغفل عنها بل نعتني بها عناية بالغة و نربيها تربية حسنة كى نجعلها صالحة للقيام بمسئوليات التجارة و الوظائف المتعددة بجانب تحمل مسئوليات البيت فانها ربة البيت و مدرّبة الجيل القادم.

و مقالة الدكتور سيد غلام نبي وحيدة من نوعها فهى تنطق عن مساهمة الأدباء الهنود في تطوير الصحافة الفارسية في بلادهم فقد لعب الهنود دورا بارزا في تطوير هذه اللغة في بلادهم و أثبتوا بأنّ اللغة ليست بتراث لأى بلد بل هى ترحب بمن تأخذها ويقبلها قبولا حسنا. هذه المقالة دراسة مشبعة لتطور الصحافة الفارسية في الهند. و كذلك مقالة الدكتور أشفاق أحمد تلقي الضوء على الجانب الثقافي و التجاري لمنطقة شمال شرق الهند. لعبت هذه المنطقة دورا قياديا في إثراء الثقافة الهندية و رفع مستوى تجارتها مع الدول العربية و من هذه الجهة تحمل المنطقة أهمية لا تحمل مثلها أي

منطقة من مناطق الهند. و تُنشر في هذا العدد قصة قصيرة كتبها القاص الهندي المعاصر الكبير، أكيليش، وعالج فيها قضايا المجتمع الهندي.

نأمل أن المحتويات الأخرى لهذا العدد ايضا تعجبكم وتفيدكم ونرجو الحصول على تعليقاتكم لتحسين مستوى مجلتكم.

وشكراً

د. رضوان الرحمن*



* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية

- د. جلال السعيد الحفناوي*

رحلات الحج إلى مكة المكرمة من الموضوعات التي احتلت مكاناً بارزاً عند المسلمين و أنتجت الشعوب الإسلامية أدباً وفيراً في هذا الفن بالعربية و الفارسية و التركية و الأردية و غيرها من اللغات الإسلامية ، و قد تفوّق المسلمون على غيرهم من الشعوب في هذا الفن الذي نشأ في حضن الحضارة الإسلامية، و صار يعرف بالرحلات الحجازية و سرعان ما اشتد عوده و تكونت ملامحه و تأصلت أصوله و قواعده و ظهر فيه عدد وفير من هذه الرحلات التي يصعب على المرء أن يحصيها عددا لأن أهم بواعث الرحلة و أعظمها شأنا عند المسلمين هي تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

وظلت مكة المكرمة هي الملاذ الآمن للشعوب الإسلامية عامة و لمسلمي الهند خاصة و القبلة التي يتجهون إليها كل يوم

---

* أستاذ مساعد، جامعة القاهرة،مصر

خمس مرات ، و مكة المكرمة هي محط أنظار الهنود و منتهى آمالهم أن يشدّوا الرحال إليها ليعبوا من فيض علمها الوافر حيث كان الحرم المكي ولا يزال جامعة إسلامية مفتوحة لعلماء العالم الإسلامي عامة و لعلماء شبه القارة الهندية خاصة ، و الملاذ الآمن لهم فهاجروا إلى مكة المكرمة و عاشوا فيها مجاورين و ألفوا و أبدعوا بتأثير عبقرية المكان وقد أفادت الهند من هذه المؤلفات في تغيير وجهها الحضاري ، و هذا ما يؤكد على عالمية مكة المكرمة و أنها عاصمة الثقافة الإسلامية في الماضي و الحاضر و المستقبل.

كانت زيارة الحرم الشريف في مكة المكرمة من العوامل المهمة التي مهّدت الطريق لظهور رحلات الحج الهندية في الأدب الأردي في القرنين التاسع عشر و العشرين . و تعددت هذه الرحلات حتى تعدت عدة مئات و قد كتبت باللغتين الفارسية و الأردية ، و قد ظهرت دراسات عديدة في الآداب الإسلامية.[1] أكدت على انفراد اللغة الأردية بهذا الكم الهائل من الرحلات إلى مكة المكرمة و هذه الرحلات تحتاج إلى هيئة علمية كاملة لدراستها و تحليل مضمونها.

كتب الرحالة الهنود رحلاتهم باللغة الأردية و عبروا فيها عن مشاعرهم الجارفة نحو هذه البقاع المقدسة، و اهتموا بذكر التفاصيل الدقيقة عن تاريخ مكة المكرمة، و كذلك العادات و التقاليد

و المناسك و الطرق و الجغرافيا و التركيبة السكانية، و كذلك الجوانب السياسية و الاجتماعية و الروحية، و صوّروا حلقات الدرس في الحرمين الشريفين و المهاجرين و المجاورين من العلماء من شتى بقاع العالم الإسلامي بشكل عام و علماء الهند بشكل خاص، و نتيجة لذلك ظهر في الأدب الأردي فرع أدبي خاص بالرحلة إلى الحرمين الشريفين يسمى "أدب الرحلات الحجازية".

و لقد استمدت الحركات التحررية و النهضة العلمية و البعث الإسلامي في الهند العونَ من العلماء- الذين كانوا يعيشون في مكة المكرمة، و كان لهم هدفان ، هدف ديني يتعلق بتعلم العلوم الشرعية، و هدف تحرري وهو استنهاض الهمم لطرد المستعمر الإنجليزي.

و يمكن القول بأن كثيراً من حركات الإصلاح الديني التي قامت في شبه القارة الهندية كانت متأثرة بما يدور في مكة المكرمة التي ضمت بين أكتافها جماعة كبيرة من العلماء الذين كانوا يتعلمون العلوم الشرعية و الفقهية في الحرم المكي لنيل الإجازة في العلوم الدينية من علماء مكة التي هي منتهى أمل جميع علماء الهند الذين سعوا حثيثاً للحصول عليها كي تصبح لهم مكانة مرموقة و بارزة بين أقرانهم من العلماء في الهند بعد عودتهم إليها، و لم يكن يعترف في الهند بعالم في الحديث أو في تفسير القرآن و الفقه ما لم يكن قد قرأ على أحد علماء مكة و أخذ منهم الإجازة بذلك.

و تعتبر كتابات الرحالة الهنود عن مكة المكرمة مصدراً مهماً من المصادر التاريخية ، و مادة علمية رصينة يمكن أن تساعدنا في التعرف على كثير من الجوانب المهمة في تاريخ مكة المكرمة و تأثيرها في مسلمي شبه القارة الهندية لأن هذه المنطقة الحيوية من العالم تمثل نقطة جذب مهمة للآسيويين بصفة عامة ولمسلمي شبه القارة الهندية بصفة خاصة.

و سوف أتناول في بحثي هذا رحلات الحج الهندية التي قام بها رحّالة مسلمون من الهند و باكستان متتبعاً هذه الرحلات من الناحية التاريخية منذ البدايات الأولى لهذا الفن و حتى العصر الحديث و مقدماً لنماذج من الرحلات القديمة و الحديثة و سوف أسبق ذلك بمقدمة و تمهيد أتناول فيه مفهوم الرحلة و دواعيها و المعنى اللغوي لها في التراث الإسلامي و الأسباب التي حدت بالرحالة الهنود للقيام برحلات الحج طلباً لأداء الفريضة، و طلب العلم، و الهجرة إلى الله ، و المجاورة و طلب الإجازات العلمية و التي تعد أرفع الإجازات شأناً لدى مسلمي شبه القارة الهندية. و سأركز في بحثي على وصف الرحلة و دقة المعلومات التي ذكرها أدباء الأردية و مساجلات العلماء ، و الوصف الدقيق لمكة المكرمة و أثر هذه الرحلات في مسلمي شبه القارة الهندية، و مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية، و أذكر في نهاية البحث خاتمة بالنتائج و أهم رحلات الحج الهندية التي يوصي البحث بترجمتها إلى اللغة العربية و تحليل مضمونها و التي تُعدُّ وثائق

تاريخية و اجتماعية مهمة لدراسة الأوضاع السياسية و الثقافية و العلمية لمكة المكرمة خلال القرنين التاسع عشر و العشرين. و يتكون البحث من ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة :

التطور التاريخي لرحلات الحج الهندية ، (ب) الاتجاهات الفكرية.

المبحث الثاني : نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة.

الرحلات القديمة. (ب) الرحلات الحديثة. (ج) الرحلات النسائية.

(د) الرحلات الشعرية. (هـ) الرحلات الخيالية. (و) رحلات الحج للأطفال.

المبحث الثالث : أثر رحلات الحج الهندية في مسلمي شبه القارة الهندية.

مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية.

أثر رحلات الحج الهندية في العلماء و حركات الإصلاح و التحرير الهندية.

و أختم البحث بالنتائج التي توصل إليها البحث.

الرحلة في التراث العربي الإسلامي

السفر كلمة عربية معناها في المعاجم السياحة و الترحال و الرحيل. و الرحلة لغوياً من يرحل رحلاً و رحيلاً و ترحالاً. و رحّله من بلده أخرجه منها. و ارتحل القوم انتقلوا و الراحلة الناقة الصالحة لأن تركب. و الرحل أيضاً ما يستصحبه المسافرون من الأوعية و جمعه رحال. و الرحلة الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رحلتنا، و هو عالم رحلة أي يرحل إليه.[٢]

والحج من أهم بواعث الرحلة و أعظمها شاناً عند المسلمين – إلى جانب السعي في طلب العلم و الاستفادة من العلماء والحج كان من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق و على كل ضامر إلى الرحلة و الانتقال ، فالحج كان ولا يزال أهم رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس و ليس علماؤهم أو فقهاؤهم فقط، و نتيجة ذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية شعبية و تحكي لنا كتب التاريخ و مذكرات الرحالة أنفسهم أن العديد من الحكام و السلاطين قد أقاموا على الطريق الكثير من المنشآت لخدمة الحجاج و عهدوا إلى الجنود تأمين طرق الحج و حماية سالكيه.[٣]

و رحلات الحج من الفنون الأدبية القديمة في الآداب الإسلامية و لا يخلو منها أدب إسلامي، و إن كانت أعدادها تتفاوت من أدب أمة إسلامية إلى أخرى، و من أقدم الرحلات العربية التي

ورد فيها بيان الحج رحلة أبي عبد الله المقدسي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" و رحلة أبي القاسم البغدادي "المسالك و الممالك ". و تعد رحلة حكيم ناصر خسرو هي بداية رحلات الحج في اللغة الفارسية حيث سافر ناصر خسرو للحج عام ٤٣٧ هـ: ١٠٤٥ م و قضى نحو ثمانية أعوام في رحلته أدى فيها فريضة الحج وطاف بلاد العالم الإسلامي فزار مصر و القدس و الشام و تعد رحلته" زاد المسافرين" مرآة صادقة لمشاعره عند رؤية مكة المكرمة و بيت المحبوب و هذه الرحلة من أهم رحلات الحج إلى مكة المكرمة في الأدب الفارسي.[٤]

و من رحلات الحج القديمة في العربية "رحلة ابن بطوطة" (٧٠٣ ـ ٧٧٩ هـ : ١٣٠٤ ـ م١٣٧٧) و لها أهمية كبيرة بين الرحلات القديمة ، فابن بطوطة رحالة بالفطرة طاف العالم و أمضى ثمانية و عشرين عاماً في الترحال و نال شرف الحج أربع مرات و تحتل تجربة الحج و مشاهدة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و وصفها حيزاً كبيراً في رحلته.[٥]

ولعل أهم أسباب الرحلة وأعظمها شأناً عند المسلمين تادية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي- صلى الله عليه و سلم- و قد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم وكذا الطرق والدروب التي مروا بها وسلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب

الرحلة وليس من شك في أن مدونات من شاهد الرؤيا أصدق قيلاً وأقوى تأثيراً ممن سمع أو قرأ أواستنبط، وكان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلاً عن تأدية الفريضة،فوائد جمة منها الالتقاء بمعظم علماء وفقهاء العالم الإسلامي، ومنها المجاورة ثم التجارة التي يجني من ورائها النفع والكسب المادي (ليشهدوا منافع لهم).[٦]

وتعتبر رحلة النواب صديق حسن خان القنوجي بعنوان "رحلة الصديق إلى البيت العتيق" التي قام بها سنة ١٢٨٥ هـ: ١٨٦٨م أول رحلة في الأدب الأردي في رأي بعض النقاد[٧].

والمقصود هنا أول رحلة تصدر في كتاب منفصل بهذا الشكل الواضح، و العجيب أن آلاف الحجاج سافروا إلى الأراضي المقدسة من شبه القارة الهندية، ورغم هذا لم توجد رحلة كتبت حتى عام ١٢٨٥هـ:١٨٦٨م، وربما كتبت بعض الرحلات وفقدت إلا أنه من الواضح أن هذا النمط الأدبي في شبه القارة الهندية بدأ أولاً عبر اللغة الفارسية على يد الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي "جذب القلوب إلى ديار المحبوب" عام ٩٩٧هـ:١٥٨٩م، والشاه ولي الله الدهلوي "فيوض الحرمين" ١١٦١هـ : ١٧٤٨م، والشاه رفيع الدين "سوانح الحرمين الشريفين" ١٢٠١ هـ : ١٧٨٩م [٨].

المبحث الأول : رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة

لا يُعَدّ الحج مجردَ سفر أرضي يطوي فيه الحاج المسافات و البلاد فحسب ، بل إنه سفر مبني على علاقة قلبية عميقة وحب

للإسلام و رسول الإسلام، ومن ثم يصبح هذا السفر مرآة لواردات الروح علاوة على مشاعر النفس و مشاهدات النظر، و رحلة الحج توقظ في الحاج مشاعر كانت دفينة في قلبه و روحه ففي هذه الرحلة رؤية للديار المقدسة و أرض التمني.

و رحلة الحج مختلفة عن أي رحلات أخرى من حيث الكيف فالحج فريضة دينية و زيارة الحاج لديار المحبوب يتوافر فيها الهدف من أداء الفرض و لهذا السبب يتغلب عنصر الشوق و الرغبة في هذه الرحلة على ما سواها من أمور.

و في رحلة الحج لا يبحث الحاج عن أرض جديدة بل يرى هذه الأرض بعينيه تلك الأرض التي كان يراها بعينه الباطنة من قبل، ففي رحلات الحج لا تذكر بلاد و أمصار جديدة بل إن كل كاتب رحلة يعبر عن مشاهدات موجودة في وجدانه ، و لهذا فإن الأماكن المقدسة تذكر بأعداد لا تحصى في هذه الرحلات و لكلٍ طريقتُه الفريدة في تقديم صورة هذه الأماكن المقدسة تلك الصورة التي تخيلها لها من قبل، و لهذا تنوعت تلك الصور و ظهرت بمظهر جديد و مختلف في كل مرة تبعاً لاختلاف التجارب الروحانية ، فكل كاتب رحلة لا يقدم الحقائق التي يشاهدها فحسب ، بل يقدم ما تموج به روحه من مشاهد و حقائق و في هذه التجربة تحتل مشاعره أهمية كبيرة فيها.

إن كتابة رحلات الحج أمر موغل في القدم و يمكن القول بأنها بدأت منذ حجة الوداع ، و في بداية الأمر كان الحجيج في

الغالب يعبرون عن واردات قلوبهم مشافهة و ظهرت منذ ذلك الوقت علاقة إيمانية قوية بينهم و بين هذه الأماكن المقدسة و أخذت هذه الرابطة القلبية تزداد قوة و إحكاماً ، و لأن هذه الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة تقع على مسافة بعيدة من شبه القارة الهندية و لم تتيسر وسائل السفر المناسبة لها حتى أواخر القرن التاسع عشر لذا فقد حظي عدد قليل من الناس المحظوظين بنيل تلك السعادة بالسفر إلى مكة المكرمة ، وكانت نار الشوق تتأجج في قلوب سكان شبه القارة الهندية لزيارة أرض الحجاز ، و قد كتبت رحلات الحج الهندية بعد أن حصل أولئك الحجاج على ثمرات السعادة بعد حجهم إلى مكة المكرمة حيث تبدل الهجر بالوصال ، و بدأ حجاج القارة الهندية في كتابة تجاربهم في الحج ليستفيد منها إخوانها الذين سيتوافدون على الحج من بعدهم [٩].

و تعد رحلات الحج إلى مكة المكرمة فرعاً جديداً من أدب الرحلات ، و قد ظهر في الأدب الأردي فرع أدبي خاص بالرحلة إلى الحرمين الشريفين يسمى "أدب الرحلات الحجازية"، و قد كتبت هذه الرحلات بأعداد هائلة من الصعب على الباحث أن يحصيها عدداً ، وطالما ظلت أفئدة المسلمين تهفوا إلى الأماكن المقدسة فسوف يخرج العديد و العديد من رحلات الحج إلى مكة المكرمة و سوف تستمر أقلام الكتاب في تدوين مشاهداتهم و انطباعاتهم عن هذه البقاع المقدسة إلى أن تقوم الساعة.

التطور التاريخي لرحلات الحج الهندية

١ ـ (رحلات الحج الهندية باللغة الفارسية)

تُعدُّ رحلة الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي المعروفة باسم "جذب القلوب إلى ديار المحبوب" ٩٩٧هـ:١٥٨٩م من أقدم رحلات الحج الهندية التي كتبت باللغة الفارسية في شبه القارة الهندية، و قام محمد شفيع المراد آبادي بترجمتها إلى الأردية بعنوان "ديار حبيب" [١٠].

و كان الشيخ عبد الحق قد حظي بشرف زيارة مكة المكرمة و بيت الله الحرام عام ٩٩٧ هـ : ١٥٨٩م و قد كتبت رحلات الحج الأولى باللغة الفارسية لغة العلم و الأدب آنذاك و لغة الحكام المسلمين في الهند و كان العامة و الخاصة يفهمونها بسهولة و ظلت اللغة الفارسية اللغة الرسمية في الهند إلى أن سيطر الإنجليز على حكم الهند بعد الثورة الهندية ١٨٥٧ م فشجعوا اللغة الأردية و فرضوها على سكان الهند بدلاً من الفارسية و قد ساهموا في تطويرها و تطوير النثر الأردي خاصة عندما أنشأوا كلية فورت وليم(Fort William College) في كولكاتا (Kolkota) سنة ١٨٠٠م.

و من الأمثلة المضيئة لرحلات الحج الهندية القديمة التي كتبت باللغة الفارسية رحلة "فيوض الحرمين" ١١٦١ هـ:١٧٢٨ م. و في هذه الرحلة قام الشاه ولي الله بتوضيح و شرح المسائل الفقهية و الأحاديث النبوية و الآيات القرآنية المتعلقة بالحج و الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة بطريقة علمية و ذكر

بوضوح أن هدفه لم يكن بيان صعوبات السفر بل إنه اتخذ من رحلته هذه وسيلة الإرشادات النبوية و التبليغ بها، و تعد هذه الرحلة وثيقة تاريخية مهمة لعلماء مكة المكرمة و المدينة المنورة في ذلك العصر.

و رغم تطور النثر الأردي في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي فقد ظلت رحلات الحج الهندية تكتب باللغة الفارسية و قد قام الحاج رفيع الدين الفاروقي المراد آبادي برحلة إلى مكة المكرمة أطلق عليها اسم "سوانح الحرمين الشريفين" ١٢٠١ هـ :١٧٨٩م وتعد من أقدم رحلات الحج الهندية التي كتبت في شبه القارة الهندية باللغة الفارسية بأسلوب أدبي راق، و ترجمها نسيم أحمد الفريدي الأمروهي إلى اللغة الأردية باسم "سفر نامه حجاز" أي الرحلة الحجازية و نشرت رحلة الحج هذه في مجلة "الفرقان"[١١] بلكناو في شهري مايو ويونيه ١٩٦١ م ولم تطبع هذه الرحلة في مكان ما، وتوجد نسخة من الرحلة في مكتبة البروفيسور خليق أحمد النظامي، كما توجد نسخة من هذه الرحلة في مكتبة رام بور وكتب عليها اسم رحلة "آداب الحرمين"وقد ذكرها الأمير صديق حسن خان القنوجي باسم"حالات الحرمين"[١٢].

و قد تلقى الحاج رفيع الدين الفاروقي المراد آبادي تعليمه على يد العالم المحدث الشاه ولي الله الدهلوي و نال الإجازة في علوم الحديث من المحدث السورتي مولانا خير الدين و سافر للحج في عام ١٧٨٧ م ليحصل على الإجازة في علم الحديث من علماء

مكـة المكـرمة و عـاد إلـى الهـند عـام ١٧٨٩م ، و رحلـة "سـوانح الحرميـن" رحلـة ذات قـيمة مـن الناحـية الحضـارية و الجغرافـية و التاريخية و يشعر القارئ من خلال الرحلة بالجانب التعبدي و محبة الرسول صلي الله عليه و سلم. و قد ركز الفاروقي بشكل خاص في رحلته على سيرة علماء و أدباء و مشايخ ذلك العهد بشكل مختصر، و سوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل في الصفحات القادمة كنموذج لرحلات الحج الهندية القديمة [١٣].

ثم قام النواب مصطفى خان شيفته بكتابة رحلته إلى مكة المكرمة "ترغيب السالك إلى أحسن الممالك" المعروفة بـ "راه آورد" باللغة الفارسية و هي جديرة بالثناء من الناحية الأدبية.

كان شيفته شاعراً فحلاً و ناقداً مفلقاً و كان عالماً بأمور الدين و قد توجه للحج في ذي الحجة ١٢٥٢ هـ : مارس ١٨٣٩ م، و عاد إلى الهند في ذي الحجة ١٢٥٤هـ:مارس ١٨٤١م و قد تناول شيفته في رحلته الأماكن المقدسة في مكة و المدينة و ذكر علماء مكة المكرمة و المدينة المنورة في ذلك العهد و منهم الشيخ عبد الله سراج، و الشيخ عثمان الدمياطي ، و أحمد الدمياطي ، و محمد المرزوقي، و الشيخ سيد عبد الله الميرغني، و سيد عثمان الميرغني و غيرهم من علماء السنة و الجماعة و السلف الصالح و ذلك على هيئة يوميات ثم نشرها على شكل رحلة متكاملة بعد عودته للهند و تتجلى في هذه الرحلة المظاهر الإيمانية التي عبر عنها شيفته

بأسلوب رصين سلس. و يبدو من النموذج التالي أن الشيخ كان يعتبر هذا الحج نعمة إلهية. يقول : "لا أستطيع أن أعبر عن الحالة الوجدانية التي غمرتني في الحرم المقدس ، و في هذه البقعة المباركة ، و قد استفسرت من أهل العلم عن معنى "ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة " لقد كرم الله تعالى هذا العبد الحقير بهذه النعمة التي سأظل طوال عمري أشكره عليها، إن حضوري إلى هنا نعمة منحني الله تعالى إياها، و هي نعمة كبيرة تفوق النعم. و الحمد لله ثم الحمد لله أنني وطأت هذه الأرض الطاهرة أرض المدينة المنورة [١٤] " و ترجمت هذه الرحلة إلى الأردية بعنوان "ماه منير" أي "القمر المنير".

٢ ـ رحلات الحج الهندية باللغة الأردية:

حتى الآن لم يتم الكشف عن كثير من رحلات الحج الهندية القديمة التي كتبت باللغة الأردية لأن هذا العمل يحتاج إلى فريق عمل ينقب في مكتبات الهند المختلفة، و خاصة مكتبات العلماء التي لم يتم مسحها و تسجيل ما بها من كنوز علمية و أدبية لأنها تحتاج إلى مال و رجال.

و لعل من أسباب تأخر ظهور أول رحلة كتبت بالأردية هو اعتبار اللغة الفارسية لغة الأدب و العلم، و إعطاءها أهمية تفوق أهمية الأردية و كان عامة الناس و خاصتهم يفهمون اللغة الفارسية بسهولة مما جعلهم يعتبرون كتب الرحلات المكتوبة بالفارسية عن

الأراضي المقدسة كتباً إرشادية تساعدهم على قضاء مناسك الحج. و ربما كان السبب أيضاً عدم مقدرة حجاج بيت الله آنذاك على التعبير باللغة الأردية عن أنفسهم و عن مشاعرهم ، و وصف مشاهداتهم بالأراضي المقدسة، و لهذا جاءت معظم كتب الرحلات الأولى كتباً إرشادية تبين صعوبات السفر و مخاطره، و قوافل الحجيج و تعرضها للنهب و السلب وعدم قدرة حكومة شريف مكة في تلك الفترة على حفظ النظام و الأمن وانهيار النظام الاقتصادي والحمد لله فقد عم الأمن والأمان في العهد السعودي .

و على الرغم من هذا فقد برع بعض كتاب الرحلة في تصوير مشاعرهم ، و لم يكتفوا فقط بذكر الحدود الجغرافية بل جالوا في التاريخ و عقدوا مقارنات بين الحاضر و الماضي، و حللوا و نقدوا و ركزوا على الاجتماع السياسي و الحالات الثقافية و الحضارية [١٥].

و حتى العصر المغولي لم تكن هناك رحلات حج بالأردية و كانت أول رحلة باللغة الأردية هي (رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق) و كتبها الأمير صديق حسن خان البهوبالي عام ١٢٦٨ هـ: ١٨٥١م، و تُعدّ هذه الرحلة طبقاً لأبحاث محمد أفضل فقير أول رحلات الحج الهندية باللغة الأردية [١٦]، و مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ظهركثيرمن رحلات الحج الهندية باللغة الأردية.

و تعد رحلة (ماه مغرب) أي القمر الغربي المعروفة بـ(كعبه نما) من رحلات الحج الهندية المبكرة وهي تأليف الحاج منصب علي خان عام ١٢٨٧ هـ: ١٨٧١م، و هذه الرحلة جديرة بالتقدير و الاهتمام لتقديمها معلومات مهمة عن صعوبات الرحلة، و مشكلاتها و كيفية حل هذه المشكلات بطريقة بسيطة و سهلة بحيث يمكن للحجاج الهنود بعد قراءة الرحلة أن يستفيدوا منها استفادة عظيمة، و مع أن هذه المعلومات سطحية فهي أساسية و: لا غنى عنها للحجاج الهنود و ثبتت مفيدة لجميع طبقات الحجاج، و مما يؤخذ عليها أن لغتها جافة و علمية و لا تخاطب الجماهير و هذه الرحلة أول رحلة باللغة الأردية تحتوي على معلومات مهمة عن كيفية السفر و العملات المالية المستعملة في كل من الهند وعدن و مكة المكرمة[١٧]. يقول: "عندما ينوي الحاج من الهند الذهاب للحج عليه أن يأخذ معه النقود التي تكفيه حتى بومباي فقط، و يشتري بالباقي أوراقا رسمية و لا يصطحب معه ذهبا أو دنانير أشرفية" [١٨].

ثم تأتي رحلة (زاد غريب) و هي رحلةَ حج هندية كتبها محمد عمران علي خان عام ١٨٨٠ م و قدّم فيها معلومات جغرافية و تاريخية مهمة عن الحجاز و مكة المكرمة خاصة، و لأن الرحلة من أوائل رحلات الحج إلى مكة المكرمة فقد كانت تفتقر إلى التأثير و المشاعر، و قد كتب الرحلة بأسلوب غريب جمع بين الأردية و الفارسية المهجورة و أسرف في استخدام الكلمات و التراكيب الفارسية. يقول عندما وصلت قافلة إلى ميناء رابغ : "وصلنا إلى

رابغ بعد الصلاة، و رابغ في المنزل الرابع، و هذا المنزل ثلاثة عشر ساعة، و هو قلعة مبنية على هيئة البرج حيث يقيم فيه جيش السلطان، و في القرية سوق و حدائق النخيل موجودة بكثرة"[١٩].

ثم تأتي رحلة "وكيل الغربا" لوزير حسين بريلوي و هذه الرحلة هي ثمرة تجربة حجه إلى مكة المكرمة عام ١٨٨١م، و كان هدفه من هذه الرحلة شرح مناسك الحج بالتفصيل حتى يستعين بها من يريد الذهاب للحج و اجتهد في تقديم المناسك و قدم خدمات جليلة للحجاج الذين سافروا بعده و تحدث عن مكة المكرمة و تاريخها و علاقة الهنود بها وفلها أهمية تاريخية لأنها من رحلات الحج الهندية الأولى[٢٠].

و كتب السيد كاظم حسين شيفته الكنتوري رحلته "حرمين شريفين" سنة ١٣٠٨هـ: ١٨٩٦م و التي تعد في عداد رحلات الحج الهندية و تتناغم في هذه الرحلة مشاعر القلب الصادق مع تقديم مشكلات السفر التي واجهته و أبدى شيفته مشاعر جارفة عند زيارته لمكة المكرمة حيث قدّم وصفاً دقيقاً للحرم المكي و أهل مكة، و تعد رحلته صورة صادقة و طبيعية للحياة الاجتماعية و الحضارية في العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. يقول عن أهل مكة :" و نساء مكة عامة يخرجن إلى الشارع وهن متبرقعات من رأسهن حتى أقدامهن، و أهل مكة أخلاقهم طيبة و حكماء و صادقون و متدينون، و يأتي إلى مكة كل يوم آلاف بدو

بجمالهم من جميع ضواحي مكة للبيع و الشراء ثم يعودون في الليل" [٢١].

و في سنة ١٣٠٤ هـ : ١٨٩٢م سافر مرزا عرفان علي بيك لأداء فريضة الحج و كتب رحلته "سفرنامه حجاز" حاول أن تكون رحلته صورة صادقة وقدم الأحداث على هيئة يوميات سنة ١٨٩٠ م و قد ركز على تسجيل الأحداث اليومية و لغة الرحلة سلسة و بسيطة وتحدث عن أحوال أهل مكة و استخدام الجمال في نقل الأمتعة و تحملها للعمل في ظروف جوية حارة و يصف نزول المطر في الحرم يقول : "كنا نجلس في المسجد الحرام منهمكين في الحديث فإذا بالسماء قد تغير لونها و تلبدت بالغيوم و تجمعت السحب وبدأ الرعد و البرق وظهرت آثار هطول المطر، و تعبق الهواء برائحة المطر المفاجئ الذي تحول إلى سيول فأسرع الناس ناحية "ميزاب الرجمة" و بدأوا في التجمع تحته و انطلقت مع الشيخ ناحية الحطيم فكنا نعبر بركاً صغيرة مليئة بالماء البارد" [٢٢].

ثم جاءت رحلة "زاد الزائرين " لمرزا قاسم بيك في وقت كانت تواجه الحاج صعوبات كثيرة في السفر و قد جمع مؤلف الرحلة معلومات مفيدة عن مكة والحرمين و أخلاق أهل مكة وأسواق مكة وبذلك تيسرّ لمن جاء بعده الكثير من الأمور الخاصة بالحج لكنه لم يكنْ لديه مقدرة كاملة على اللغة و لم يكن أسلوبه أدبياً لذا توارت المعلومات التاريخية و الجغرافية أمام نصائحه للزائرين وتحدث بالتفصيل عن المطوفين ونشرت الرحلة سنة ١٩٠١م [٢٣].

و في هذه الفترة كتب الشيخ سبحان الله الجوركهبوري رحلة "ميرا سفر حـج" أي رحلتي للحج و قد خصصت هذه الرحلة لمهنة الطوافة و المطوفين. ذكر كل شئ عن هذه الطائفة المؤثرة في الحج و نشرت سنة ١٩٠٣ [٢٤].

و اتسمت رحـلات الحـج الهندية إلـى مكـة المكـرمة فـي هذه الفترة بالتركيز على وصف مناسك الحج و ذكر المشاعر و الطرق إليها و بيان ذلك من وجهة نظر دينية معتمدين في ذلك على كتب الفقه و الحديث المتداولة في تلك الفترة.

كما اتسعت المساحة الجغرافية التي يتجول فيها الرحالة، و اتسعت المساحة التـي يعبر فيها أيضاً عن مشاعره و أحاسيسه مما يعطـي الـرحلة سمة أدبية واضحة إلـى حد ما، بل زادت العواطف أحيانا، و سيطرت علـى بعض الكتاب الأدباء، و بدأت الـرحلات الأرديـة تتناول موضوعات متنوعة مثل مناقشة الأمور المؤثرة في المـنطقة التـي يـزورها الكاتـب، و إبـداء وجهـات نظـر سياسـية، ومناقشـة موضـوعات العلاقات بين الدول. هذا بالإضافة إلى ظهور الـرحلة الرسـمية فقد قـدم بعض الـرحالة ضـمن وفـود رسـمية إلـى الجزيـرة العربية، و خاصـة بعد توحيدها علـى يد المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود.[٢٥]

و جـاءت رحـلـة "سفر نامه حجاز و مصر" تصويراً لمنطقة الحجـاز عـام ١٣٢١هـ ـ ١٩٠٤م، و تتقسم هذه الـرحلة إلـى خمسـة

أقسام يحتوي القسم الأول منها على نصائح و إرشادات عامة في السفر، و في القسم الثاني ذكر الأحداث و الصعوبات التي يصادفها الحاج من بومباي إلى جدة، و في القسم الثالث ذكر وقائع الرحلة البحرية من السويس حتى جدة، و خصّص الجزء الرابع للحج و مناسكه و الخامس تحدث فيه عن حياته و قدم صورة واقعية لمنطقة الحجاز في عصره سنة ١٩٠٣م حيث تحدث عن الحياة السياسية وأثر ذلك في مكة و المدينة و الحج و علاقة الأتراك بالبدو و شيوخ القوافل و طرقها، و تناول الأحداث بطريقة اليوميات و تعلو فيها نبرة الصدق.[٢٦]

و يصف الحاج أحمد حسين مكة و الحرم المكي فيذكر أبوابه المختلفة ثم يقول : " و يبلغ عدد خدام الحرم ستمائة و أربعين خادما من بينهم ثلاثمائة موظف ، و هم معينون من قبل السلطان و ثلاثمائة و أربعون يعملون في سبيل الله ، و يرأسهم علي سيد محمد الملقب بشيخ الحرم، و يتقاضى راتبا شهريا قدره ثلاثون جنيها، و قيمة جنيه اثنتا عشرة روبية هندية ، و في الحرم واحد و ستون مؤذنا... ومائة و سبعة عشر إماما منهم ستون حنفيا ، و سبعة عشر إماما مالكيا ، و عشرة أئمة من الحنابلة ، و الباقون من الشوافع ، وشيخ الشافعية هو الشيخ محمد سيد ، و شيخ المالكية هو المفتي محمد منصور ، و شيخ الحنابلة هو المفتي شيخ أحمد ، و شيخ الحنفية هو المفتي عبد الله بن صديق ، أما شيخ المؤذنين فهو سيد عبد الله و الشيخ الزرعة إمام حنفي و هو شيخ الخطبة ".[٢٧]

و يتناول الحاج أحمد حسين كل ما يتعلق بالحياة في مكة فيقول : " الفاكهة الطازجة كالرمان و التفاح و الخوخ و البطيخ والمشمش و غيرها و هي رخيصة جدا ، و يصل عين زبيدة الآن إلى كل شارع و إلى كل حارة في مكة المكرمة ، و تتجمع الماء في أماكن ، يحملها السقا لتصل إلى كل حي ، و نتيجة لكثرة الماء فالجو فيه رطوبة ، و المباني هنا جميلة جدا و تستحق مباني الحكومة ، و القلعة السلطانية، وقصور الشريف الزيارة و المشاهدة ، ويوجد في مكة موظفون حكوميون من الهند هاجروا و عاشوا هنا واستقروا بمكة حتى اليوم".[٢٨]

و تعد رحلة الحاج محمد لطيف المتشهلي شهري المعروفة باسم " السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف " من رحلات الحج الهندية القديمة حيث نال شرف الحج سنة ١٨٩١ م و نشرت رحلته في مطبعة مجتباى بلكناؤ في ١٣٢١ هـ : ١٩٠٤ م ، و لغة هذه الرحلة لغة قديمة قام محمد يسين شفق بتصحيحها و يمكن الاستفادة منها الآن ، و يتحدث لطيف عن مكة المكرمة و أسواقها و شوارعها فيذكر أنها ظليلة و رطبة و جميع الدكاكين تضاء بالفوانيس ليلا ، و وصف السوق الكبير وصفا دقيقا و ذكر أنه اشترى التنبل من تاجر اسمه محمد حسين.[٢٩]

و قام خطيب قادر بادشاه برحلة حج إلى مكة المكرمة عام ١٩٠٦ م و هي " سفر حجاز" دون أحداثها شعرا ونثرا و قدم

صورة رائعة لمكة و الحج تسحر القلوب و الألباب من جمالها. يقول : " في الوقت الذي وصلنا فيه إلى خيمتنا على جبل الرحمة كانت الشمس قد مالت للغروب و بدأ الحجيج يمتطون الجمال للخروج من عرفات فكانت مئات الآلاف من الجمال تغادر عرفات في وقت واحد ، و كذلك ازدحام المشاة مع أصوات لبيك اللهم لبيك من جانب ، و كان أصحاب الجمال من البدو يصيحون "الطريق الطريق " و أثارت القوافل المصرية و الشامية الغبار في الطريق ، و انطلقت مدافع دار المدفعية الحكومية ، هذا المنظر الساحر لا يستمتع به إلا الشخص الذي رآه بنفسه.[٣٠]

لقد كان الحصول على الجمال وسيلة السفر داخل الحجاز الشغل الشاغل لكل حاج لذا كثرت الشكوى من المطوفين في تلك الفترة ، و هذا ما نلاحظه في رحلة مولانا محمد حسين الإله آبادى " رحلة المسكين إلى البلد الأمين" و كان مريدا للحاج إمداد الله المهاجر المكي - و هو من المهاجرين الهنود الذين أقاموا في مكة و توفي فيها - و خليفته و كتب رحلة الحج هذه بلغة ولهانة مشتاقة تتقاطر حباً و عشقاً كما أبدى احتراماً و حباً لا حدود له للعرب لكنه انتقد المطوفين. يقول : " حصلنا على الجمال هذا العام في وقت متأخر جدا و لهذا السبب رحلنا من مكة وقت العصر و نزلنا إلى حدود منى عند المغرب و أقمنا صلاة العشاء في منى و كنا نريد أن نصلي الفجر هناك ثم نغادرها و لكن المطوفين لم يوافقوا على ذلك ، و لكنني صممت على القيام في

منى ثم توجهنا إلى عرفات في نهاية الليل ، و وصلنا إلى هناك قبل طلوع الشمس، وكان المطوفون يترددون دائما على الحجاج و لم يكن الحج ذاته هدفهم بل هدفهم جمع المال من الحجاج فقط ولهذا لا يحفلون كثيرا بالسنن و الشعائر المستحبة ".[٣١]

ومع مطلع القرن العشرين كتبت عدة رحلات و لكنها ركزت في الغالب على ذكر مناسك الحج، ومن هذه الرحلات رحلة " غنجه حج " أي أنوار الحج لمحمد مصباح الدين أحمد.[٣٢]

ورحلة حج "سفر الحرمين الشريفين " لخان بهادر عبد الرحيم النقشبندي " نسبة إلى مدينة نقشبند وهي رحلة طويلة تحتوي على ثلاثة أقسام كتبها عام ١٩١١ م تحدث فيها عن مناسك الحج و صعوبات السفر و الحياة في مكة و أسعار السلع و قدّم فيها النقشبندي نصائح غالية للحجاج و تعدّ من الرحلات القيمة التي قدّمت تفصيلات تاريخية عن مكة المكرمة و المدينة المنورة .

و في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣١١ هـ : ١٩١١ م قام الخواجه سيد حسن النظامى برحلة إلى مصر و فلسطين و الشام و الحجاز و سعى للتعرف على جميع ملامح الحياة و كل شيء في أرض الحجاز ديار المحبوب ، و رأى المدينة المنورة وقد اعتورته مشاعر وعواطف جياشة في المسجد النبوي.[٣٣]

و تشبه رحلة الخواجه سيد حسن النظامى الرحلة السابقة نظرا للتقارب بين صفات الكاتبين فالعاطفة قوية والمشاعر جياشة،

و قد صدرت الطبعة الثالثة في دلهي في عام ١٣٤١ هـ: فبراير ١٩٢٣م. يقول عند الحديث عن سكة حديد الحجاز:" قطارات سكة حديد الحجاز أصغر من قطارات الهند الكبيرة ، وأكبر من قطارات الخطوط الصغيرة ، وفيها درجتان فقط الأولى والثالثة ، ولا توجد في القطار عربة مخصصة للصلاة كما هو الحال في الهند ".[٣٤]

و عندما وصل إلى المدينة المنورة يقول : " لا تظهر عظمة حرم الرسول صلى الله عليه و سلم في الصور التي تطبع فهي تعرض فقط للصحن والأعمدة الخارجية والروضة المنورة، لكن إذا ما دخل الإنسان الحرم ، شاهده باتساعه الكبير و رحابته، فيمكن لخمسة و عشرين أو ثلاثين ألف مصل إقامة الصلاة في وقت واحد. لكن هناك التزام جدير بالثناء ، و هو الحفاظ على مكان المسجد الذي بني في زمن رسول الله كما هو بعينه ، وتحديد هذا المكان". [٣٥]

ثم يتحدث عن شيخ الحرم فيقول : " شيخ الحرم هذه الأيام شيخ تركي عجوز طيب العشرة ، التقيت به في لقاءات خاصة ، و تحدثت معه عن عدة قضايا مهمة تخص المسلمين . و قد بحثنا بشكل خاص حول مسألة الخلافة و كيفية اتخاذ حلول عملية لمثل هذه المسألة ، و قد أخبرته بأن الحكومة التركية لا تعمل شيئا من أجل الخلافة ، و من هنا عليه أن يحث الحكومة على أن تبدأ نشاطها في المدينة المنورة و مكة المكرمة ". [٣٦]

و ذكـر الخواجـه سـيد حسـن الـنظامى الـهـنود الذيـن يعيشون في المدينة المنورة فقال:" أما أهل الهند فحدث و لا حرج، فحيثما تطلعت وجدتهم، فجميع حراس بوابات الحرم النبوي من الهنود، ومن يقوم على شؤون السقاية و غيرها داخل الحرم من الهنود، وقد سمعت أيضا أن خدمة الحراسة في مكة المكرمة في يد الهنود. لقد سررت كثيرا بعد مشاهدة هذه الأمور، ألف ألف شكر لك إلهي، فأهلنا من الهنود وجدوا القبول على عتباتك ". [٣٧]

ثم بدأت رحلات الحج الهندية تتناول موضوعات سياسية ، و بدأ مجال اهتمام الرحالة يتسع و نموذج ذلك نجده عند شيخ الهند محمود الحسن في رحلته " سفرنامه شيخ الهند"، وهي رحلة ذات طابع سياسي، و قد كتبت هذه الرحلة عندما انتشرت الشائعات حول شيخ الهند بأنه سيهاجر من ديوبند إلى مكة المكرمة للعيش فيها بقية حياته وقد ألقي القبض عليه أثناء سفره و اعتقل في جزيرة مالطا، وقد قام مولانا سيد حسين أحمد المدني بتحرير هذه الرحلة، وهي شهادة حية على الصراع الذي دار بين شريف مكة والأتراك ولهذه الرحلة أهمية تاريخية وسياسية غير عادية. [٣٨]

قصد الشيخ محمود الحسن أرض الحرمين في شهر شوال سنة ١٣٣٣هـ : أغسطس ١٩١٥ م في زمان اشتدت فيه الحرب العالمية الأولى " وصل الشيخ إلى مكة المكرمة في الثامن و العشرين من شوال ، و نظرا لظروف الحرب العالمية و امتناع

الكثير من البلدان عن إرسال رعاياها للحج ، فقد قل عدد الحجاج ، لكن الحرم رغم كل هذا كان مزدحما . اختار الشيخ مطوفا يدعى "سيد أمين عاصم " و هو ممن ذاعت شهرتهم بين الحجاج ، و عرف عنه حسن الخلق و الشرف ، و كان عالما يرعى الأحكام الشرعية في أداء مناسك الحج ، و يقال إنه كان من الأثرياء في زمان الشريف علي ، إلا أن حالته ساءت فارتحل إلى الهند ".[٣٩]

و يصف الشيخ محمود الحسن سجن مكة فيقول : "ينقسم السجن إلى قسمين : قسم مدني و قسم غير مدني ، و القسم المدني يقع في منطقة الحميدية، و فيه يصرح للمعتقل بالالتقاء بمن يريد و يحضر له الناس الطعام، أما القسم الآخر فيقع بالقرب من بيت الشريف، و هو قبو مملوء بالسلالم التي تؤدي إلى "زنزانات" صغيرة مظلمة ، نهارها كليلها، و الدرجة الثانية في هذا القسم يطلق عليها" تخشيبة"، وعلى كل حال فهذا ليس بسجن بل هو نموذج لعذاب جهنم، وقد وضع الشيخ حسين أحمد مهاجر المدني الذي رافق شيخ الهند مولانا محمود الحسن في سجن الحميدية، فكان المطوف سيد أمين عاصم يأتي له بالطعام هناك".[٤٠]

و قد جاء في الرحلة أن الشيخ محمود الحسن رفض التوقيع على العريضة المقدمة له مما أثار الشريف فالتقى "بالكرنيل ولسن"(Colonel Wilson) المعتمد البريطاني الذي أصدر بدوره أمرا بالقبض على الشيخ محمود الحسن و من معه حكيم

نصرت حسين و سيد هاشم ، ثم إشعار الشيخ بما يلي: " حكومتكم (أي الحكومة البريطانية) تطلبكم ". و رد الشيخ نحن لا نعترف بأي حكومة كافرة هنا على أرض الحرم ، و نحن في مأمن ما دمنا في الحرم ، و لكن إذا كان الشريف نفسه يريد أن نخرج من هنا فسوف نذهب".

و كانت التهمة الموجهة للشيخ محمود الحسن هي رفضه التوقيع على العريضة أو الفتوى الموجهة ضد الأتراك.[٤١] وعليه تم حبس بعض رفاق الشيخ بتهمة الإساءة إلى الحكومة البريطانية ، كما تم اعتقال الشيخ محمود الحسن في ١٨ ربيع الأول ١٣٣٥ هـ: ١٢ يناير ١٩١٧م و نقل إلى مصر ومنها إلى مالطة .

و كتب محمد شريف الأمر تسرى رحلة " سفرنامه حج " عام ١٩٢٧ م ، و هذه الرحلة مثال على الرحلات المختصرة حيث تناول فيها تأثير السفر فيه من خلال زيارته للحرم و المسجد النبوي و قدم عدة نصائح للحجاج من خلال تجربته.[٤٢]

وجاءت رحلة "سفرنامه حجاز" أي الرحلة الحجازية ثمرة عظيمة لرحلة الحج التي قام بها محمد حفيظ الرحمن سنة ١٩٣٢ م، ومع أن هذه الرحلة تقليدية فإن ذوق العبودية وجمال العقيدة يتجليان منها بوضوح وبشكل كامل و قد أسهبت هذه الرحلة في وصف مكة و المدينة و الأماكن المقدسة في كل منهما.[٤٣]

و تعتبر رحلة " صراط الحميد " لاالياس البرني من رحلات الحج الهندية التي ألقت الضوء على العلاقة بين الأتراك و شريف مكة، و كانتله ثلاثة أهداف من الرحلة . أولا: تشويق المسلمين إلى الحج . ثانيا : التذكير بأحكام الحج و مناسكه ، ثالثا : التأثر بأحداث الرحلة بمجرد قراءتها. و قد نجح نجاحا منقطع النظير في أهدافه الثلاثة و يبرز في الرحلة الجانب السياسي بشكل واضح و قدم أحداثا رآها بعينيه عن الصراع بين الأتراك و شريف مكة و لهذا تعد رحلة " صراط الحميد" وثيقة تاريخية مهمة لأحداث عصره.[٤٤]

و قد ارتقى أسلوب رحلات الحج الهندية بالتدريج حتى وصل إلى مرحلة أبدع فيها الكاتب أدبا يستحق الاهتمام، وخاصة إذا كان الكاتب أديبا موهوبا مثل مولانا عبد الماجد الدريابادى الذي عبّر عن مشاعره وأحاسيسه نحو مكة المكرمة والمدينة المنورة وهو فقيه و محدث و مفكر و أديب و سياسي .

وعرض الدريابادى في رحلته مناسك الحج، ووقائعه بالإضافة إلى ما ينتاب الإنسان من عواطف وأحاسيس وكل هذا من خلال عرضه للتاريخ،كما شرح بعض القضايا الفقهية، وكان الرجل يدعو إلى ما فيه صالح المسلمين من الناحية السياسية حتى يعم الأمن ربوع البلاد كلها وهكذا جاء أسلوبه على مستوى عال.[٤٥]

يقول " أقلعت الباخرة "أكبر" في الحادية عشر مساء في يـوم الخميس ٦ شـوال الموافق ٢٨ مـارس ١٩٢٩ م مـن ميـناء بومباي، يا الله ياله من وقت بديع و يا لها من متعة حقة عندما تحركت الباخرة كأنها القيامة ,كيف أصف حركة دقات قلبي ، إن الشوق إلى زيارة بيت الله يجعل كل مؤمن و مؤمنة سكران بهذه النشوة و لا يعبأ بأي مشقة أو تعب في سبيل هذا الهدف". [٤٦]

و عندما وصل عبد الماجد الدريابادى إلى مكة المكرمة وبيت الله الحرام وقعت عيناه على الكعبة فيصف هذا المشهد المهيب الذي يرى فيه بيت الله لأول مرة فيقول : " و ظهر لنا المسجد الحرام بحوائطه الأربعة ، و قد تجاوزنا عدة أبواب من أبوابه حتى وصلنا إلى باب السلام و دلفنا منه حيث يعتقد أنه أفضل أبواب بيت الله الحرام للدخول منه فما أن يدخل المرء إلى هذه الأرض الطاهرة و هذه البقعة من النور حيث الصلاة الواحدة فيها تعادل مائة ألف صلاة، دخلت إليه و عندما وقعت عيني على ذلك المبنى المغطى بستارة سوداء لم يتسع لذلك الخيال من الأرض و حتى السماء و العرش و الكرسي فقلت بصوت عال: " بيتنا" فالعين البشرية و البصيرة الإنسانية لا تتحملان حرارة الأنوار و التجليات !! الله الله أي حسن و جمال، أي طلاوة و فتنة، أي جاذبية و جلال الله أكبر أي بيت أمامنا ؟ العيون حيرى و هي تتنقل بين جنباته أهذا البيت الذي قيل فيه: " إن بيت الله كان أول بيت يذكر

فيه اسمه" فهو أول بيت للعبادة على وجه الأرض لم يعمر في قرن أو قرنين و لم يبن في ألفين أو أربعة آلاف سنة ، فمن ذا الذي يستطيع أن يخبرنا في ذلك الوقت بتاريخ أول بيت للعبادة في الدنيا و أي نسل إنساني يحفظ لنا ذلك و هذا البيت أقامه سيدنا آدم بيديه فمن من بني آدم يتذكر ذلك الوقت ؟"[٤٧]

و عندما ودع مولانا عبد الماجد الدريابادى المدينة ودعها بعواطف مليئة بالشجن و لكنه لم يفقد حواسه يقول : " إن حالة وداع المدينة المنورة و لو لم تدخل في سوء الأدب فإن هذه الحالة تشبه تماما حالة البنت التي تودع بيت أمها فيكون الذهن شاردا و تعلو الشفاه آهات و العيون مليئة بالدموع و الوجه مفعم بالمشاعر و الجميع في الروضة حيث مصلى الرسول يتسابقون بالدعاء و تبدلت حالة القلب من الخوف و الاضطراب إلى الطمأنينة و السكينة".[٤٨]

و في سنة ١٣٤٨هـ : ١٩٣٠م قدم الشيخ غلام رسول مهر من لاهور إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج بدعوة من جلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله – فكتب رحلته " سفرنامه حجاز" و هي من الرحلات المهمة التي تكشف عن جوانب كثيرة منها علاقة المسلمين في شبه القارة الهندية بمكة المكرمة والحجاز و دونت هذه الرحلة في فترة مبكرة كانت الأراضي المقدسة تشهد فيها بداية التطور و توسيع الخدمات و المرافق في عهد الملك

عبد العزيز ، و الذي يطلع على بعض ما ورد في الرحلة يلمس الجهد العظيم الذي بذلته حكومة المملكة العربية السعودية من إنجازات لخدمة الحجاج في مجال المرافق و الخدمات المدنية والإدارية ، و تحمل هذه الرحلة أهمية لدارسي تاريخ الحجاز ، وبخاصة في عهد الملك عبد العزيز - غفر الله له - لأن كاتبها من كبار علماء شبه القارة الهندية و أدبائها و ممن يعتد برأيهم ، و من الباحثين الملتزمين بالدقة و الأمانة . و قد مضى على هذه الرحلة ما يقرب من خمس و ستين سنة، تغيرت خلالها المعالم حول الحرم وفي مكة المكرمة و ما حولها و أنجزت الكثير من المشروعات العظيمة في الحرمين الشريفين لخدمة المسلمين . إضافة إلى أهمية ما كتبه غلام رسول مهر عن الملك عبد العزيز – رحمه الله – فقد كان لقاؤه به عن قرب ، و كانت معرفته به وثيقة، و لهذا فإن ما جاء في الرحلة من حقائق يعد شهادة من عالم و باحث فاضل لا يتحرى إلا الحق و الصواب فيما يدون.[٤٩]

و تحدث غلام رسول مهر بالتفصيل عن الدعوة الملكية فقال : " في الخامس من مايو وجهت الدعوة من جانب السلطان (الملك عبد العزيز) المعظم إلى الأكابر من الحجاج و أعضاء الحكومة ، و استجاب لهذه الدعوة خمسمائة حاج على الأقل ، و لم يشترك إسماعيل و لا قاضي سليمان المنصور بوري بسبب المرض و اعتلال صحتهما ، و تم الترتيب على أن يصل جميع

المدعوين في المساء إلى الحميدية (مقر إدارة الحكومة المركزية بالحجاز) وهناك كانت عشر سيارات واقفة لحمل المدعوين إلى القصر الملكي ، كنت مع خان محمد خان (وهو هندي و مُدير دار الكسوة) و الحافظ محمد صديق الدهلوي – و بعد وصولنا بخمس دقائق نهض السلطان ، فنهض معه جميع الحاضرين ، و كانت موائد الطعام في صحن القصر و حجراته ، كان الطعام فخما، و في أثناء تناولنا الطعام مر علينا الأمير سعود ولي عهد مملكة نجد والحجاز، و بعد الفراغ من الطعام انتقل المدعوون جميعا إلى الطابق الثالث في القصر ، و حضر السلطان المعظم و جلس في ركن من أركان الصالة ، و جلس من حوله علماء نجد ومصر ، و جلسنا نحن في كراسي الصف الخامس ، فكان على يمنى القنصل المصري ، و على يساري خطيب جامع زين العابدين بمصر و كان السلطان المعظم أمامي ، و هكذا بعد أربع سنوات و ربع ، أرى السلطان عن قريب بملابسه البسيطة ، و عباءته التي لبسها فوق ثيابه و في قدميه الصندل النجدي نفسه. و بعد دقائق بدأ السلطان المعظم في إلقاء خطابه ، و بعد أن تلا قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " بدأ في شرح كلمة التوحيد ثم شهدنا قوة بيان السلطان و ما يتميز به من سحر خطابي ، و حماسة و محبة للإسلام ، ولمدة خمس دقائق غرق خمسمائة حاج

من مختلف شعوب الأرض في أمواج هذا السحر الحلال الذي نتج عن براعة السلطان الخطابية". [٥٠]

وتحدث غلام رسول مهر في رحلته هذه عن تاريخ مكة المكرمة والمهاجرين الهنود والتكايا والأربطة والسكان والحرم الشريف وعمارة الكعبة والكسوة و غيرها .

و بعد توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز وفدت على جزيرة العرب وفود رسمية من الهند ، وضمن هذه الوفود قدم أدباء و علماء نذكر منهم مرزا عبد الحليم بيك و قد جاء للحج من حيدرآباد سنة ١٣٥١ هـ : ١٩٣٢ م و قدّم في هذه الرحلة دليلا مختصرا يتحدث عن مكة المكرمة وأسواقها وشوارعها وأنواع الطعام العربي و الهندي المتوافر في مطاعمها ، و تحدث عن عمارة الحرم و إضاءته بالتفصيل و سمى رحلته " سركذشت حجاز " أي سيرة حجاز. [٥١]

و في هذه الفترة كتب أمير أحمد العلوي رحلة "سفر سعادت" و هي رحلة ذات قيمة تاريخية في ذلك العهد حيث تحدث عن الحالة السياسية في الحجاز و مكة المكرمة. [٥٢]

و كتب الدكتور عبد المجيد الصديقي رحلة " سبيل الرشاد " في عام ١٣٥٣هـ : ١٩٣٥ م و تصنف هذه الرحلة من رحلات دليل الحاج حيث اهتم كاتبها بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالسفر و أداء المناسك و كل شيء يتعلق بمكة المكرمة ، و لكن

الجانب الروحي فيها يتضاءل أمام التفاصيل الكثيرة التي قدمها ونشرت جمعية مسلمي البنجاب(Punjab) هذه الرحلة لتكون دليلا لكل حاج ، و قد تحدث عن وسائل النقل و الجمال و أجرتها. [٥٣]

وفي نفس العام رحل محمد حفظ الرحمن الو فادبائيوى إلى الحجاز وكتب رحلة بعنوان "راه وفا " أي طريق الوفاء و هي رحلة على طريقة رحلات الحج القديمة ، و كتبها على هيئة يوميات تمتليء بالحب و الوجدان . [٥٤]

وتعد الرحلة التي قام بها النواب محمد صادق العياسى أمير إمارة بهاول بور عام ١٣٥٣ هـ : ١٩٣٥ م للحج من الرحلات الرسمية التي حظيت باهتمام بالغ لدى المسئولين في المملكة العربية السعودية حيث قدم النواب محمد صادق مشاهداته في الحج و تجربته الروحية في أرض الحجاز ، وكان مولوى محمد عزيز الرحمن عزيز مصاحبا له فتولى تدوين الرحلة و قدم معلومات مهمة عن مكة و المدينة و المناسك ، و التقى النواب محمد صادق بالملك عبد العزيز يقول :" في العاشر من مارس قدم جلالة الملك السلطان عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية إلى مكة لأداء مناسك الحج ، و في اليوم التالي شرف نواب بهاول بور بزيارة قصر جلالة الملك، و في ١٢ مارس أقيمت مأدبة ملكية حضرها آلاف الحجاج ، وفي هذا اليوم أجريت مراسم غسل الكعبة المشرفة"[٥٥] و أطلق عليها كاتب الرحلة اسم "حج صادق "

و بعد تقسيم شبه القارة الهندية (١٣٦٦هـ : ١٩٤٧م) ظهرت دولتا الهند و باكستان و كذلك ظهرت المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز. بدأ عهد جديد كان له تأثيره فى كتابة رحلات الحج الهندية باللغة الأردية حيث بدأ الأدباء يعبرون عن مشاعرهم أكثر من ذكر مناسك الحج و كيفية الذهاب إلى مكة المكرمة و غيرها من التفاصيل المذكورة في الرحلات السابقة و تحولت الرحلة إلى قطعة أدبية استخدم فيها الكاتب لغة بسيطة و سلسة . و من هذه الرحلات رحلة " ديار عرب مين جندماه " أي شهور في ديار العرب لمولانا مسعود عالم الندوي و هي رحلة قام بها للعراق و الحجاز و اهتم أكثر بالمسائل الدينية و في أثناء رحلته لم يتخل عن مهمته الأساسية و هي التبليغ و لقاء الشخصيات السياسية و أسلوبه بسيط و واضح و تعد رحلته هذه وثيقة سياسية مهمة في تاريخ الحجاز و مكة المكرمة.[٥٦]

وسوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل في الصفحات القادمة.

أما الشيخ سيد أبو الحسن الحسني الندوي فهو أديب بالأردية و العربية و معروف في البلاد العربية و كتبه تملأ المكتبة العربية و يكتب بالأردية و العربية و الإنجليزية و حصل على جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام و من رحلاته العديدة رحلة بعنوان " شرق أوسط مين كيا ديكها " أي ماذا رأيت في الشرق الأوسط ؟ يقول في رحلته التي امتلأت بحبه للإسلام

ورسول الإسلام : " بعد أداء فريضة الحج طرت على أجنحة أشواقي و مضيت إلى المدينة المنورة ، كانت جاذبية المحبة والوفاء تشدني إلى المدينة المنورة دون عناء ، كنت أدرك أن مشاق الطريق رحمة و أمام ناظري تراءت لي آثار المسافر الأول الصادق الأمين الذي مضت ناقته على هذا الطريق ، و الذي ملأ هذا الطريق ببركاته . وصلت المدينة فقمت بادئ ذي بدء فصليت ركعتين في المسجد النبوي ، و شكرت الله رب العزة الذي جعل هذه السعادة من نصيبي".[٥٧]

ثم كتبت ثلاثة رحلات حج في تلك الفترة تشترك في اللغة و الأسلوب و الهدف وهي" رحلة الصديق إلى البيت العتيق" لمحمد صديق الخير آبادى وهي رحلة امتزجت فيها المشاعر الروحية والمادية وتناول فيها تاريخ الحجاز ومكة المكرمة بالتفصيل منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[٥٨] . و الرحلة الثانية رحلة " ديار حبيب كي باتين " أي أحاديث ديار الحبيب لفضل الدين وهي رحلة رسمية وعلمية إلى البلد الأمين.[٥٩] والرحلة الثالثة هي "سفر حجاز" أي رحلة للحجاز لعبد الكريم ثمر.[٦٠] ثم كتب عبد الصمد صارم رحلته " سفرنامه حج و زيارت" وهي لا تختلف من حيث الشكل و المضمون عن الرحلات الثلاثة التي سبقتها .[٦١]

و تمثل رحلة العلامة سيد أبي الأعلى المودودي "سفرنامه أرض القرآن " أي رحلة في أرض القرآن نموذجا

واضحا لتأثير توحيد الملك عبد العزيز لجزيرة العرب على مسار الرحلة الأردية للحجاز ، فلم يعد الدخول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز يتم من عدن و اليمن بل أصبح القادم من شبه القارة الهندية الباكستانية يدخلها من الظهران و الخبر و الدمام ثم إلى الحجاز و مكة المكرمة في المنطقة الغربية من المملكة ، و هذه الرحلة ليست رحلة فرد واحد ، بل رحلة جماعة من العلماء يقودهم عالم جليل كان له أثره في الأدب الأردي وفي العمل الإسلامي في شبه القارة الهندية ، و هو العلامة سيد أبو الأعلى المودودي ، ومن هنا جاءت الرحلة مختلفة عن معظم الرحلات السابقة، نظرا لاختلاف الهدف ، و اختلاف اهتمامات الرحالة أنفسهم .

و كان السفر عام ١٣٧٩ هـ : ١٩٥٩ م بهدف الاطلاع على الأماكن التي ذكرت في القرآن الكريم ، حين كان المودودي يكتب تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأردية (تفهيم القرآن) فاشتاق ليرى آثار و أحوال البلاد الطيبة، و يلتقي في الوقت نفسه بالعلماء و الأدباء من أهل الجزيرة العربية، و قد قام بتحرير الرحلة محمد عاصم السكرتير المرافق للشيخ سيد أبي الأعلى المودودي، وصدرت الرحلة في طبعات متتالية (٨ مرات) حتى عام ١٤١٢ هـ : ١٩٩١ م ، و كان الطبعة الأولى قد صدرت سنة ١٣٨٨ هـ : ١٩٦٨ م و تضمنت عددا كبيرا من الصور (حوالي ٥٥ صورة) للأماكن التي زارها المودودي . [٦٢]

وشاهد المودودي مشروع توسعة الحرم و كتب عنه قائلاً : في أثناء إقامتنا في مكة المكرمة أتيحت لنا فرصة مشاهدة توسعة الحرم المكي ، و المباني الجديدة التي تقام حاليا ، و العمل في مشروع توسعة الحرم يمضي على قدم و ساق ، وسوف تكون المباني على طابقين و كذا الحال في المسعى بين الصفا والمروة الذي اكتمل العمل فيه ، و بعد الانتهاء من هذه التوسعة ستتضاعف مساحة الحرم ، و يمكن لحوالي نصف مليون مصل من أداء الصلاة في داخل الحرم المكي في وقت واحد ، و تصبح عمارة الحرم من أعظم عمارات الدنيا ، و تقدر تكلفة هذه التوسعة بمائتي مليون روبية ، و جميع نفقات هذه التوسعة على حساب الملك سعود و من ماله الخاص، و سوف يكتب هذا في قائمة أعماله و حسناته".[٦٣]

و في أواخر عام ١٣٣٩هـ : ١٩٢١ م قام العالم القاضي محمد سليمان المنصور بوري[٦٤] برحلة للحج هي " سفرنامه حجاز " أي الرحلة الحجازية و نشرها سنة ١٣٤٢ هـ : ١٩٢٤ م و جعلها كتابا في التاريخ و المعرفة بدلا من أن تكون سردا لحوادث و مشاهدات ، و قد سافر العالم الجليل مرة أخرى للحج عام ١٣٤٩ هـ : ١٩٣٠ م و لقي الملك عبد العزيز و توفي في سفر العودة . و يقال إن " الملك عبد العزيز يرحمه الله تأثر كثيرا بلقائه مع الشيخ القاضي محمد سليمان حتى أنه طلب منه أن يكتب كتابا عن " تاريخ نجد " فجعل القاضي محمد سليمان الحديث مع " السلطان " عن تاريخ نجد ، و قدم السلطان (جلالة الملك) عبد

العزيز للشيخ عددا كبيرا من المصادر العربية حتى يقوم بكتابة كتاب عن تاريخ نجد حين يعود للهند و أهداه جلالة الملك قطعة من غطاء الكعبة بقدر أربعة أقدام مربعة، مكتوب عليها بالخط الكوفي العثماني سورة الإخلاص ومكتوب عليها يا الله أربع مرات ، و يقول الشيخ الجليل القاضي سليمان:" حين تلقيت من جلالته هذه الهدية المباركة قلت له:هذا أثمن عندي من أي هدية" [٦٥]

و قدم القاضي المنصور بورى تحليلا للوضع السياسي في الحجاز ، و في لقاء تم بينه و بين الشريف حسين سأله الأخير عن عدم رضا مسلمي الهند عنه فرد عليه قائلا : ليس سبب عدم رضائهم تغير الأسرة أو الحكام ، إن مسلمي الهند يعتقدون أن هناك ظلالا للسيطرة الأجنبية هنا، سيطرة غير المسلمين على الحجاز ، و هذا أمر يحزنهم كثيرا، و هذا لا يعني أنهم لا يتمنون الفلاح للسلطنة الهاشمية، لا ...بل هم يتوجهون بالدعاء أن تحكم السلطة الهاشمية حتى أقصى الشرق .. فأنتم أولاد الرسول . وهذا شرف لم ينله الأتراك " [٦٦]

و تضمنت الرحلة مباحث تاريخية مهمة، و وصفا دقيقا للأماكن المقدسة و المآثر الإسلامية إضافة إلى شرحه للجغرافيا البشرية للحجاز بمفهومها الواسع و فصل الحديث في القبائل .

و قد ظهر عدد كبير من رحلات الحج الهندية بعد عام ١٣٨٠هـ : ١٩٦٠م و تنوعت أساليبها و موضوعاتها و اتجاهاتها

نذكر منها رحلة نسيم حجازي " باكستان سي ديار حرم تك " أي من باكستان إلى ديار الحرم ، و كان قد زار مكة المكرمة للحج ضمن وفد رسمي باكستاني عام ١٣٧٩هـ : ١٩٥٩م و لذلك تتجلى الجوانب السياسية في هذه الرحلة بوضوح و تتميز بأسلوب أدبي رفيع لأن نسيم حجازي أديب و روائي و صحفي له مكانته في الأدب الأردي .

و قد حفلت الرحلة بمعلومات مهمة عن أسواق مكة، والطرق و الشوارع و بيت الضيافة الذي أهدته الحكومة السعودية للحكومة الباكستانية في المدينة، و الاقتصاد والتعليم و تطبيق الشريعة الإسلامية. [٦٧]

ثم تأتي الرحلة الحجازية " سفرنامه حجاز" لسلطان داود لتلقي الضوء على مناسك الحج من منظور تاريخي و اجتماعي و ديني و قام بالرحلة في سنة ١٣٨٢هـ:١٩٩٣م و قد اهتمت بالحالة الاجتماعية للمجتمع المكي و المدني. يقول : " أهل مكة طيبون ، يتوكلون في كل أعمالهم على الله سبحانه و تعالى ، لا يعرفون الطمع . في منى أعطيت امرأة فقيرة بعض النقود ، فراحت تدور هنا و هناك ثم عادت إلى نفس الخيمة ، فقال لها حاج باللغة العربية " لقد أعطيتك الآن " فقالت له : " لم تعطني ، الله أعطاني " ثم انصرفت" [٦٨].

و ركز مفتاح الدين ظفر في رحلته " سفر مقدس " أي الرحلة المقدسة على جوانب ممتعة في رحلة الحج و فصل القول في رمي الجمرات و ما مر به من مواقف.[٦٩]

و قد وجهت وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية الدعوة إلى الأديب الصحافي الطاف حسين القريشي للحج سنة ١٣٨٦ هـ: ١٩٦٧ م فكتب رحلته " قافلة دل كي جلي " أي مضت قافلة القلب و نشرها في مجلة " أردو دايجست" بداية من يونيو ١٩٦٧ م . و وصف فيها الحجاز و الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة ، و هي من الرحلات الصادقة التي تمدنا بمعلومات قيمة عن مكة المكرمة و الحجاز في ذلك الوقت.[٧٠]

وسافر راجه محمد شريف للحج سنة ١٣٨٨هـ:١٩٦٩ م و كتب رحلته " آئينه حجاز" أي مرآة الحجاز. و لهذه الرحلة أهمية تاريخية و أدبية و قد ضرب صاحبها أرقاما قياسية في السعي و الطواف و الصلاة في الحرم و تقبيل الحجر الأسود وتناول حقائق مهمة عن الحجر الأسود وتاريخه.[٧١]

و قدم محمد شفيع صابر للحج عام ١٣٨٥ هـ:١٩٧١ م براً من باكستان إلى أفغانستان ثم إيران فالعراق إلى أن وصل إلى المملكة العربية السعودية و تحدث عن علماء و شيوخ تلك البلاد التي مر بها و وصف لنا مشاهداته العينية بالتفصيل و تعلو فيها نبرة الصدق و الروحانية.[٧٢]

و تعد رحلة " سفرنامه حج و حرمين " للحاج ، شجاع ناموسا في الرحلات المهمة التي انطلقت من باكستان سنة ١٣٨٣هـ:١٩٦٤ م فتتميز هذه الرحلة بكم هائل من الصور التي التقطها الرحالة بنفسه للمناسك و للحرم و لمكة المكرمة و المدينة المنورة و قام برسم خريطة لمكة المكرمة ، و تحدث بالتفصيل عن الأسرة السعودية و جهود الملك عبد العزيز في توحيد الجزيرة العربية عام ١٣٤٤هـ : ١٩٢٥ م و تناول الحركة السلفية و حكم الشريعة الإسلامية و أخلاق الناس في الحجاز و توسعة الحرمين الشريفين.[٧٣]

و في هذه الحقبة صدرت العديد من رحلات الحج تميزت بنضج فكري و التطرق إلى موضوعات جديدة في السياسة و الاجتماع و الاقتصاد ، و من أهم هذه الرحلات رحلة عفت إلهى العلوى " سفرنامه حجاز " أي الرحلة الحجازية و طبعت في مطبعة أنجمن بريس في كراتشي (Krachi) عام ١٩٧٥ م ، و رحلة محمد محسن التونكي " سفر حج كي تاثرات " أي انطباعات رحلة الحج و طبعت في مطبعة ديسنت بريس في كراتشي عام ١٩٧٥ م أيضا، ورحلة " مرحبا الحلج " لمحمد ذاكر علي خان و هو أديب تربى و ترعرع في علي كره[٧٤] و أضفى على الرحلة روحاً دينية واضحة ، و نشرت من قبل إيجوكيشنل سوسائتي في كراتشي عام ١٩٧٦ م ، ورحلة عبد الله ملك " حديث دل " أي حديث القلب

وطبعت في مطبعة كوثر ببلى كيشنز بلاهور (Lahore) عام ١٩٧٨ م، و رحلة شمس كشميري " جهلم سي عرفات تك " أي من جهلم (في باكستان) إلى عرفات و هي خلاصة رحلتيه للحج عامي ١٩٧٣ و١٩٧٦ م.[٧٥]

و من أهم الرحلات في تلك الفترة رحلة " لبيك " لممتاز مفتي سنة ١٣٨٨هـ : ١٩٦٨ م ، و هي رحلة أدبية رائعة وصف فيها مكة المكرمة و المدينة المنورة و تتجلى فيها الجوانب السياسية و الحضارية فهي رحلة مختلفة عن رحلات الحج الأخرى لأنه بقلم روائي و أديب و صحافي تغلغل في نفس الحاج و وصف خوالج قلبه بصدق.[٧٦]

وتأتي رحلة الدكتور نصير أحمد ناصر "روداد سفر حجاز" أي تقرير رحلة الحجاز تعبيرا عن حكاية الشوق والجذب والبحث في فريضة الحج والتساؤلات التي تدور في نفس الحاج عن سر أسرار الطواف وسبب البكاء في الحرم وغيرها من المشاعر الخاصة بالحج وقد بدأ رحلته في ٨ ربيع الأول ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩ م.[٧٧]

أما رحلة " بهرسوى حرم" أي (ولينا وجهنا شطر الحرم) لصادق القريشي فهي رحلة حج هندية في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ١٤٠٠هـ : ١٩٨٠م. تتميز هذه الرحلة بأنها كُتِبت بلغة سهلة يفهمها العامة و هم أكثرية الحجاج الهنود.[٧٨]

وجاءت رحلة الحاج محمد زبير " جند دن حجاز مين" أي أيام في الحجاز خلاصة تجربة رحلته للحج عام ١٩٥٠ م والعمرة ١٣٩٩هـ: ١٩٧٩،: و هي رحلة مليئة بالشوق و الشجن تجاه الأماكن المقدسة و بحث في حقيقة الحج و أهدافه و السيرة النبوية و حياة سيدنا إبراهيم علاوة على تاريخ مكة و الحجاز، و لأنه كان يعمل في مجال المكتبات لذا اهتم بوصف المكتبات في منطقة الحجاز و الاطلاع على الكتب العلمية و الدينية بها، و تحدث عن تأسيس السيدة صولت النساء إحدى نساء كلكتا المتدينات للمدرسة الصولتية في مكة المكرمة عام ١٨٧٤ م.[٧٩]

و قد طوى فريد أحمد براجه في رحلته " سفر شوق " أي رحلة الشوق في الظاهر نفس الطرق التي يطويها مئات الألاف من السالكين في طريق الحق لكنه نظر إليها بنظرة خاصة أخرى و تناول التاريخ القديم و الحديث للحجاز و مكة المكرمة و تأثر بجمال المناظر فيها . يقول : " ذات يوم كنا نمر في سوق مكة فسمعنا صوت خشب ! خشب ! فقال العارفين بالعربية لرفاقهم في رعب " الخشب " فهذا صوت بائع الخشب لكني وجدت أنه لا وجود للخشب من قريب أو بعيد ، و علمت بعد ذلك أن معنى خشب هنا هو " أفسح الطريق ".[٨٠]

و تتميز رحلة " نوركى نديان " أي أنهار النور لأحمد خان الداراني بالعواطف الإيمانية الجياشة و الأسلوب البسيط السلس . يقول : " أحيط البقيع بسور متين و قوي من الجوانب الأربع و

تبدو الساحة الداخلية منها للناظر ، و على البوابة قفل كبير و لهذا وقفت على البوابة و ألقيت عليهم السلام و قرأت الفاتحة ، و أخذني السيد شرقي من روضة الرسول ثم توجهنا إلى حارة في اتجاه القبلة و أراني منزلا قديما كان قد كتب عليه بالعربية منزل أبي أيوب الأنصاري و كان المنزل المقابل له منزل الإمام حسن و متصل به منزل الإمام الحسين رضي الله عنهم – و لكن شيدت الآن مباني ضخمة هناك ".[٨١]

وكتب الأديب البارع حافظ اللدهيانوي رحلته " جمال الحرمين " تناول فيها أحداث سفره للحج عام ١٩٧٤ م و تاريخ مكة المكرمة التي نظر إليها بعين الحاضر و نشرت رحلته "جمال الحرمين " عام ١٤١٠ هـ : ديسمبر ١٩٨٩م بأسلوبه الجذاب الشاعري فهو أديب و شاعر يقول : " لم تطلع على حياتي شمس أجمل من شمس ذلك اليوم ، و لم تمر علي لمحة سعيدة أبدا كتلك اللمحة، ولم و لن تسمع أذني خبرا أطيب من ذلك الخبر الذي سمعته اليوم، فاليوم حلت بي اللحظة المباركة، كانت قدري حين سمعت أن طلبي لأداء فريضة الحج و الزيارة قبل. كان هذا اليوم السعيد ثمرة دعاء مستمر ، و أمنية عمري كله، ورغبة حياتي".[٨٢]

وسافر حافظ الدهيانوي مرة ثانية للحج في سنة ١٩٨١ م وجاور لمدة عامين في المسجد النبوي و كتب رحلة جديدة هي "منزل سعادات " نشرت في كراتشي سنة ١٩٨٤.

و من الرحلات المهمة في تلك الفترة رحلة " مشاهدات حرمين " للشيخ الأديب و المؤرخ أسعد الجيلاني عام ١٣٩٥هـ: ١٩٧٦م و نشرت من قبل ترجمان القرآن بلاهور سنة ١٣٩٨هـ: ١٩٧٨ و هذه الرحلة استمرار للتعبير عن المشاعر الذاتية في أدب الرحلة.[٨٣]

و رحلة تشودري محمد أسلم " حرمين مين دوسوروز " أي مئتا يوم في الحرمين من رحلات الحج الطويلة في الحجاز تحدث فيها بصدق عن خواطره حول الحج و الوضع الاجتماعي و السياسي في الحجاز.[٨٤]

و عندما تقرأ رحلة " أرض تمنا " لغلام الثقلين نقوى تشعر كأنك تشاركه تجربة الحج بسبب أسلوبه الجذاب و ذلك من خلال ذكره للتاريخ الإسلامي لمكة المكرمة و الحجاز و اهتم بذكر التفاصيل الخاصة بالحياة الاجتماعية و السياسية في مكة المكرمة. وعندما بدأ في أداء المناسك يقول :"وضع القادمون أقدامهم على الخط الأسود الموصل إلى الحجر الأسود بنية الطواف ثم أشرت إلى الحجر الأسود بيدي و قلت " بسم الله ، الله أكبر ، و لله الحمد" و كررت زوجتي هذه الكلمة أيضا و بدأت الشوط الأول من الطواف و رأيت ستارة الكعبة التي تغلفها و بدأت أفكر فيها و في الكعبة ونسيت العاء لبعض الوقت".[٨٥]

وهناك رحلات حج عديدة لا يتسع المجال لذكرها لأنها لا تزال تكتب حتى هذه الساعة .

ب - الاتجاهات الفكرية في رحلات الحج الهندية :

نعني برحلات الحج الهندية هنا ما كتبه مسلمو شبه القارة الهندية في كل من الهند و باكستان من رحلات حجازية دونوا فيها انطباعاتهم عن الحج باللغة الفارسية أولا ثم باللغة الأردية، وعبروا فيها عن مشاعرهم الجارفة نحو هذه البقاع المقدسة، واهتموا بذكر التفاصيل الدقيقة عن تاريخ مكة المكرمة و العادات والتقاليد والطرق والمناسك والجغرافيا والأجناس والسكان وحلقات الدرس في الحرمين الشريفين و المهاجرين و المجاورين من العلماء من شتى بقاع العالم الإسلامي فكانت بحق عاصمة للثقافة الإسلامية على مر العصور .

ورحلات الحج الهندية صارت من المصطلحات الأدبية المهمة و الرائجة في الأدب الأردي ويعبر عنها بالأردية بـ "سفرنامه حجاز " و "حج حجاز" و لغزارة الإنتاج في هذا الفن الأدبي أصبحت رحلات الحج الهندية صنفا أدبيا له أطره العلمية و دوافعه الأخلاقية .

وقد أنتجت شبه القارة الهندية آلافا من رحلات الحج الهندية و لكن لم يطبع منها إلا المئات و لا تزال هذه الثروة الأدبية

في طي النسيان و ما كشف منها لا يزال مخطوطاً في حاجة إلى طباعة ، و لقد تنوعت رحلات الحج الهندية و تعددت أغراضها والدوافع إليها بين دينية في الغالب و علمية و تعليمية و سياسية وبعضها كان له طابع رسمي ، و قد كتب الرحلة رجال و نساء ، وأمراء و فقراء ، و علماء ، وقضاة و أدباء و فقهاء و محدثون و صحافيون و رجال دولة و ساسة ، و كتبوها باللغتين الفارسية والأردية نثرا و شعرا ، رحلات حقيقية و خيالية و رحلات حج للأطفال ، و لا تزال تكتب رحلات حج هندية باللغة الأردية وستظل تكتب إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها .

وبلغ اهتمام مسلمي الهند برحلات الحج إلى مكة المكرمة أنهم لم يكتفوا بما أنتجوه من رحلات وفيرة ، بل قاموا بترجمة رحلات الحج المهمة من لغات العالم و لغات الأمم الإسلامية كالإنجليزية و الفارسية و التركية و العربية و منها على سبيل المثال رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة .

و مع أن موضوع الرحلة واحد و هو الحج لكنه يختلف باختلاف التجربة الشعورية و الإيمانية من كاتب لآخر ، فكاتب الرحلة من عامة الناس يختلف عن كاتب الرحلة المثقف في اللغة والأسلوب و التوجهات ، و الرحالة الرجل يختلف عن الرحالة المرأة، و رجل الدين يختلف عن الأديب في تناوله للأحداث .

و تعتبر هذه الرحلات شاهدا على التطور الحضاري والعمراني و السياسي و الاجتماعي لمكة المكرمة حيث وصفت هذه الرحلات الطرق و وسائل المواصلات التي سلكها الحجاج الهنود برا و بحرا و جوا .

و تعد رحلة الأمير صديق حسن خان (رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق) التي قام بها عام ١٢٦٨هـ : ١٨٦٨ م أول رحلة حج في اللغة الأردية .

وبالرغم من أن آلاف الهنود ينالون شرف الحج كل عام ، و حتى لو كانوا قد كتبوا رحلات حج فإننا لم نعثر عليها حتى الآن. ومن الجدير بالذكر أن أول رحلات الحج الهندية كتبت باللغة الفارسية وذلك في نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وأقصد بذلك رحلة الحج التي قام بها الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي " جذب القلوب إلى ديار المحبوب " ٩٩٨ هـ : ١٥٨٩ م ، " فيوض الحرمين " الشاه ولي الله الدهلوي ١١٦١ هـ : ١٧٤٨ م ، و " سوانح الحرمين " لرفيع الدين الفاروقي ١٢٠١ هـ : ١٧٨٩ م و التي تعد أفضل رحلات الحج باللغة الفارسية في شبه القارة الهندية ، كما تعد رحلة " ترغيب السالك إلى أحسن الممالك " للأمير مصطفى خان شيفته ١٢٥٦ هـ : ١٨٤١ م في القرن التاسع عشر حلقة في هذه السلسلة .

و أحد أسباب عدم كتابة رحلات الحج الهندية الأولى باللغة الأردية هو أن اللغة الفارسية كانت أكثر اعتبارا ووقارا من اللغة الأردية في ذلك العهد، فقد كانت الفارسية لغة الحكام والخواص، والأردية لغة العوام ، و بالرغم من أن الإنجليز وقفوا ضد اللغة الفارسية إلا أن العوام و الخواص كانوا يفهمونها بسهولة ، و لهذا إن رحلات الحج المكتوبة باللغة الفارسية كانت تقدم تصورا كافيا لإرشاد الحجاج . و السبب الثاني هو أن مسلمي شبه القارة الهندية الذين نالوا شرف الحج لم تكن لديهم موهبة كاملة في بيان ذلك وظلت العواطف و المشاعر قاصرة عن التعبير بألفاظ مناسبة وقد ظهر هذا السؤال بعد رحلة الحج و هو " ماذا رأى ؟ " و "ماذا وجد ؟ " هنا حلت الرواية التحريرية محل الرواية الشفهية وبدأ بعض الحجاج يكتبون انطباعاتهم عن الحج و هكذا ظهر إنتاج أدبي غزير في هذا المجال ربما تجاوز الآلاف من رحلات الحج ، و لكن عدد رحلات الحج الهندية الذي وصل إلينا واستطعنا الحصول عليه من المكتبات المختلفة يتجاوز مائتي رحلة وتتضمن بعض الرحلات دليل المسافر و مرشد الحاج و رفيق الحاج.

و الحقيقة الأولى التي تواجهنا في هذه الدراسة أن رحلات الحج الهندية منذ القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي و حتى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي كان الهدف الأساسي لكتاب رحلات الحج هو جمع كتاب كدليل مرشد للحجاج في المستقبل يستعين به الحجاج في سفرهم و يجنبهم

قدر المستطاع صعوبات السفر ، ففي رحلات الحج الأولية مثل "ماه مغرب " للحاج منصب خان، و" سراج الحرمين " للحاج تجمل حسين، و"سفر سعادت" لمجد الدين محمد بن يعقوب اللغوي الفيروزآبادي، و" زاد غريب" للأمير محمد عمر علي خان وغيرها يغلب عليها هذا الطابع بشكل خاص حيث كان الاهتمام منصبا على ذكر الأدعية و كيفية أداء الحج و أركانه و ذكر الأحاديث الشريفة و الأقوال المأثورة في الحج إلى جانب الاهتمام بالجوانب المادية مثل وصف الطرق و مخاطرها و نفقات السفر .

والسمة الثانية لرحلات الحج في هذا العهد هي إرشاد الحاج في مناسك الحج و أحكامه و مسائله ، واستعانوا بالصور الفوتوغرافية من أجل التعريف بالأماكن المقدسة و فصلوا القول في الطرق و الدروب و المسالك. ومما لا شك فيه أن كتاب "زبدة المناسك " لمولانا رشيد أحمد الكنكوهى – الذي اعتمد فيه على كتب موثوق بها مثل " فتح القدير" و " الدر المختار" يكفي في هذا الباب. و هذا النوع من التأليف مكتمل في اللغة الأردية ، ورغم ذلك فإن أكثر الحجاج يعتبرون أن فريضتهم الدينية تحتم عليهم جمع مرشد مناسب للمناسك ، و لهذا فإن أكثر رحلات الحج في ذلك العهد مليئة بفرائض الحج و آدابه حيث وضحوا فيها الفرائض و السنن و المستحبات و فصلوا القول في الأدعية عند كل منسك من المناسك لذا نجد الجانب المفيد في رحلاتهم واضحاً .

و قد قدمت الأحداث في رحلات الحج في ذلك العهد على طريقة اليوميات و من الناحية الفنية استعملوا أسلوب اليوميات بكثرة و كان هدفهم من ذلك تقديم أحوالهم من جانب علاوة على بيان مشاعرهم القلبية و تجاربهم الروحية . و هذا النوع من رحلات الحج به شوق و ذوق و تسنح الفرصة للقارئ أن يشارك في نفحات الحج من خلال مطالعتها وقد أضافت رحلات الحج الهندية في اللغة الأردية أبعادا جديدة للتاريخ في الماضي والحاضر، وكان الحاج في ذلك العهد يسافر في اتجاهين هما: الاتجاه الأول : صوب الكعبة والمدينة المنورة. و الاتجاه الثاني: هو الحج الذي يعد مرآة لنفس الحاج ونتيجة لهذا صارت رحلات الحج تحتوي على البحث والنقد بأسلوب متأدب وحسن بيان، ووجد الحاج فرصة لإظهار ذاته ، والممتع في ذلك أن رحلات الحج لا تظهر فكرة تزيين الذات أو إظهار النفس، بل على العكس من هذا تبدو ثمة إنكار الذات و نفي الأنانية الغالبة و كذلك إظهار العبودية لله و طاعة الرسول .

و حدثت نقلة نوعية في رحلات الحج الهندية بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتي الهند و باكستان ، فتناولت أقلام الرحالة جميع الجوانب الاجتماعية و السياسية و العمرانية في المملكة فنال توسعة المسجد الحرام و المسجد النبوي في أدوارها المختلفة من الملك عبد العزيز و الملك سعود حتى عهد الملك فهد بن عبد

العزيز مساحة كبيرة من اهتمام رحلات الحج الهندية الحديثة . و نلمح عدداً من السمات في رحلات الحج الحديثة مثل : " لبيك " لممتاز مفتي ، و "روداد سفر حجاز" للدكتور نصير أحمد ناصر ، و " أرض تمنا" لغلام الثقلين النقوى ، و"الرحلة الحجازية لمحمد طفيل، و " بهر سوى حرم " لصادق القريشى، و" حديث دل" لعبد الله ملك . ففي هذه الرحلات يتجلى الإحساس بالتاريخ و الجغرافيا لدى هؤلاء الحجاج و لكن واردات القلب تجربة ذاتية . [٨٦]

و في هذا العهد أصبح التاريخ الإسلامي جزءا من رحلات الحج الهندية وظهرت العديد من التساؤلات التي ترد على ذهن الإنسان المعاصر و لهذا نشأ التنوع في رحلات الحج وأضيفت إليها أبعاد فنية لم تكن من قبل ، و لهذا السبب فإن لكل رحلة تجربتها الشخصية الخاصة التي تؤثر في القراء بزاوية مختلفة عن رحلات الحج القديمة، و لم تعد رحلات الحج مجرد ذكر للمناسك و وصف للوقائع والأحداث، بل صارت تقريراً يتوفر فيه الجانب العقلي و القلبي و الذهني للمسافر. ركزت رحلات الحج في العصر الحديث على النواحي الروحية و وصف التجربة الشعرية الفريدة لهؤلاء الرحالة في هذا السفر المقدس، و قام بهذه الرحلات علماء و رجال دين و أدباء و شعراء و كتاب قصة ورواية و مؤرخون و مصلحون ، و حدثت طفرة هائلة في أساليب اللغة الأردية التي كتبت بها هذه الرحلات مثل "جمال حرمين" و"منزل سعادت" لحافظ اللدهيانوى، و"مشاهدات حرمين" لأ

جيلانـي، و" حرم مين مين دو سوروز" أي مئتا يوم في الحرمين لتشودري محمد أسلم.

المبحث الثاني: نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة

تمهيد :

كان الحج محور رحلات الحج على مر العصور و تشكل هذه المؤلفات أكمل تيار أدبي إسلامي في تراثنا الأدبي ، و قد استمر التأليف في رحلة الحج في عصرنا الحديث و ظهرت مؤلفات أدبية متميزة تعد من عيون أدب الرحلة في نتاجنا الأدبي ، و لم يقتصر أدب الرحلات الإسلامي - القديم و الحديث – على الأدب العربي بل امتد إلى آداب الشعوب الإسلامية الأخرى ومنها الفارسية و التركية و الأردية حيث حركت رحلة الحج قرائح بعض الأدباء من أبناء تلك الشعوب و جعلتهم يسجلون أحداث رحلتهم و مشاهداتهم فيها و انفعالاتهم خلالها بلغاتهم المحلية ، فكونوا رصيدا من الإبداع الإسلامي الذي تحقق فيه جميع شروط النص الأدبي الإسلامي العالمي .[٨٧]

و سأقدم فيما يلي نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة ، و قد راعيت في اختيارها أن تمثل هذه الرحلات المراحل التاريخية و التيارات الفكرية المختلفة تمثيلا كاملا حيث تنوعت هذه النماذج بين رحلات قديمة و حديثة و نسائية و شعرية و خيالية و رحلات للأطفال .

أ - الـرحلات القديمـة : سـوانح الحرميـن (١٢٠١ هــ : ١٧٨٩ م)

وقـع اختـيارنا من بين رحـلات الحـج الهندية القديمـة علـى رحلـة " سوانح حرمين شريفين " لمولانـا رفيع الدين المرادآبادى (١٢٠١ هـ : ١٧٨٩ م) لتقديم نماذج وافية منها هنا لعدة أسباب أهمهـا أنهـا مـن أقـدم رحـلات الحـج الهـندية إلـى مكـة المكـرمة والحجاز ، و قد كتبت قبل قرنين من الزمان ، كما أنها تعد نموذجا للرحلات الهندية الأولى التي كتبت باللغة الفارسية - لغة الأدب و العلم في ذلك الوقت - و قد تعددت مسميات هذه الرحلة فهي : " سوانح حرمين شريفبن، وهناك نسخة من الرحلة في مدينة رام بور بالهند عنوانها " آداب الحرمين" كما ذكر النواب صديق حسن خان القنوجى هذه الرحلة باسم "حـالات حرميـن"، ونقلهـا إلـى الأرديـة مولانـا نسيم أحمد الفريدي الأمروهـي وجعل عـنوانها "مشـاهدات حرمين شـريفين"، وترجمها الدكتور سميرعبد الحميد إبراهيم إلى العربية بعنوان"الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية".[٨٨]

و مؤلـف الـرحلة هـو مولانـا رفـيع الديـن بـن فـريد الديـن المـرادآبادى حفيد الـنواب عظمـة الله خـان الفاروقـي حـاكم مـرادآباد (Muradabad) ، ولـد فـي مرادآباد سنة ١١٣٤ هـ ، وأخذ العلوم على يد العـالم الهندي المعروف الشـاه ولـي الله الدهلوي ، و تـرك مؤلفات كثـيرة مـنها :"سـلوى الكئيـب بذكـر الحبيـب" فـي السيرة الـنبوية،

و"شرح الأربعين " في الحديث ، و "تذكرة المشايخ "، و" كتاب الأذكار" ، و " تذكرة الملوك" و غيرها إضافة إلى هذه الرحلة . و توفي مولانا رفيع الدين في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٢٢٣ هـ عن عمر يناهز التاسعة و الثمانين و دفن في مرادآباد .

بدأ المؤلف رحلته من مسقط رأسه مرادآباد سنة ١٢٠١ هـ و عاد من رحلته سنة ١٢٠٣هـ بعد رحلة استغرقت- كما ذكر- سنتين و شهرين و أسبوعين . يقول : " بدأت رحلتي إلى الحرمين الشريفين من مسقط رأسي " مرادآباد" – عمرها الله و حفظ أهلها من الآفات والفساد - صباح يوم السبت الموافق الثامن عشر من محرم الحرام سنة ١٢٠١ هـ ".[٨٩]

دوّن المؤلف مشاهداته في سفره البري و البحري من مرادآباد إلى أرض الحرمين مرورا بحضرموت و اليمن ، كما دون ملاحظات مهمة ، و حرص على التاريخ و التعريف بالبلدان ، و بقضايا فقهية و علمية كما استشهد في كتاباته بآيات الذكر الحكيم و بالحديث النبوي و بالأبيات العديدة من الشعر ، و اعتمد المؤلف بالإضافة إلى المشاهدات العينية على ما سمع من أخبار ، أو ما طالعه من رحلات سابقة ، أو كتب ألفت في موضوعات مختلفة تتعلق بموضوعه ، و وصف الطريق و الرفيق و وصف المدن والقرى، و كتب عن الأمور الاجتماعية التي تضمنت وصفه للبشر و فئات المجتمع و طبقاته ، كما ذكر العلماء و الأدباء ،

والمدارس، و حلقات الدرس أينما ذهب و حل ، ليس هذا فقط بل كتب عن الأمور الاقتصادية في تلك الحقبة من الزمن ذاكرا الأسواق ، و العملات النقدية ، و البيع و الشراء و الكراء و حتى الصناعة و تطورها.[٩٠]

و يأخذنا كاتب الرحلة في رحلة برية ممتعة داخل الهند ، رحلة في الجغرافيا و التاريخ ، فهو لا يمر بقرية أو مدينة إلا و ذكر من كان يسكن فيها من ملوك مسلمين أو هندوس و يذكر لنا المسافات بين القرى و المدن ففي طريقه إلى مدينة سورت(Surat) مر بأجين (Ujjain) ثم اندور(Indore) و برهان بور(Burhanpur) ثم بهروج(Bahroch) أجمل مواني الكجرات (Gujrat) على ساحل بحر العرب ، و توقف في ميناء " سورت" التي يسميها "باب مكة " لأن جميع الحجاج يستقلون البواخر و السفن منها إلى مكة المكرمة . يقول : " لم يكن في المكان الذي تقع فيه مدينة سورت حاليا بيوت أو عمارات قبل قدوم خواجه ديوانه ، و لم يكن فيه من يقيم عليه أو يسكن على أرضه ، فقد كان خواجه ديوانه هو أول من اختار المقام في هذا المكان ، بعد أن اصطفاه الله بالولاية ، و منذ ذلك اليوم بدأ الناس يتوافدون على المكان ، يستوطنونه حتى صار المكان مدينة عامرة ، فيها من الآثار الإسلامية ما لا تراه في سائر أنحاء الهند ، كما أن ما بها من مساجد تشهد على عزة الإسلام، لا يمكن أن يوجد له مثيل في ذلك الزمان في عموم الهند، و يطلق على "سورت" أيضا " باب مكة".[٩١]

و تناول مولانا رفيع الدين سيرة علماء سورت بالتفصيل و العجيب أنهم جميعا ذهبوا للحج أكثر من مرة و تعلموا في الحرمين الشريفين و نالوا الإجازات العلمية ثم عادوا للتدريس في سورت وحضر كاتب الرحلة حلقة تدريسهم و منهم مولوى ولي الله ، والعالم الجليل عبد الله التجرد و خواجه محمد دهدار ، و الشيخ خير الدين المحدث السورتي. يقول : " التقيت في سورت بالمحدث الشيخ خير الدين سلمه الله تعالى و أطال عمره ، و الشيخ خير الدين السورتي – من كبار علماء الحديث في الهند - ، و قد حضرت له "حلقة درس الحديث" ، فتعلمت منه أحاديث الرسول (صلى الله عليه و سلم) فالشيخ يمتد نسبه إلى الرسول ، و قد سافر إلى الحرمين مرتين ، ثم عاد و عكف على تدريس الحديث النبوي نحو نصف قرن من الزمان ، فتخرج من مدرسته في علوم الشريعة كثيرون ، و هو الآن ملاذ لكل من يقصدِ الحرمين الشريفين ، و قد وهبه الله عزة و كرامة ، فنال احترام الحكام ، و كانوا يلجأون إليه ويستشيرونه في كثير من الأمور ، و يراسلونه و من بينهم سلاطين الدكن وشريف مكة "[٩٢]

و غادر مولانا رفيع الدين "سورت " راكبا سفينة تسمى "سفينة الرسول محمد " واصفا الطريق البحري إلى مكة المكرمة والجزر التي مر عليها مثل جزيرة "سقطرى" و "هاني شامي" مرورا بعدن و منحا وجبل الذكر ثم الحديدة و جزيرة كمران

وقنفذة إلى أن وصل إلى " يلملم " حيث أحرم منها . يقول : "وفي ضحى يوم الاثنين الرابع عشر من شوال ألقينا عصا الترحال عند بيت الله الحرام ، زاده الله كرما و تشريفا . و تجلى لي جمال الكعبة ، ألقيت عليها نظرة واحدة ، فإذا بمتاعب السفر قد زالت و إذا بمصائبه قد تلاشت ، و لم أعد أشعر بما كنت أعاني من مشقة ، نتيجة المشي على الأقدام بملابس الإحرام ، تحت وهج الشمس المحرقة ، و على الرمال الحمراء الملتهبة ، مسافة تزيد على اثني عشر كيلومترا ، إن نظرة واحدة لجمال الكعبة المشرفة أزالت عني جميع متاعبي السابقة ، و سوف تزول بإذن الله أية متاعب لاحقة إلى أن يتوفاني الله رب العالمين"[٩٣].

ثم تحدث المراد آبادي بالتفصيل عن هذه التجربة الإيمانية وتوفيق الله له بشرف دخول الكعبة والصلاة فيها، وتحدث عن مواعيد دخول الكعبة والصلاة على المذاهب الأربعة داخل المسجد الحرام. ثم تحدث عن مناسك الحج في منى وعرفات والمزدلفة وتناول الحديث عن نهر زبيدة ومساهمة سلاطين المسلمين في تأسيس المدارس والرباطات التي أوقفوها على الحرمين الشريفين ثم ذكر أشراف مكة وفصل الحديث عن الشريف سرور بن مساعد الذي كان شريفاً لمكة عندما زارها.

وركز مولانا رفيع الدين على ذكر سيرة علماء مكة وأعيانها فذكر منهم: مولانا السيد محمد المغربي والشيخ عبد

الوهاب، السيد حسين المفتي المالكي، والسيد عقيل، والمفتي عبد الغني الشافعي، والمفتى عبد الملك الحنفي وهو من المجاورين في مكة، وملا مرداد "وهو بنجابي الأصل، مكي المولد، ماهر في فن القراءة، فريد زمانه، ووحيد عصره، وهو بحر في علم الحديث"، ومولوي محب الله تلميذ مولوي عبد العلي وهو "متبحر في مختلف العلوم الدينية، ويتصف بالأخلاق الفاضلة وهو مجاور في مكة منذ سنوات""[٩٤] ومولانا محمد مراد السندي وكان عالما تقيا، متبحراً في العلوم، قدم من السند إلى الحرمين الشريفين.

وقد أثنى مولانا رفيع الدين على طرق التدريس في مكة المكرمة. يقول: "أما طريقة التدريس في مكة، فيقوم منها الطلاب بالجلوس حول شيخهم الذي يفتح كتابه الذي يمسكه بيده، ويبدأ في القراءة والشرح، فإذا ما واجه أحد الطلاب أمراً صعباً أو شبهة ما، استفسر من شيخه، فيجيبه الشيخ ويشرح له ما أبهم عليه، أما أسلوب قراءة التلميذ على الأستاذ فهو أمر نادر" [٩٥]

وأشار المؤلف إلى أخلاق أهل مكة الطيبة وبعض عادات أهلها. يقول: "جميع أهل مكة – العامة والخاصة – يتحلون بالأخلاق الفاضلة وبحسن المعاملة، فكبار القوم هنا والعلماء يعاملون المسافرين والغرباء معاملة طيبة تتصف بالتواضع الجم وحسن الخلق، كأنهم لم يسمعوا عن الغرور والكبر، مع أنهم من العلماء الكبار ومن أهل الفضل والشرف. سألت عن الخطوط التي تشاهد في وجوه أهل مكة، فعلى خدودهم تشاهد ثلاثة خطوط، فقيل

لـي: إنها عـادة راجت بينهم منذ زمـان، فكـان أهل مكـة إذا ولـد لهم مولـود يبضـعون جلـد خديـه بالموسـى، بعد مضـي أربعين يوما على ولادتـه، وهذه الخطـوط الثلاثة تكـون علـى خديـه تحت العين، فيبقى أثرها علـى وجهـه إلى آخر العمر فيميزه عن غيره من مواليد المدن الأخرى"...[٩٦]

ويتناول المؤلف الجوانب السياسية في مكة المكرمة والمدينة المنورة بعد وفـاة الشـريف سـرور شـريف مكـة فـي الثامن عشر من ربيع الثانـي سـنة ١٢٠٢هـ، وتعيين شـريف جديد لمكة هو الشريف غالـب، ويذكـر بعـض علمـاء المدينـة المنورة منهم الشـيخ عـثمان الحنفـي المصـري، والشـيخ صـالح المالكـي المغربـي والشـيخ السـيد أحمد جمل الله، والشـيخ محمد عبد السندي ابن الشيخ محمد حياة السندي، والسيد مصطفى الحلبي القادري. وذكر مجالس العلم وذكر في المسجد النبوي الشـريف. يقول: "فـي المسـجد النبوي الشـريف ثلاثـة أنـواع مـن المجـالس. الأول: مجـالس الوعظ ويعقدهـا بعـض الفضلاء. والثاني: مجالس الدرس والتدريس، ويعقدها بعض العلماء فيدرسون فيها كتب التفسير والحديث وكتب الفقه. والثالث: مجالس التدريس على طريقة التذكير".[٩٧]

وبعد أن تحدث عن المهاجرين الهنود إلـى المدينـة المنورة ومكـة المكـرمة قـال: "فـي الوقـت الحاضـر لـم يـبق فـي الحرميـن الشـريفين أحد من سكان البلاد الأصليين الذين سكنوا البلاد في عهد

النبوة، أما أسرة الشيبي صاحب مفتاح الكعبة، فلا يزال منهم عدد قليل جداً لا يتجاوز عدد الأصابع، يقيمون في مكة المكرمة، أما الأنصار في المدينة المنورة فبيوتهم في المناخ خارج جدران المدينة المنورة بجوار مصلى العيد، وقد تعرفت عليهم، أما سكان الحرمين: فمنهم أبناء من هاجروا وأقاموا في منطقة الحرمين منذ القديم، أو منذ عهد متأخر ومنهم العرب ومنهم العجم. ويحتل مهاجرو الهند والسند أعلى نسبة في المهاجرين من غير الدول العربية، وبالتالي يكثر عدد من يتكلم اللغة الأردية، في حين يقل عدد من يتكلم اللغة الفارسية، وأكثر تجار مكة وجدة من طائفة "البهرة"(Bohra) الذين هاجروا من مدينتي أحمد آباد وبتنه. ونتيجة لهذا الاختلاط طرأ على اللغة العربية الفصحى التحريف فلم تعد اللغة التي تستخدم بين الناس اليوم تتوافق مع قواعد الصرف والنحو، ومن الضروري أن يبعث سيبويه من جديد، حتى يكتب من جديد قواعد اللغة على حسب ما تعود عليه الناس". [٩٨]

ولم ينس المراد آبادي الحديث بشكل مفصل عن البيع والشراء في الحرمين والعملات المستخدمة في التعامل بين الناس مع مقارنتها بالروبية الهندية، "وفي غرة ربيع الثاني ١٢٠٣ هـ وصلت مدينة "مراد آباد" من حيث خرجت، وهنا ألقيت عصا الترحال بعد الرحلة استغرقت سنتين وشهرين وأسبوعين فالحمد لله". [٩٩]

الرحلات الحديثة:

"ديـار عـرب مين جند مـاه" أي "شـهور فـي ديـار العـرب"
١٣٦٨هـ:١٩٤٩م.

تعد رحلة "شهور في ديار العرب" لمسعود عالم الندوي في رحـلات الحـج الهندية الحديـثة، وهـي نمـط جديـد مـن أدب الـرحلة يجعل منها وثيقة تؤرخ لتاريخ الجزيرة العربية بجوانبها المتنوعة وتتسم بميزة جديدة هي أن المؤلف الذي بدأ رحلته في ٢٨ جمادى الآخـرة، ٢٨ أبـريل ١٩٤٩م قـد سـلك طـريقا جديـدا يخـتلف عـن الحجـاج الهنود الذين سبقوه وهو السفر البحري من كراتشـي إلـى رأس الخيمة ومنها بالطريق البري إلى العراق ومنها إلى الكويت ثم نجد فالريض ثم توجـه بعد ذلك إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وهـذه الـرحلة نمـوذج للـرحلات الرسمية: و"العلامـة مسـعود عـالم الـندوي مـن كـبار علمـاء الـهند جنبـته ديـار نجـد، وأهلهـا، لأسـباب عديـدة، يأتـي فـي مقدمـتها الدعوة الإصـلاحية للشـيخ محمـد بـن عـبد الوهـاب فاشـتاق الرجل إلى لقاء علماء نجد، ليعرف منهم المزيد عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهـاب ونـزل ضـيفا فـي الـرياض على حكومـة جلالـة الملـك والـتقى بـالملك عـبد العزيـز وولـي عهـده فـي الثامن من ذي القعدة ١٣٦٨هـ:الأول من سبتمبر ١٩٤٩م".[١٠٠]

وكانـت هذه رحـلـة عـالم مسلم جليل، وباحث ومحقق لا يهتم فقـط بجغرافـية الجزيـرة العربـية، وبسـكانها وبصـحرانها وجـبالـها

وواحاتها، بل يخرج في رحلته واضعا أمام عينيه هدفا محددا يرمي إلى تحقيقه. والشيخ مسعود عالم الندوي عالم بالأردية وأديب عشق اللغة العربية منذ نعومة أظفاره، وظل دائما على صلة بالعرب والبلاد العربية، لكن هذه الرحلة إلى الجزيرة العربية كانت أول اتصال مباشر له بالعرب والبلاد العربية، وقد رجع من الرحلة في ٢٢ صفر عام ١٣٦٩هـ ديسمبر ١٩٤٩م.[١٠١]

وصل الندوي إلى مكة المكرمة عن طريق الطائف في الحادي والعشرين من ذي القعدة، فقضى شعائر الحج، وقصد المدينة المنورة للزيارة في الرابع من محرم عام ١٣٦٩هـ. وفي مكة التقى بالعلماء من جميع أنحاء العالم، والتقى بأدباء العالم الإسلامي، كما التقى بالسفراء وأمراء الحج، وسعد بلقاء جلالة الملك عبد العزيز مرة أخرى واحتك بطائفة المعلمين والمطوفين وصبيانهم، وتعامل مع أصحاب الحوانيت والمكتبات وأصحاب المدارس الدينية وغيرهم وكذا الحال في المدينة المنورة وقد وصف كل هؤلاء، باختصار تارة وبإسهاب تارة أخرى.

وصف المؤلف الإصلاحات التي قامت بها حكومة جلالة الملك عبد العزيز من رفع المستوى الثقافي والتعليمي، والتقى بكبار علماء نجد في مكة يقول: "جلسنا على سطح البيت، كانت الجلسة على الطريقة العربية، وكان من بين الحضور الأخ الثاني للشيخ وهو عبد الله بن إبراهيم، عبد اللطيف بن إبراهيم، وعبد الملك بن

إبراهيم "إمام مسجد القصر الملكي" كما قدم أيضا أحد تلاميذ الشيخ وهو عالم ممتاز يدعى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.[١٠٢]

وصل مولانا مسعود عالم الندوي إلى مكة المكرمة والتقى بعدد من الهنود المكيين نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن مظهر وأخاه الأكبر عبد الله مظهر وأخاه الأصغر محمد مظهر ومولانا عبد الوهاب الدهلوي كما زار المدرسة الفخرية وكان مولانا سيد سليمان الندوي (رئيس وفد جمعية الخلافة الذي قابل الملك عبد العزيز ليبلغه تأييد مسلمي الهند له بأن يكون خليفة للمسلمين) قد زار المدرسة الصولتية والتقى بمديرها الهندي المكي محمد سليم وبالدكتور زين العابدين الندوي، كما أدى مناسك العمرة. يقول الندوي عندما اقترب من مكة المكرمة: "الله! الله! بدت لنا حدود مكة من بعيد لبيك اللهم لبيك... مرت العربة بنا أمام مركز الشرطة وعلمنا أن الشيخ عبد الرحمن مظهر قد سأل عن العبد الفقير لعدة مرات، ووصلتنا رسالة تفيد أن السيارة ستكون في انتظارنا في مكتب البريد فاطمأن قلبي كثيرا... لابد أن بيت الله لا يبعد عن هنا... أربكتنا المباني العالية من جميع النواحي، لكن كل شبر من هذه الأرض مقدس، وكل شبر حرم، وكل ما فيها يخلب اللب، ويستهوي القلب، ولا يمكن للعطش الذي استمر طويلا أن تطفئه نظرة أو نظرتان، على كل حال وصلنا إلى نقطة شرطة المعابدة وتم فحص ومراجعة أوراق الحجاج، جاء هاتف عبد الرحمن مظهر وتوقفت العربة في مكتب البريد حيث كانت سيارة عبد الرحمن مظهر في

انتظارنا، وصلنا بيته فاستقبلنا استقبالا حارا، ورحب بنا بحب، وهو في الأصل من مدينة أعظم كره (Azamgarh)، ولد في مكة المكرمة، فقد هاجر والده من الهند واستقر في مكة، أما أخوه الأصغر محمد مظهر فقد درس في ندوة العلماء، وأخوه الأكبر عبد الله مظهر هو مدير رباط "بهوبال" (Bhopal) وهو يساعد أخاه في وظيفة "الطوافة"

وفي عشر دقائق تقريبا كنت قد وصلت إلى باب السلام، واضطرب القلب، فقد بدت الكعبة أمامي، واتجهنا مباشرة إلى الحجر الأسود، كان هناك هجوم للفراشات على الشمع، وكان الحرم بأكمله بقعة من نور، تحوم حولها الفراشات ، ووسط المنزل المعمور بالنور نقطة سوداء تبدو أكثر البقاع ضياء، وعلى حافة هذه النقطة كانت الفراشات تدور وتدور، فدخلنا نحن أيضاً في هذا المجال وأخذنا بدورنا ندور وندور".[١٠٣]

ويصف لنا المؤلف اللقاء الذي تم بينه وبين أحد المهاجرين الهنود فيقول: "قبل المغرب التقينا بمولانا عبد الوهاب الدهلوي، وهو من سكان دهلي، وتاجر ناجح، تقيم أسرته هنا منذ فترة طويلة، والدهلوي صار الآن لقباً ليس إلا، ومولانا عبد الوهاب رجل ف بالعلم الوافر والاطلاع الواسع، رجل متزن، قليل الكلام، بوب لدى جميع الناس، والكل يثني عليه ويمتدحه، عنده مكتبة جيدة، فيها كتب متنوعة، وهي المكتبة التي يمكن أن نطلق عليها بحق كلمة مكتبة، من بين مكتبات مكة، كنت قد التقيت به في لكناؤ

قبل حوالي خمس عشرة سنة، وهو مشترك دائم في "الضياء" تصله بانتظام، كانت صلاة المغرب قريبة ولهذا لم نتمكن من الاستمرار في الحديث".[١٠٤]

(حـ) الرحلات النسائية:

رحلة سلطان جهان بيجم أميرة بهوبال للحجاز عام (١٣٢١هـ: ١٩٠٣م.

نالت المرأة الهندية شرف كتابة رحلاتها إلى مكة سواء كانت زوجة عادية مرافقة لزوجها أو أميرة عظيمة لأعرق إمارة إسلامية في الهند، ونذكر هنا نماذج من هذه الرحلات، فقد قامت سلطان جهان بيجم أميرة إمارة بهوبال في الهند برحلة إلى الحجاز وألفت كتاباً شيقاً عن هذه الرحلة وعن الصعاب والخطوط التي كان الحاج يمر بها منذ قرن من الزمان حيث كان يسافر المسافر وقلبه يخفق من المخاطر المحدقة به. وفي هذا عبرة للحجاج الذين يسافرون للحج هذه الأيام بيسر وسهولة وبيان الكم الهائل من التحسينات التي قامت بها الأسرة السعودية وهي طفرة هائلة من حيث الكم والكيف ولا تخطئها عين إلى جانب الأمن والأمان الذي يشعر بهما كل من يزور الحرمين الشريفين الآن. وقد تولت الأميرة سلطان جهان بيجم حكم إمارة بهوبال[١٠٥] خلفا لوالدتها الأميرة شاهجهان بيجم في ١٦ يونيو ١٩٠١م (١٣١٩هـ). تقول في كتابها "جوهر اقبال": "كنت أتحرق شوقاً للحج وزيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم"[١٠٦]

طلبت الأميرة سلطان جهان الإذن من الحكومة الإنجليزية للسفر للحج وطلبت منها مرافقاً للسفر معها إلى ينبع وجدة والمدينة ومكة المكرمة وأن يتم استثناؤها من إجراءات الحجر الصحي الطويلة حيث كانت تجري للحجاج الهنود مرتين. الأولى في ميناء بومباي والثانية في ميناء كامران طبقاً لمعاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالصحة، وكذلك طلبت من الحكومة التركية التي كانت تحكم الحجاز آنذاك أن تسمح لها باصطحاب حرس وجنود مسلمين معها ولكن الباب العالي لم يسمح بذلك ووعدها بحراستها بجنوده.[١٠٧]

استأجرت الأميرة باخرة كبيرة وكان معها ثلاثمائة حاج وأربعون فرساً، وقامت الأميرة بعد أن تمت هذه المراحل بمراسلة بعض الشخصيات المهمة في الحجاز حتى يسهلوا إجراءات السفر والإقامة لها وأرسلت لهم الهدايا مع رسلها مولوي ذو الفقار أحمد النقوي ومولوي أعظم حسين وأحمد شكري آفندي وكانوا موظفين لديها في الإمارة فأرسلتهم إلى السيد الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة المكرمة، وكان له علاقات ممتازة مع إمارة بهوبال منذ عهد الأميرة إسكندرجهان بيجم. والسيد أحمد راتب باشا حاكم الحجاز، وكان قبل تعيينه حاكماً زار بهوبال واستمرت علاقته بالإمارة والسيد عثمان باشا شيخ الحرم المدني والسيد حسن مظفرشاه حاكما المدينة المنورة.

تحركت الباخرة "أكبر" التي استأجرتها الأميرة من بومباي في عام ١٣٢١هـ: يوم الجمعة ٣٠ أكتوبر ١٩٠٣م ورست الباخرة في ميناء عدن في الساعة الحادية عشر ليلاً السابع من نوفمبر ١٩٠٣م وتسلم قبطان الباخرة برقية من السيد ديوى قنصل جدة يخبره فيها بأن تصل باخرة سمو الأميرة سلطان جهان إلى جدة مباشرة ولا تتوقف في كامران.[١٠٨]

كانت الأميرة سلطان جهان تريد التوجه أولاً إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى مكة المكرمة وبقي على حلول رمضان المبارك يومان فقط، وحضر إليها بعض العسكريين واليد على يمنى القائم بأعمال المحاكم بجدة والمسؤول الطبي على الباخرة للسلام عليها وأخبروها أن السلطان المعظم مهتم بها وبحراستها وأمر بإرسال مدفعين وسبعمائة جندي تركي معها. وفي اليوم الثاني ركب أحمد آفندي وسليمان آغا باخرتها مع مائة وأربعة وتسعين جنديا والأشراف الأربعة المرسلين من قبل السيد شريف مكة، وغادرت الباخرة ميناء جدة يوم الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٠هـ: ٢٠ نوفمبر ١٩٠٣م وبعد أربع وعشرين ساعة رست الباخرة في ينبع واصطف المسؤولون الأتراك عندما رأوا الباخرة وجمعوا العساكر وقدموا إليها السلام الرسمي على الميناء وأطلقت المدفعية واحد وعشرون طلقة وكان على رأس المستقبلين لها مصطفى أفندي القائم بأعمال ينبع، ثم استأجرت الأميرة بيتاً قرب الساحل بستمائة روبية فأقامت فيه وأرسل لها مصطفى فرحت باشا مياه المدينة ورمانها وتمورها.

وفي السابع من رمضان المبارك غادرت قافلة الأميرة إلى المدينة المنورة ومرت في طريقها بمحصلى، وبئر سعيد وعين الحمراء وبئر عباس ثم قرية خيف وكانت سوقاً مبيرة للشعير.

كانت الأميرة تنوي الذهاب إلى مكة المكرمة من نفس الطريق التي جاءت منه ولكن الأخبار وصلتها بأن البدو يريدون الوقوف في وجه قافلتها فحثها شيخ الحرم أن تسافر إلى مكة المكرمة عن طريق البر مع القافلة الشامية فلا يكون خطر البدو، فقبلت مشورته.

وفي ١٦ ديسمبر ١٩٠٣ أبلغ القنصل البريطاني مستر ديفي (Devi) الأميرة سلطان جهان أن سفير الإمبراطور إدوارد السابع لدى القسطنطينية أبرق إلى السلطان المعظم بوصولك بخير إلى المدينة المنورة وأن السلطان المعظم أبرق إلى محافظ المحمل الشريف السيد عبد الرحمن باشا ومسؤول القافلة الشامية باصطحاب سمو الأميرة إلى مكة المكرمة في حراسة مشددة.

وفي تلك الأثناء عينت الأميرة محمد حماد مطوفاً وكان اسمه أبو الجود فعينته الأميرة على ثلاثين روبية خوفاً من غضب شريف مكة.

وقبل مغادرة الأميرة المدينة المنورة أقام حاكمها مأدبة كبيرة لها. وفي ٢٧ من ذي القعدة ١٣٢١هـ الموافق ١٣ فبراير

١٩٠٤م أحرمت الأميرة وألقت ا السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت بعد العصر من المدينة المنورة مع القافلة الشامية، ومرت من طريق "تبريز" ثم "بئر علي" وفي يوم ٢٨ ذي القعدة غادرت القافلة إلى مكة المكرمة، وكانت هناك مخاطر في طريق ينبع والمدينة المنورة إلا أن الأمير عبد الرحمن باشا نجح بالوصول بها إلى مكة في أمان.

وفي ٦ من ذي الحجة الموافق ٢٣ من فبراير ١٩٠٤م دخلت قافلة الأميرة مكة المكرمة وجاء حاكم الحجاز أحمد راتب باشا وشريف مكة عون الرفيق باشا مع جماعة من الجنود الأتراك لاستقبالها، وقدم إليها السلام العسكري ومظاهر التكريم الأخرى واصطحبها إلى مقر إقامتها في بيت الأستاذ أحمد لاو. وأرسلت ابنيها الأميرين إلى بيت حاكم الحجاز وأمير مكة للقائهما، وفي أثناء إقامة الأميرة في مكة المكرمة زارها عبد الرحمن باشا حاكم دمشق وأحمد راتب باشا حاكم الحجاز والشيخ محمد صالح الشيبي والسيد علي باشا الحصري مع زوجاتهم.[١٠٩]

ثم ذهبت الأميرة إلى الحرم الشريف لطواف القدوم والسعي لأداء مناسك الحج وذهبت إلى عرفات في الثامن من ذي الحجة وحجت يوم التاسع من ذي الحجة ثم رجعت إلى مكة المكرمة في ١٢ من ذي الحجة بعد تأدية مناسك المزدلفة ومنى. ولم يقبل حاكم مكة المكرمة أجرة البيت الذي أقامت فيه وقال لها: إن أخذ أي فلس كأجرة للبيت يكون عاراً للسلطة العثمانية.

وفي ٢٢ من ذي الحجة الموافق ١٠ مارس ١٩٠٤م غادرت الأميرة وقافلتها مكة إلى جدة ورتب حاكم الحجاز أحمد راتب باشا للأميرة الإقامة في بيت "بجيرا" وكان مريحاً تقول عنه الأميرة: "في الرجوع من مكة تملكنا التعب والنصب واسترحنا في هذا البيت الذي لم يكن أقل بحال من الأحوال عن "صدر منزل" أي قصر الأميرة في بهوبال.

وفي يوم ٢٥ من ذي الحجة الموافق ١٣ مارس ١٩٠٤م غادرت الباخرة "أكبر" جدة بعد وداع رسمي من القنصل البريطاني في جدة ونائب القنصل الدكتور محمد حسين والسيد جي بي ديفي (J.B. Devi) ووصلت الباخرة بومباي في ٧ محرم ١٣٢٢هـ: الموافق ٢٥ مارس ١٩٠٤م.[١١٠]

وقد توالت رحلات الحج النسائية إلى مكة المكرمة، ومن أهم هذه الرحلات رحلة محمودة عثمان حيدر "مشاهدات بلاد إسلامية" وكانت قد سافرت مع زوجها سيد عثمان حيدر للحج وزيارة الأماكن المقدسة والبلاد الإسلامية في الشرق الأوسط وكان زوجها يعمل موظفاً في شركة البترول الإنجليزية الإيرانية وتتميز الرحلة بأنها من تأليف سيدة رأت الأحداث بعين المرأة وقدمت معلومات مفيدة جديرة بالاهتمام.[١١١]

ثم جاءت رحلة "أرض مقدس" لكنيز محمد بيجم كنموذج لرحلة سيدة شرقية للحج عام ١٩٦٤م وقد اجتهدت في وصف مكة والمدينة من جانب المرأة وكانت صديقة في وصفها.[١١٢]

وتحدثت وحيدة نسيم في رحلتها للحج "حديث دل" أي حديث القلب عن استمتاعها بأداء الصلوات والعبادات في الحج وفي مكة وهو ما لم تشعر به من قبل، وقدمت وصفاً ممتعاً للحياة الاجتاعية في مكة والمرأة المكية.[١١٣]

ومع أن سيدة حميدة فاطمة حاولت في رحلتها "لاهور سي ديار حبيب تك" أي من لاهور إلى ديار الحبيب تقديم مشاعرها الخاصة لكن رحلتها تعد حلقة ذهبية في سلسلة رحلات الحج القديمة وقدمت فيها علاوة على تفاصيل الرحلة أركان الحج ومصطلحاته والأماكن المقدسة بالتفصيل وتناولت تاريخ الحجاز ومكة المكرمة تقول: "عندما وصلت إلى مكان الصفا والمروة رجع ذهني آلاف السنين ورأيتها بعين تخيلي، أب مع ابنه الرضيع البالغ من العمر عامين وزوجته في السبعين من عمرها وقد هاجروا من الشام إلى الحجاز حتى وصلوا إلى هذا الوادي بعد طوي الصحارى والقفار، ذلك الوادي الذي يصفه القرآن الكريم بأنه "وادي غير ذي زرع" الأم تشعر بالجوع والعطش من ناحية، والابن عطشان وهي تحاول أن تسليه لينسى العطش".[١١٤]

وقامت زليدة برحلة حجازية سنة ١٩٨١م وهي "زهي نصيب " يا للسعادة، تناولت فيها أركان الحج وتاريخ الحجاز ومكة المكرمة وسيرة الرسول العطرة.[١١٥]

(د) الرحلات الشعرية:

كان للشعر نصيب واف في رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة حيث فاضت قرائح شعراء شبه القارة الهندية بلواعج أشواقهم نحو مكة المكرمة والمدينة المنورة والروضة الشريفة وأنتجوا نماذج جيدة من رحلات الحج الشعرية صاغوها في قوالب شعرية تناسب هذه الأحداث مثل المثنوي والمسدس والقطعة والرباعية، وبالطبع كانت هذه الرحلات الشعرية أقل عدداً من رحلات الحج النثرية وذلك لأن هذا النوع من الرحلات لا يستطيع صوغه إلا الشعراء الفحول.

وتعد رحلة الأديب الشاعر ماهر القادري "قافلة الحجاز" من رحلات الحج الشعرية الهامة وقد طبعت الرحلة عام ١٣٨٤هـ: ١٩٥٥م وأعيد طبعها مرة ثانية في عام ١٣٧٥هـ:١٩٥٦م وعام ١٣٨٥هـ:١٩٦٥م. وماهر القادري شاعر عظيم فاضت قريحته أشعاراً تقطر عذوبة ورقة يقول عندما بدأ رحلته إلى الأراضي المقدسة واستقل الباخرة "سفينة العرب": -

صار الفكر قرينا للخيال

وصار القول مطابقاً للعمل بإحسان

لم يعد بين القلب والنظر حجاب

ولو قدر بيان

حين انطلقت سفينة العرب

تجاه جزيرة العرب

قال العشق طربا، مرحبا مرحبا

و راح الشوق يجذب تلابيبنا

إلى بيت الرحمن.

وعندما يصل الشاعر إلى يلملم حيث ميقات حجاج شبه القارة الهندية يعبر عن مشاعره بقوله:

فها قد بدأنا الاستعداد للإحرام

وها نحن بين لحظة وأخرى

سنصل قريبين من يلملم.[116]

لمن أحكي عن أحوال قلبي

وكيف أحكي!

إنه مثل قطرة الندى ترتعد

تهتز أمام أشعة الشمس

ويقول مخاطبا قلبه:

يا قلب تمالك... وتماسك!

نحن مقبلون على مهبط الوحي

فتمالك وتماسك!

يا قلبي الضعيف افرح واسعد

فرب العالمين يعرف أنك مكلوم

تمالك وتماسك

وانظر سحب الرحمة تلوح في الأفق

ستسقط أمطارها في يوم معلوم

فتمالك وتماسك

وعندما يودع مكة المكرمة ينشد:

الوداع يا أرض جزيرة العرب الطاهرة

ذراتك حافظة للرفعة والرشاد

والوداع يا أرض الذكر والصلاة

الوداع يا موطن العفو والنجاة

الوداع أيتها الأرض بلا زرع، بلا ماء

الوداع يا جنة العين والفؤاد

ها قد افترقنا عن جبل بوقبيس وجبل الصفا

الوداع يا مقام إبراهيم.

الوداع أيها المطاف والركن اليماني والحطيم

الوداع يا حمام الحمي

الوداع يا أهل التقوى أهل الحرم أهل الكرم

الوداع يا جوار بيت الله

الوداع يا ملجأ الضعفاء

الوداع يا بئر زمزم

يا سبيل الله للعطشى

الوداع يا ذكرى إسماعيل

الوداع يا أرض الحرم

بارك الله فيك

ففي ترابك للوفاء جذور

فالوداع الوداع

يا أرض الضمير الطاهر.[١١٧]

وكتب خطيب قادر بادشاه رحلته للحج بالنثر أولاً ثم عاد فنظمها شعراً بعنوان "سفر حجاز" أي "الرحلة الحجازية" وصف

فيها تجربته الإيمانية أمام الكعبة وفي عرفات، وعندما يصل إلى الأراضي المقدسة يلهج لسانه بالدعاء والشكر لرب العالمين الذي وفقه في الوصول إلى هذه الأرض الطاهرة:

ألف ألف شكر

لله رب العالمين

فها قد وصلنا إلى

الهدف المنشود يا إلهي!

وصل عبدك المسكين

إلى بيتك المحرم

على لسانه كلمة

نداء لبيك لبيك

تنطلق في السماء

وجسمه ملفوف

برداء الإحرام

وفي سنة ١٣٦٨هـ:١٩٤٨م نظم مولانا ضياء القادري البدايوني رحلته إلى الأراضي المقدسة بعنوان "ديار نبي" وكان

أدى فريضة الحج عام ١٣٦٨هـ وتمتاز هذه الرحلة المنظومة بالتلقائية وقوة المشاعر والعاطفة الجياشة وعدم التكلف. فبعد أن طاف الشاعر طواف الوداع مضى مخلفاً وراءه الكعبة المشرفة:

الحمد لله فقد أديت

فريضة الحج

وحسنت عقيدتي

يا إلهي!

ها هو عبدك يودع

بيتك بعد أن حسنت نيتي

أين لي بعد ذلك طواف الكعبة

أين لي بعد ذلك

رؤية الحرم

أتطلع إلى بيت الله الحرام

بعيون الفراق

ويعتصرني الحزن والألم

فقد انتهى العناق

يا إلهي!

أنت مولاي

تفعل ما تشاء [118]

ومن الرحلات المنظومة حديثاً رحلة "فيوض الحرمين" للشاعر سيد محمد عبد العزيز شرقي، نشرت عام ١٤٠٠هـ: ١٩٨٠م. يصف الشاعر زيارته للمدينة المنورة بعاطفة قوية ومشاعر جياشة ويصف الشاعر مشاعره عندما يرحل عن المدينة المنورة يقول:

يا مدينة الحب،

ها قد حان وقت الفراق

مرت الأيام سريعة وأنا في غفلة

يا للحسرة...

فؤادي، عيوني، عمرت بالنور

سأنوي كل عام أن أشد الرحال

إلى مسجد الرسول وأنثر الورود والزهور

فامنحني يا إلهي هذه النعمة

فأنت القادر وعبدك عاجز وشكور. [119]

(هـ) الرحلات الخيالية:

الرحلة الخيالية هي الرحلة التي وصفها مؤلفها على لسان رحالة وهمي، سافر إلى منطقة ما، ووصف أحوالها، أو تخيل المؤلف نفسه وقد سافر إلى منطقة ما، فيصفها من خلال قراءاته، أو ما توفر لديه من معلومات حصل عليها من هذا أو ذاك.[١٢٠]

وتعد رحلة محمد إقبال (١٨٧٧ـ ١٩٣٨م) المعروفة باسم "أرمغان حجاز" أي هدية الحجاز من أهم رحلات الحج الهندية الخيالية، وكان إقبال قد نظم ديوانه "جاويد نامه" أي رسالة الخلود[١٢١] التي تشبه رسالة الغفران للمعري، والكوميديا الإلهية لدانتي(Dante). وكان لإقبال"بانک درا" أي "صلصلة الجرس" هي شكوى، ومستشفى الحجاز، وحاج في طريقة المدينة، وقد تخيل في قصيدته الأخيرة هذه قافلة الحجاج تسير بين مكة والمدينة ويخرج عليهم قطاع الطرق ويعبر إقبال عن مشاعر الركب على لسان حاج جاء من بخارى للحج في قافلة حجاج من تركستان، ووصف المحمل الشامي الآمن من سلب البدو ونهبهم، ويعبر إقبال هنا عن المشاعر المتضاربة للحجاج الذين نهبت قافلتهم وقتل بعض الحجاج على يد البدو وتصميم الفتى البخاري على المضي قدماً نحو المدينة المنورة بعد أن نجا من الموت فمضى وحيداً يقول:

سرقت القافلة في الصحراء والمنزل بعيد

وأصبح رفاقي في السفر صيداً لسكين قاطع الطريق

ومن نجا منهم اتجه على غير هدى إلى بيت الله

أي سعادة تلك التي جعلت ذلك الشاب البخاري يضحي بنفسه،

فقد نال الحياة في قسم الموت -

كان خنجر قاطع الطريق كأنه هلال العيد -

وصيحة التوحيد على الشفاة

يقول الخوف: لا تتجه وحدك إلى يثرب

ويقول الشوق: أنت مسلم فامش بلا خوف

فهل أرجع إلى بيت الله بدون زيارة النبي؟

وكيف أواجه العشاق يوم القيامة؟

إن من يطوي صحراء الحجاز لا يخاف على روحه،

وهذا هو السر الخفي لهجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) مدفون يثرب.[١٢٢]

ويرى الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم أنه "رغم أن إقبالا تخيل قصة قافلة الحجيج هذه إلا أنها خيال قريب من الواقع، واقع

الجزيرة العربية قبل أن يوحدها المغفور له الملك عبد العزيز، فينشر الأمن في ربوعها، والحكايات والروايات التي جاءت على لسان الرحالة الهنود وغيرهم تؤكد ذلك، ومن هنا فقصة إقبال الخيالية أقرب إلى الواقع".[١٢٣]

عاش إقبال طول حياته يتوق لأداء فريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة، وكان كلما ذكر اسم المدينة المنورة أمامه تفيض عيناه بالدموع، ولم يقدر له الحج وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لظروف مرضه وضعفه، فرحل إلى الحجاز بخياله القوي وشعره العذب، وقلبه الذي ملأه الشوق، وتخيل إقبالاً نفسه وقد سافر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وهكذا عاد ليحمل لأصدقائه ولأهله ولأمته "هدية الحجاز" يقدمها لهم فكراً جميلاً وشعراً عذباً، بالفارسية والأردية. وقد قام إقبال برحلته إلى الأراضي الحجازية في وقت قارب فيه الستين:

رحلت...

رغم شيبي وضعفي

أنشد أشعاري -

في سرور وحنين

فلا تعجب

فالطائر يحلق طول نهاره

في الصحراء والبوادي

فإذا أدبر النهار

وأقبل الليل

رفرف بجناحيه

باحثاً عن وكر ليأوى إليه.

هكذا فسر الشاعر قيامه برحلته الخيالية إلى الأراضي المقدسة، وهكذا كتب ديوانه الأخير الذي نشر بعد مماته بعنوان "أرمغان حجاز" أي هدية الحجاز، وإن شئنا الدقة هدية العائد من الحجاز بعد أداء فريضة الحج، فقد ودع إقبال الحياة في ٢١ أبريل ١٩٣٨م وفي نوفمبر من العام نفسه نشر ديوان "أرمغان حجاز".[١٢٤]

ويناجي إقبال ربه في بداية ديوان "أرمغان حجاز" قائلاً:

ما أسعد المسافر الذي لا يحمل متاعاً

قلما يقبل قلبه فضيحة الأحباب

فتح الصدر بآهاته المحرقة

فآهة واحدة من آهاته

تقضي على حزن مائة عام.

ويمضي إقبال يخاطب ناقته وقت السحر وهي تمضي به على الدرب متجهة نحو المدينة المنورة:

قلت للناقة وقت السحر: تهدي في سيرك

فالراكب مجروح ومريض وعجوز

فسارت تخطو كالسكران

حتى أنك تظن أن رمال الصحراء

أضحت تحت قدميها حريراً

شد اللجام لا يليق بها أيها الجمال

فروحها بصيرة كروحنا

عرفت من تموجات سيرها

أنها أسيرة مثلي داخل طلسم القلب.[١٢٥]

وعندما وصل إقبال بخياله إلى المدينة المنورة أنشد:[١٢٦]

أنا غريب عن هذه المدينة

فاستمع إلى عويلي

وانصت إلى أناتي العليلة

لكي تقوم القيامات في صدرك أيضاً

استمع لأغنياتي

الممزوجة بالغم

المعجونة بالحزن

ونغمات قلبي الحزين

ليست عامة في هذه الدنيا.

(و) رحلات الحج للأطفال:

رغم الأعداد الوفيرة من رحلات الحج الهندية إلا أنه من المثير للدهشة أن معظم رحلات الحج كتبت للكبار وأنهم لم يشعروا بضرورة كتابة رحلات للأطفال وأن هذه الرحلات لم تنشر حتى الآن على هيئة كتاب. وأعظم ما فعله الكاتب مسعود أحمد بركاتي أنه عندما أدى فريضة الحج لم يكتب تأثراته للكبار بل وضح حقيقة الحج للأطفال ونشر رحلته على حلقات في مجلة "نونهال" الشهيرة (البراعم) ونسلم بأنها أول رحلة حج هندية للأطفال، ومسعود أحمد كان أديباً للأطفال ولديه الموهبة والمقدرة على أداء الموضوعات الصعبة بلغة بسيطة سهلة الفهم وللأطفال وقد راعى في تقديمه للرحلة أن تكون ملائمة لفهم الأطفال وتخاطب عقلية الطفل كما استعان بالصور الخاصة بالكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي

وبئر زمزم والحجر الأسود ومقام إبراهيم وبذلك رسَخ مناسك الحج وأحداثه والأماكن المقدسة وتاريخ مكة وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قلوب الأطفال.

وكانت ثاني رحلة حج للأطفال قد كتبها محمد طفيل بعنوان: "سفرنامه" حيث قدم جميع مناسك الحج من وجهة نظر الطفل واجتهد في تقديمها بلغة الأطفال وقدمها في قصة وضح من خلالها الشخصيات وأماكن الحج ومناسكه في حدود احترام العقيدة، وقد أدى محمد طفيل هذه الفريضة بأسلوب جميل، ونشرت رحلة الحج هذه في مجلة "نقوش" في العدد الخاص بمحمد طفيل.[١٢٧]

المبحث الثالث: أثر رحلات الحج الهندية في مسلمي شبه القارة الهندية.

(ا) مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية:

ظلت مكة المكرمة حاضرة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية وعقولهم وستظل تهوي إليها أفئدتهم، ومنتهى أملهم أن يشدوا الرحال إليها مهاجرين ومجاورين، وكانوا يعتبرونها وطناً ثانياً لهم خاصة بعد أن أفتى بعض العلماء بأن الهند "دار حرب"، واتخذوا منها ملاذاً آمناً وقاعدة للتعليم والدراسة ونيل الإجازات العلمية من حرمها المكي ومن ثم الجهاد والإصلاح، وقد تركت رحلات الحج إلى مكة أثاراً بليغة في مسلمي شبه القارة الهندية

وهذا التأثير جذبهم إليها مهاجرين ومجاورين، وتسابق الملوك والأمراء في إرسال التحف والهدايا والأموال إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في المناسبات المختلفة طمعاً في الثواب فالملك المغولي ظهير الدين بابر (١٢٥٦-١٥٣٠م) أرسل هدايا ثمينة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة شكراً لله لانتصاره في معركة باني بت (١٥٢٦م).[١٢٨]

وعندما هزم الملك همايون (١٥٣٠-١٥٤٠م) أخاه كامران أرسله للحج وأرسل معه هدايا كثيرة لأهل الحرم، وعندما انهزم بيرم خان أمام الملك المغولي أكبر (١٥٥٥-١٦٠٥م) طلب منه الإجازة للذهاب إلى البلاد المقدسة، وعندما سافرت كل من السيدة جلبن والسيدة سليمة سلطان للحج عام ١٥٧٥م [١٢٩] ودعهما الإمبراطور جلال الدين أكبر وزودهما بالتحف والخلع والملابس لتوزيعها على سكان الحجاز، وكان يرتب أمور الحج كل عام ويحفظ طرق الحجاج ويرسل تحفاً وهدايا لأهل مكة المكرمة والمدينة المنورة.[١٣٠]

وظلت مكة المكرمة أهم مركز لجذب العلماء الهنود بشكل خاص وعلماء العالم الإسلامي من الشرق والغرب على السواء مما جعلها عاصمة للثقافة الإسلامية قديماً وحديثاً، وقد ضاعف من مكانة مكة الثقافية والريادة العلمية الموجات المتتالية من الرحلات العلمية التي قام بها علماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي طلبا

للعلم والمجاورة لبيت الله الحرام والتي كانت تستغرق سنوات وأحياناً مدى الحياة، وقد ساهم العلماء المجاورون في وجود مثل هذه الظاهرة الفريدة التي انفردت بها مكة دون غيرها من الحواضر الإسلامية.

وبدأت مكة المكرمة تستقبل أعداداً كبيرة من الهنود مهاجرين ومجاورين مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكان لهؤلاء الهنود دور بارز في الحركة العلمية في مكة المكرمة عبر العصور بعد أن صاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي لسكان مكة من خلال إنشاء المدارس والكتاتيب والتدريس في الحرم وتأليف الكتب عن تاريخ مكة وكانوا من بين البيوت التي انقطعت للعلم.

وقد أظهر بعض الحكام المسلمين الهنود عناية بالتعليم في مكة، وأسسوا عدداً من المدارس منها المدرسة الغياثية أو البنغالية أسسها الملك منصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب البنغال وبنيت في جمادى الأول عام ٨١٤هـ وكان أوقافها بالضيعة المعروفة بالركابي بواد قريب من مكة المشرفة. [١٣١]

وأسس أحمد شاه (٨١٤-٨٤٥) أحد حكام الدولة الكجراتية مدرسة في مكة المكرمة عرفت باسم المدرسة الكنبائية نسبة إلى حاضرة إحدى ولايات كجرات، وممن درس بها المؤرخ الشهير

قطب الدين النهروالي، ووالده وكانت تدرس الفقه الحنفي وتقع بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام [١٣٢] وقد أزيلت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وبنيت في موضعها المدرسة السليمانية وكان لها وقف في الكجرات ترسل غلاله إلى مكة المكرمة لينفق منه على المدرسين والطلاب ومن يقيم في الرباط. [١٣٣]

وفي سنة ١٦٧٨هـ:١٨٦٢م هاجر إلى مكة الشيخ رحمت الله الكيرانوي وحصل على الإجازة بالتدريس في المسجد الحرام وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم، وأسس في مكة أول مدرسة حديثة عام ١٢٨٥م، وسميت المدرسة الصولتية سنة ١٢٩٢هـ نسبة إلى الأميرة صولت النساء وهي أميرة هندية مسلمة تبرعت ببنائها، وبقي الشيخ رحمت الله مديراً لها إلى وفاته في ٢٢ رمضان سنه ١٣٠٨هـ:١٨٩١م ودفن في مقابر مكة. [١٣٤] ومكانها اليوم بحارة الباب بالخندريسة.

وقام الشيخ عبد الحي قارئ أحد الأساتذة في المدرسة الصولتية بتأسيس المدرسة الفخرية بجوار باب إبراهيم في عام ١٢٩٦هـ ودعا أثرياء الهند إلى مساعدته فتم له ما أراد وشرعت مدرسته تؤدي دورها في خدمة مكة المكرمة. وفي سنة ١٣٣٠هـ أسس محمد علي زينل مدارس الفلاح في كل من مكة وجدة وبومباي، وتأسست في حارة الباب ثم انتقلت إلى القشاشية أمام باب علي قبل توسعة المسجد ثم أسست لها بناية في الشبيكة وهي باقية فيها إلى اليوم. [١٣٥]

كما أسس الهنود في مكة المكرمة عدداً من الكتاتيب لتعليم الأولاد والبنات ومن أهمها كُتاب الشيخ أحمد السوركتي الذي أسسه في مستهل القرن الرابع عشر الهجري في حارة الباب بمكة المكرمة وعندما تأسست مدرسة الفلاح بمكة ١٣٣٠هـ انضم جميع طلاب هذا الكُتاب إلى المدرسة وكانوا نواة لها. [١٣٦]

وكتّاب المدرسة الصولتية للبنات: وكان تأسيسه في عام ١٣٤٠هـ ويقع في حارة الباب بالقرب من المدرسة الصولتية واستمر هذا الكتاب حتى عام ١٣٨٣هـ:١٩٦٣م.

وكتّاب الأستاذة الهزازية: وكان موجوداً في منزل آل الكندواني في الصفا ومدخله من باب قرب باب الصفاء، وكان يدرس فيه مبادئ اللغة الإنجليزية والأردية بمساعدة بنات الحاج سيت محمد الكندواني وتأسس في أواخر الأربعينات. [١٣٧]

(ب) أثر رحلات الحج الهندية في العلماء وحركات الإصلاح والتحرير الهندية:

تركت رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة آثاراً عديدة في العلماء وحركات الإصلاح والتحرير في شبه القارة الهندية نظراً لانتقال الأفكار السياسية والدينية إلى شبه القارة الهندية عن طريق الرحالة الهنود وكان بعضهم يقيم في مكة المكرمة والمدينة المنورة لسنوات يطلب فيها العلم يعود إلى الهند فينقل إليها خلاصة تجاربه

العلمية والسياسية والإصلاحية ويكتب عن رحلته هذه ليستفيد منها من يريد الذهاب للحج أو من لا يستطيع الذهاب من خلال قراءتها.

١ - أثر رحلات الحج الهندية في علماء الهند:

كان الحرم ولا يزال – إلى أن يرث الله الأراضي ومن عليها – مصدر إلهام لكتاب الرحلة من العلماء الهنود الذين نالوا شرف القدوم إليه والمجاورة فيه وتدوين رحلتهم الإيمانية إليه ووصف المناسك والأماكن والأسواق، وطبيعة أهل مكة وتقاليدهم، ويتفاوت هذا الكم من أدب الرحلات إلى الحج في أهميته الأدبية لأن ذلك له علاقة بموهبة الكاتب وخبراته وإبداعه.

وكانت مكة المكرمة ولا تزال ملاذاً للعلم والعلماء والمجاورين من أنحاء العالم الإسلامي وقد قدموا إليها ليتعلموا ويؤلفوا الكتب وبالتالي فلها تأثير في ثقافة مسلمي الهند من العلماء خاصة. وقد اقترن الحج بطلب العلم وفرصة لقاء العلماء والتلاقح الفكري وتبادل الأفكار العلمية والتتلمذ على مشاهير علماء الحرمين الشريفين الذي كان بمثابة جامعة إسلامية كبيرة تضم علماء وطلاب علم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان علماء الهند يطمحون في نيل الإجازات العلمية من شيوخ الحرمين الشريفين حتى إذا رجع العالم إلى الهند صار مبرزاً على أقرانه من العلماء.

ويصعب على الباحث حصر جميع علماء الهند الذين تأثروا برحلات الحج إلى مكة المكرمة بسبب كثرتهم ولهذا نكتفي بالإشارة

إلى بعض من ذاع صيتهم مثل أسرة الشاه ولي الله الدهلوي التي لم تنقطع عن زيارة مكة المكرمة منذ أن قام الشاه ولي الله الدهلوي برحلته إلى مكة المكرمة للحج ودونها في كتاب بعنوان: "فيوض الحرمين" ١١٦١هـ:١٧٢٨م. يقول الشاه ولي الله الدهلوي: "شاء الله أن تكون مكة المكرمة بقعة طاهرة ذات مآثر جليلة خالدة، يقصد إليها من كل حدب وصوب تلبية لنداء الحج، وطمعاً في أداء المناسك وكان لا بد من اجتماع الناس في هذا الموسم المبارك على النحو الذي نرى، إظهاراً لشوكة المسلمين، وتنبيهاً إلى عددهم وعدتهم، حتى يعلو منار شرع الله، وتنشر ألويته، ويغلب على كل قطر من الأقطار".[١٣٨]

وقد أثرت رحلة الحج في الشاه ولي الله الدهلوي وفي مؤلفاته وفي فكره الإصلاحي حيث قام باستعراض مفصل لحالة المسلمين المتردية في الهند في منتصف القرن الثامن عشر واعتبر أن المشاكل الاجتماعية التي يواجهها المسلمون كانت نتيجة لضياع السلطة منهم وتفشي الفساد الأخلاقي بين المسلمين لذلك كان الهدف الأساسي لحركته هو إحياء الأخلاق القويمة في مجتمعه والتي ترتكز على نهج أهل السنة والجماعة ويتجلى ذلك من خلال كتابه "حجة الله البالغة" وقد طبع في الهند ومصر مراراً.[١٣٩] وقام ابنه الشاه رفيع الدين (١١٧٦هـ:٨٥٣م-١٢٣٠هـ:١٨١٤م) بترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية – اللغة الرسمية للهند آنذاك. كما ترجم

ابنه الشاه عبد القادر القرآن إلى اللغة الأردية باسم "موضح قرآن" ولهذه الترجة مكانة بارزة في تاريخ التراجم الأردية للقرآن الكريم القديمة والحديثة على السواء. [١٤٠] وكانت للفتوى الشهيرة التي أصدرها ولده الشاه عبد العزيز بأن الهند "دار حرب" دور كبير في هجرة العديد من علماء الهند إلى مكة المكرمة والإقامة بها ثم العودة إلى الهند لإثراء الحركة الفكرية والإصلاحية بها.

وفي المدينة المنورة كان الشيخ السندي قد أخذ العلم عن الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، كما أخذ عنه أيضاً الشاه ولي الله الدهلوي، وعاد إلى بلاده ونشر دعوته الإصلاحية فيها، وبذلك يكون بروز المصلحين في العالمين العربي والإسلامي، وفي مقدمتهم الشيخان ولي الله الدهلوي ومحمد بن عبد الوهاب، وكان الشاه ولي الله قد استقر بالمدينة المنورة في الفترة بين مارس ١١٤٣هـ حتى ١١٤٥هـ. [١٤١]

وجذب الجو العلمي في الحرم المكي الكثير من علماء الهند ومنهم قطب الدين محمد بن علاء الدين النهر والي الهندي ثم المكي الحنفي دفين مكة المكرمة وصاحب طبقات الحنفية، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام، وكتاب "البرق اليماني في الفتح العثماني". [١٤٢] وبرز من آل القطبي الشيخ محب الدين أخو قطب الدين وابنه علاء الدين وعبد الكريم وابنه أكمل وحفيده أسعد ولبعضهم مؤلفات في التاريخ وكانوا يسكنون بجوار باب في

المسجد الحرام يعرف بباب القطبي وكان معروفاً قبلهم بباب الهنود.[١٤٣]

والشيخ محمد رحمت الله (١٢٩١-١٣٠٨هـ) قد اشتهر بمناظرته لرئيس البعثة التنصيرية بالهند واسمه فندر[١٤٤] وعندما احتل الإنجليز الهند ثار الشيخ رحمت الله على الاستعمار فاستولى الإنجليز على ممتلكاته فهاجر إلى مكة عام ١٨٥٧م وحصل على إجازة للتدريس في المسجد الحرام، وتوفي عام١٨٩١م. وقضى أكثر من نصف عمره العلمي والجهادي في مكة المكرمة التي شكلت أهم نتاجه الفكري ومن أبرز مؤلفاته التي كتبها بالعربية كتاب "تقليب المطاعن" ١٨٤٢م، والبروق اللامعة.[١٤٥] وقد أشار على الأميرة المجاورة صولت النساء بحاجة مكة المكرمة إلى مدرسة لتعليم أبنائها وأبناء المسلمين فعهدت إليه بذلك فقام بشراء قطعة أرض في حارة الباب وبنى عليها المدرسة "الصولتية" نسبة إليها وفتحت أبوابها في سنة ١٢٩٢م ولا تزال مفتوحة حتى الآن.

وقد أثرت رحلة الحج لذلك في العالم عبيد الله السندهي الذي ولد لأسرة سيخية في قرية جتانوالي بمديرية سيالكوت في إقليم البنجاب (باكستان الحالية) في محرم ١٢٨٩هـ:مارس ١٨٧٢م، ورحل إلى السند وشرح الله قلبه للإسلام على يد أحد شيوخ السند الكبار حافظ محمد الصديقي وتسمى بعبيد الله السندهي، وذهب إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ:١٩٢٦م للحج وظل في مكة نحو اثني

عشر عاماً فقد عاد سنة ١٩٣٨م لينهمك في العمل السياسي إلى أن وافته المنية ١٩٤٤م ودفن في خان بور بالبنجاب. وفي مكة المكرمة أشرف على طباعة كتاب الشاه ولي الله "المستوى من أحاديث الموطأ" وألف بالعربية "التمهيد لأئمة التجديد" وهو ... ن أقوال الشاه ولي الله الدهلوي وأولاده وأحفاده من بعده.[١٤٦]

وهناك أثر آخر يمكن أن يضاف في هذا الجانب ولا يمكن تجاهله ألا وهو الأثر اللغوي لرحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة في اللغة الأردية من خلال دخول كلمات عربية لا حصر لها إلى اللغة الأردية وردت في هذه الرحلات. فمن حيث الشكل نجد أن الرحالة الهنود كانوا مولعين بإطلاق أسماء عربية على رحلاتهم وهي في الوقت نفسه تعكس مشاعرهم تجاه الأراضي المقدسة مثل: "زاد غريب"، و"وكيل الغربا"، و"أرض القرآن"، و"رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق"، و"السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف"، و"مشاهدات حرمين"، و"سفر سعادة"، و"جمال حرمين"، و"راحة القلوب"، و"حرمين شريفين"، و"سفر حجاز"، و"زاد الزائرين"، و"رحلة المسكين إلى البلد الأمين"، و"صراط الحميد"، و"سبيل الرشاد"، و"حج صادق"، و"رحلة الصديق إلى البيت العتيق"، و"لبيك"، و"سفر مقدس"، و"سفر شوق"، و"أرض تمنا"، و"مشاهدات بلاد إسلامية"، و"أرض مقدس"،

و"فيوض الحرمين"، و"جذب القلوب إلى ديار المحبوب"، و"ديار حبيب"، و"سوانح الحرمين" وغيرها.

أما من ناحية المضمون فنجد أن انتقال المصطلحات العربية الخاصة بالحج والمناسك والأماكن المقدسة وأسماء القرى والمدن التي مروا بها إلى اللغة الأردية قد ساهم في إثرائها حيث كانت تذكر كما هي باللغة العربية وكان لذلك بليغ الأثر في ظهور وعي ديني كبير بالفقه والأحاديث النبوية. ومن الطريف كذلك أن مسلمي الهند بدءوا يطلقون أسماء: مكة ومدينة وكعبة وجزيرة على بناتهم.

٢- أثر رحلات الحج الهندية في حركات الإصلاح والتحرير الهندية:

لم تكن مكة قبلة المسلمين التي يتوجه إليها مسلمو الهند كل يوم خمس مرات فحسب، بل كانت تؤثر في حركات الإصلاح والحركات التحريرية في الهند من خلال رحلات الحج الهندية التي لم تنقطع يوماً عن مكة المكرمة ويكمن هذا التأثير في أمرين: الأمر الأول: يتمثل في وجود جالية هندية كبيرة في مكة المكرمة. والثاني التأثير الديني والسياسي للحج في العائدين إلى الهند، وقد أثر هذان العاملان في إذكاء الثورة ضد المستعمر الإنجليزي وفي حركات الإصلاح الديني.

وكان لعلماء الهند في مكة أثر شديد في مسلمي الهند، وكانوا بالهند وكان الهنود يأتمرون بأمر قادتهم؛

الموجودين في مكة من خلال الكتب المؤلفة في مكة والتي كانت تصلهم، وهي كتب من قبل علماء يحظون باحترام مسلمي الهند ولهم تأثير مباشر وكان هؤلاء هم المحرض الأول على الثورة ضد الإنجليز وحركات الإصلاح الديني، وكان لمكة بفعل ما لها من دور إشعاع ديني وجاذبية الحج إليها دور مهم في التأثير في حركات الإصلاح الهندية و نذكرها فيما يلي:

حركة الشاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٢-١٧٦٢م):

قامت هذه الحركة الإصلاحية في الهند واشتد عودها بعد عودة الشاه ولي الله الدهلوي من رحلة الحج التي قام بها عام ١٨٢٧م والتقى بعلماء الحرمين الشريفين وتأثر بهم وبأفكارهم. وكان العالم الإسلامي يغص بالحركات الإصلاحية والثورية التي كانت تنبعث من آن لآخر ضد الحكومة الإنجليزية، ولم يكن لدى المسلمين أية وسيلة يستطيعون بها منع القوى غير الإسلامية الأخرى في الهند مثل السيخ والمرهتا والجات بالإضافة إلى الإنجليز، والقضاء عليهم خاصة في الوقت الذي ضعفت فيه الإمبراطورية المغولية، ولم يعد لها أي دور حقيقي في حكم الهند وقد عم المجتمع الفقر وانتشرت الأمراض الاجتماعية بين المسلمين في الهند. وكان الشاه ولي الله قد أسس المدرسة الرحيمية في دهلي فصارت نواة لحركته الإصلاحية، وإنه كان عالماً فذاً وهبه الله بصيرة ناقدة وعقلاً راجحاً فقام باستعراض مفصل لحالة المسلمين

المتردية في الهند، واعتبر شاه ولي الله الجهاد ضروريا لتنفيذ أهدافه.

وتكمن العظمة الحقيقية في الشاه ولي الله في أنه قام بالتفكير جيداً في الأسباب الرئيسية لتأخر المسلمين وعزا أسباب انحطاط المسلمين وفساد أخلاقهم إلى جهلهم بتعاليم الإسلام. وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقيم ثورة عارمة بعد العمل بالشريعة الإسلامية [١٤٧] ولم يكن يريد أن يصبح المسلمون جزءاً من البيئة العامة لشبه القارة الهندية فحسب، بل يريد أن يقيم العلاقات والروابط القوية مع بقية المسلمين في العالم وخاصة الحجاز. [١٤٨]

وسلك الشاه ولي الله طريق الاعتدال والوضوح في كتاباته وحاول إثبات التوافق بين التعاليم الإسلامية والحياة الإنسانية وترجم القرآن الكريم للفارسية حتى تصل معانيه إلى أفهام الناس بسهولة، وعلى الرغم من أن حركة الشاه ولي الله لم تنتشر وتزدهر في حياته فإن أعظم إنجازاته هي بحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية في عصره ومحاولة إقامة حكومة إسلامية. وبعد وفاة الشاه ولي الله خلفه ابنه الشاه عبد العزيز (١٧٤٦-١٨٢٤م) على مدرسته وفكره فتطورت حركة الشاه ولي الله في عصره، وحاول أولاد الشاه ولي الله الآخرون الشاه رفيع الدين والشاه عبد القادر والشاه عبد الغني إقامة الحكومة الإسلامية التي كانت الهدف الرئيسي للشاه ولي الله ولكن الإنجليز أعلنوا رفضهم لهذه الفكرة، لذلك قام تلاميذ الشاه ولي

الله بالانتشار في القرى والمدن يدعون إلى ترك البدع واتباع السنة. وكانوا يهدفون إلى يقظة المسلمين وتوحيدهم، وقام أولاد الشاه ولي الله بتأليف الكتب الدينية وبتفسير كتبه وترجم الشاه عبد القادر والشاه رفيع القرآن الكريم إلى الأردية. [١٤٩]

وصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة نجاحها عندما أصدر شاه عبد العزيز فتواه الشهيرة عام ١٢١٨هـ:١٨٠٣م بأن جميع المنطقة الواقعة تحت حكم الإنجليز والممتدة من دهلي حتى كلكتا هي "دار حرب" وليست "دار إسلام"، ومعنى ذلك أن الإسلام لم يعد السلطة الفوقية في الهند. [١٥٠]

ولم تخرج الفتوى بأي رد فعل فوري لكنها ولدت حركة ثورية تحررية كان هدفها إقامة الحكومة الإسلامية [١٥١] وطرد الإنجليز وهي "حركة المجاهدين" بقيادة سيد أحمد الشهيد الذي حمل لواء الجهاد والدعوة الإسلامية بعد وفاة الشاه عبد العزيز ١٨٢٣م.

(ب) حركة المجاهدين وفكرة الجهاد:

كان لعقيدة الجهاد أهمية كبرى في مقاومة الإنجليز في الهند بعد أن استقروا في البنغال وتوغلوا منها إلى جميع أنحاء الهند فقامت حركات إسلامية في البنجاب والبنغال على السواء تدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية وطرد الإنجليز وإقامة الحكومة

الإسلامية. وقد اتخذت هذه الحركات وعلى رأسها – حركة المجاهدين – شكلاً منظماً بزعامة سيد أحمد الشهيد (البريلوي). [١٥٢]

قام سيد أحمد الشهيد [١٥٣] بإعلان الجهاد ضد السيخ وبايعه الشاه إسماعيل الشهيد ابن أخت الشاه عبد العزيز و مولانا عبد الحي صهر الشاه عبد العزيز وأصبحا من أخلص أعوانه وقاموا بتكوين حركة المجاهدين سنة ١٨٢٠م، وقام السيد أحمد الشهيد ورفيقاه بالطواف بشرق الهند وجنوبها يدعون المسلمين إلى نبذ العادات والتقاليد غير الإسلامية والتمسك بالشريعة الإسلامية و أشعلوا حماس المسلمين من البنغال حتى دهلي. [١٥٤]

وفي سنة ١٢٣٦هـ:١٨٢١م سافر سيد أحمد الشهيد ورفيقاه مولوي عبد الحي والشاه إسماعيل ونفر من أنصار حركة المجاهدين إلى مكة ووقفوا في كل مدينة وقرية يدعون الناس إلى التمسك بتعاليم الإسلام حتى وصلوا إلى مكة المكرمة وبايعه بعض العلماء المصريين والبلغار – الذين ينتسبون إلى محمد علي باشا وجماعته وإلى مسلمي ألبانيا والبوسنة والهرسك والبوشناق وأهل كوسوفا. وترجم مولوي عبد الحي كتاب سيد أحمد الشهيد "الصراط المستقيم" إلى اللغة العربية وكان قد ألفه سنة ١٢٣٣هـ ويحتوي على أهداف حركته، والتقى في مكة المكرمة بعلماء من جميع البلاد الإسلامية وعلى رأسهم الإمام محمد الشوكاني ثم عاد إلى الهند في ١٢٣٩هـ:١٨٢٤م بعد أن اطلع على حركة محمد بن عبد الوهاب

في نجد لإحياء الدين وتطهيره من البدع والخرافات ولم يبق أي مصلح هندي بمعزل عن هذه الأفكار السلفية التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب في نجد لكن أفكار السيد أحمد الشهيد كانت تختلف قليلاً عن الفكر الإصلاحي للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله - على الرغم من اشتراكهما في بعض الأفكار الإصلاحية.[١٥٥]

وقد أقامت حركة المجاهدين حكومة لهم في بشاور عام ١٢٤٥هـ:١٨٣٠م، وعين سيد أحمد الشهيد مولوي سيد مظهر علي قاضياً على المدينة وبدأ يفصل في القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية وفرض الضرائب وحارب البدع ولكن زعماء القبائل ضاقوا ذرعاً بهذه الضرائب فقرروا قتل المجاهدين مرة واحدة في الليل وهجموا عليهم وهم يصلون الفجر وذبحوهم.[١٥٦]

(هـ) حركات الإصلاح الإسلامية في البنغال:

كان أهم عمل مثمر للسيد أحمد الشهيد وخلفائه من بعده أنهم قاموا بمد نشاط حركتهم إلى البنغال في الشرق وأقاموا علاقات قوية بينهم وبين الحركات الإصلاحية الإسلامية الأخرى في الهند من أجل إحياء فروض الدين وإقامة شعائره الصحيحة بعد أن كان البنغال بمعزل عن الحركات الإسلامية في شمال الهند. وكان القرن التاسع عشر نذيراً بعودة الحياة الإسلامية للبنغال ونهاية العزلة الدينية للمسلمين بسبب ظهور الحركات الإصلاحية والإحيائية التي قام بها أنصار سيد أحمد الشهيد ومريدوه في البنغال وكانت أولى حركات المجاهدين في البنغال الحركة الفرائضية.[١٥٧]

١ ــ الحركة الفرائضية:

هي أولى الحركات الإسلامية الإحيائية في البنغال وقام بها الحاج شريعت الله (١١٩٥هـ:١٧٨١م– ١٢٥٧هـ:١٨٤٠م)، وقد سنحت له الفرصة كاملة للاطلاع بنفسه على الحركة الإصلاحية في نجد عندما ذهب للحج سنة ١٢١٩هـ:١٨٠٢م وتأثر بما اطلع عليه من أفكار إصلاحية في مكة المكرمة حتى أنه أخذ على عاتقه مسئولية الدعوة إلى إحياء الإسلام والإصلاح الديني عندما رجع من الحجاز فقام بوعظ المسلمين وإرشادهم، وأكد على أهمية أداء الفرائض الإسلامية ولهذا سميت بالفرائضية أي المهتمة بأداء الفرائض، وقد نبذ الفرائضيون التقاليد والبدع والاحتفالات التي لا سند لها في القرآن والسنة، وانتشرت هذه الحركة بسرعة في مناطق كبيرة في البنغال، ومات الحاج شريعت الله عام ١٢٣٦هـ:١٨١٢م بعد أن أرسى قواعد هذه الحركة. وجاء بعده حاجي محمد ١٢٥٧هـ: ١٨٤٠م فقام بتنظيم الحركة وجعلها أكثر وعياً وأصبح لها فاعلية سياسية واجتماعية كبيرة وأسس المراكز الدينية في شرق البنغال.[١٥٨]

وكانت هذه الحركة في الأصل حركة دينية بحتة شأنها في ذلك شأن "الطريقة المحمدية" تسعى إلى أهداف روحية مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع غير الإسلامية، وهي ما نادى بها الشيخ محمد عبد الوهاب في نجد.

٢- حركة تيتومير:

كانت هذه الحركة معاصرة للحركة الفرائضية وأسسها تيتومير المتوفى ١٨٣١م وكانت هذه الحركة على علاقة بحركة المجاهدين في شمال الهند فقد كان تيتومير يخوض نضالاً نشطاً في البنغال الغربية في نفس الفترة التي كان السيد أحمد يخوض قتاله ضد السيخ، وكان هدف هذه الحركة في البداية نشر روح الجهاد بين المسلمين ضد الإنجليز وأعوانهم من الهندوس إلى جانب الإصلاح الديني، ثم أخذت صبغة سياسية شعبية. وقد جمع تيتومير حوله عدداً كبيراً من الأشياع من الفلاحين والصناع وأعلنوا[١٥٩] الجهاد ضد الإنجليز لإعادة الحكم الإسلامي للهند مرة أخرى، وقد أدى هذا الإعلان من جانب الحركة إلى انتشار الحركات الثورية المختلفة ضد الإنجليز في مختلف أنحاء الهند وكانت نهاية الحركة على يد الإنجليز لأنهم لم يستطيعوا مواجهة جيش منظم ومسلح بأسلحة حديثة. وقد واصل المجاهدون حربهم ضد الإنجليز في حرب التحرير الهندية عام ١٨٥٧م التي انتهت بهزيمتهم ودخول الهند تحت السيطرة الإنجليزية المباشرة ١٨٥٨م. وبعد فشل حركة المجاهدين من الناحية العسكرية فكروا في الجهاد الأكبر وهو إصلاح نفوس المسلمين عن طريق نشر المفاهيم الدينية الصحيحة وأنشأوا لهذا الغرض شبكة من المدارس والكتاتيب مثل مدرسة ديوبند التي أسسها محمد قاسم النانوتوي والتي كانت تدرس أفكار الشاه ولي الله الثورية.[١٦٠]

الخاتمة:

١ ـ رحــلات الحــج الهـندية مــن المصـطلحات الــرائجة والمعروفة فـي الأدب الأردي فـي شبه القارة الهندية، وهـي فن من الفنون الأدبـية أوجـدت لنفسـها مسـاحة كبـيرة فـي الآداب الإسـلامية ولغزارة الإنـتاج فـي هذا الموضـوع أصبحت صنفاً أدبياً منفصلاً له أطـره العلمية ودوافعـه الأخلاقـية، وقـد تفوقـت اللغـة الأرديـة علـى مثيلاتها مـن اللغـات الإسـلامية فـي رحـلات الحـج من حيـث الكلـم، وهذا مـا شـهد بـه كبار المستشرقين والنقاد الذين أكدوا على المكانة البارزة التـي نالهـا الحرمان الشريفان في اللغة الأردية رغم أنها لغة إسـلامية ولـيدة ولا يـتعدى عمـرها خمسـة قـرون وهـناك رحـلات مخطوطـة لـم يكشـف عنها حتـى الـيوم. ولا أزعـم أننـي قـد أحطـت بجميع رحـلات الحـج الهندية لأن هذا الـزعم لم يصرح به كبار نقاد الأدب الأردي الذيـن تـناولوا هـذه الـرحلات و اخـتلفوا جمـيعاً حـول عددها.

٢ـ تعد رحـلات الحـج الهـندية من المصـادر المهمة والوثائق التـي يعـتد بهـا فـي دراسـة تـاريخ مكـة المكـرمة ومـنطقة الحجـاز، وتعتـبر هـذه الـرحلات شـاهداً علـى الـتطور الحضـاري والعمرانـي والسياسي والاجتماعي لمكة المكرمة والمدينة المنورة حيث وصفت هذه الرحلات بدقة طرق ووسـائل المواصـلات التي سلكها الحجاج الهنود براً وبحراً. ولم يقتصر كاتب الرحلة الهندية على الملاحظات

العابرة وإنما سعى للتوغل في الظواهر التي شاهدها وتحليلها من أجل كشف كنهها، وحاول أن يسجل انطباعاته كباحث أنثروبولوجي، وبالتالي يمكن اعتبار هذه الرحلات وثائق أنثروبولوجية متنوعة لكل ما هو موجود في مكة المكرمة من نشاط اجتماعي وثقافي.

٣ – أكد البحث على أن أقدم رحلات الحج الهندية المكتوبة باللغة الأردية هي "رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق" للأمير صديق حسن خان. فقد بدأ تأليف هذه الرحلات في بداية الأمر باللغة الفارسية اللغة الرسمية آنذاك، وبلغ اهتمام مسلمي الهند برحلات الحج إلى مكة المكرمة أنهم لم يكتفوا بما أنتجوه من رحلات وفيرة، بل قاموا بترجمة رحلات الحج المهمة من لغات العالم ولغات الأمم الإسلامية كالإنجليزية والفارسية والعربية والتركية.

٤ – تميزت رحلات الحج الهندية الأولى حتى القرن التاسع عشر بأنها تخلو من وصف المشاعر الروحية التي يشعر بها الحاج في هذا الموقف الفريد و ربما دفعت مشاق الرحلة والأهوال التي كانت تحيط بها. دفعت كتاب هذه الرحلات إلى الاهتمام بوصف الطرق والمسالك والمعلومات التي يمكن أن تهدي الحاج وترشده إلى أداء هذه الفريضة المقدسة بدون تحمل للمشاق، واهتم كاتب الرحلة في هذه المرحلة بالوصف الدقيق المفصل للكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي ولكنه وصف أصم يصلح لأن يقيم به

مهندس معماري نموذجاً أو خريطة إذ هو يخلو من شعور الواصف وأحاسيسه.

٥ – ركزت رحلات الحج الهندية في القرن العشرين على الجوانب الروحية من هذه الرحلة المقدسة وتميز أسلوبها بالرصانة والحماس واهتمت بالنواحي الفقهية والأدعية المأثورة عن القرآن والسنة ولم تعد مقصورة على بعض الكتاب بعينهم، بل اهتم بهذا الفن الأديب والسياسي والفقيه والمفكر والقاص وتطورت رحلات الحج فنياً على أيديهم حتى صارت قطعة أدبية رائعة تحتوي على التاريخ والجغرافيا والاجتماع وغيرها من المعلومات التي لم نجدها في الرحلات القديمة.

٦ – حدثت نقلة نوعية في رحلات الحج الهندية بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتي الهند وباكستان وتناولت أقلام الرحالة جميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والعمرانية في المملكة ونال توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي في أدوارهما المختلفة من الملك عبد العزيز حتى الملك فهد مساحة كبيرة من اهتمام رحلات الحج الهندية الحديثة.

٧ – مع أن موضوع الرحلة واحد وهو الحج لكنها تختلف باختلاف التجربة الشعورية والإيمانية من كاتب لآخر. فكاتب الرحلة من العامة يختلف عن كاتب الرحلة من الخاصة من حيث

اللغة والأسلوب والتوجهات. والرحالة الرجل يختلف عن الرحالة المرأة، ورجل الدين يختلف عن الأديب في تناوله للأحداث، والرحلة المكتوبة نثراً تختلف عن الرحلة المنظومة شعراً، وقد تنوعت الرحلة بين رحلات فردية ورحلات جماعية ورحلات رسمية، وخيالية وشعرية ورحلات حج للأطفال، وقد كتبها رجال ونساء، أمراء وفقراء، نثراً وشعراً، واقعاً وخيالاً.

٨ - رحلات الحج وثائق تاريخية مهمة لتاريخ مكة المكرمة ومنطقة الحجاز وتحتاج إلى هيئة علمية كاملة لدراستها وتحليل مضمونها وترجمتها إلى اللغة العربية.

٩ - تركت رحلات الحج الهندية أثرها في علماء شبه القارة الهندية من خلال المجاورة وحضور حلقات الدرس في الحرمين الشريفين ونيل الإجازات العلمية من مكة المكرمة، كما أثرت كذلك في حركات الإصلاح الديني والسياسي والحركات الثورية والتحررية في شبه القارة الهندية، وهناك أثر آخر لا يمكن تجاهله وهو الأثر اللغوي لرحلات الحج الهندية في اللغة الأردية من خلال دخول كلمات عربية لا حصر لها إلى اللغة الأردية. فمن حيث الشكل نجد أن الرحالة الهنود كانوا مولعين بإطلاق أسماء عربية على رحلاتهم وهي في الوقت نفسه تعكس مشاعرهم تجاه الأراضي المقدسة مثل: أرض القرآن، و"رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق"، و"السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف"، و"حمال الحرمين"، و"راحة القلوب"، و"سبل الرشاد"، و"صراط الحميد" وغيرها. أما

من ناحية المضمون فنجد أن انتقال المصطلحات العربية الخاصة بالحج والمناسك والأماكن المقدسة وأسماء القرى والمدن التي مروا بها إلى اللغة الأردية قد أسهم في إثرائها حيث كانت تذكر كما هي باللغة العربية، وكان لذلك بليغ الأثر في ظهور وعي ديني كبير بالفقه والأحاديث النبوية.

١٠- يوصي البحث بإنشاء وحدة بحثية خاصة برحلات الحج تتولى جمع هذه الرحلات بلغات العالم الإسلامي المختلفة كالأردية والفارسية والتركية والأندونيسية ولغات جمهوريات أسيا الوسطى كالقازاقية والأوزبكية واللغات الإفريقية كالهوسا والسواحيلي وإعداد فهرس تفصيلي لها وترجمتها إلى اللغة العربية ولو تم هذا العمل – إن شاء الله – وهو ليس بكثير على جامعة تحمل اسم أشرف البقاع "أم القرى" لكان أعظم عمل قدم خدمة لهذه المدينة المقدسة.

الهوامش و التعليقات

١. الدراسات التي تناولت هذا الموضع بالدراسة و التحليل بالاردية – انورسديد: أردو ادب مين سفرنامه• مغربي باكستان اردو اكيدمي• لاهور ١٩٨٧ •

- انورسديد: حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه. نقوش شمارة ١٣٧• لاهور ديسمبر ١٩٨٨ م.

. ياسين صديقى : حج كى جند اهم سفرنامه . كاروان ادب. لكهنو. سبتمبر ١٩٩٦ م. و بالعربية.

- د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الاردى. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض. ١٤١٩ ه:١٩٩٩ م.
- د.عبد الباسط بدر: قراءة في ادب الرحلة: الادب الذى انبته الاسلام. مجلة الادب الاسلامى. المجلد الاول. العدد الثالث. الرياض. محرم ١٤١٥ ه.

٢. فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين مادة (رحل).

- ايضا: فيروز اللغات: اردو جديد.لاهور.١٩٩١ص ٤٢٦

٣. حسين محمد فهيم: ادب الرحلات. عالم المعرفة. الكويت. شوال ١٤٠٩ ه: يونيو ١٩٨٩ . ص. ٩ .

٤. للمزيد حول رحلة ناصر خسرو ارجع الى:

- ناصر خسرو : سفرنامه. ترجمة الدكتور يحى الخشاب. دار الكتاب الجديد. ط٠٣ بيروت ١٩٨٣
- دكتور محمد نور الدين عبد المنعم: رحلة ناصر خسرو الى الجزيرة العربية. بحث مقدم لندوة الحج الكبرى. مكة المكرمة. ١٤٢٤ ه.

٥. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة. دار الكتاب اللبنانى. بيروت. ص ٩٠ ـ١١٦ .

٦. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون. دار البيان العربى. جدة. ١٩٨٥ . ص ١٣.

٧. على رأس هؤلاء النقاد حافظ محمد فقير. و انور سديد انظر: اردو ادب مين سفرنامه ٦٨٣ .

٨. د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى. ١٨ ـ١٩ .

٩. أنور سديد: حج نامون كى روايت اور اردو حج نامه. ٦٧٦ ـ٦٧٧

١٠. ظهرت ترجمة اردية ثانية للرحلة بعنوان: راحت القلوب: ترجمة حكيم عرفان على.

١١. رسالة فرقان. لكهنو. مئ جون ١٩٦١ م. ص ٧ .

١٢. أنور سديد: حج نامون كى روايت اور اردوحج نامه. ٦٧٩ ـ٦٨٠ .

١٣. أنور سديد: المرجع السابق. ٦٨٠

١٤. أنور سديد: المرجع السابق. ٦٨١ ـ ٦٨٢

١٥. د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى. ص ١٩ .

١٦. حافظ محمد فقير: ديباجة جمال حرمين لحافظ لدهيانوي . كراتشي . ١٩٧٢ م ص: ١٧

١٧. أنور سديد: اردو ادب مين سفرنامه. ص ٤٧٠

١٨. حاجى محمد منصب على خان: ماه مغرب. مطبع كشور هند. ميرته. ١٨٧٤ م. ص ٢٩ و ٥١ .

١٩. محمد عمران على خان: زاد غريب. مطبع كشور هند. ميرته. ١٨٨٠ م. ص٤٩ و ٥٩ .

٢٠. وزير حسين بريلوى. وكيل الغربا. مطبع نولكشور. لكهنو. ١٨٨٤ م. ص ٤١ .

- ايضا: أنور سديد. اردو ادب مين سفرنامه. ص ٤٧٣ .

٢١. سيد كاظم حسين شيفتة. حرمين شريفين. زمانه حج. ١٨٩١ م. ص ٥٦ .

٢٢. مرزا عرفان على بيك. سفرنامه حجاز. مطبع نلكشور. لكهنو. ١٨٩٥ م. ص١٤٠ .

٢٣. مرزا قاسم بيك. زاد الزائرين. مطبع يوسفى. دهلى. ١٩٠١ م.

٢٤. مولوى سبحان الله جور كهبورى. ميرا سفر حج. جوركهبور. ١٩٠٣ م. نقلا عن :حج نامون كى روايت اور اردو حج نامه. ٦٨٥

٢٥. د.سمير عبد الحميد ابراهم. الجزيرة العربية في ادب الرحلات الاردى. ١٢٥

٢٦. حاجى أحمد حسين. سفرنامه حجاز و مصر. كرزن بريس. دهلى. (ت.ن)ص٥

٢٧. سفرنامه حجاز ومصر.ص٨٥ -٨٦ و د.سمير عبد الحميد ابراهيم:المرجع السابق :١٦٢ -١٦٣ .

٢٨. سفرنامه حجاز ومصر. ص٩٣ والجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى. ص١٦٤ .

٢٩. حاجي محمد لطيف مجهلى شهري. السفر اللطيف الى بيت الله الشريف. مكتبة مجتبانى. لكهنو. ١٩٠٤ م. ص ٣٥ .

٣٠. خطيب قادر باد شاه. سفر حجاز. مطبع مدراس. (ت.ن) نقلا عن "حج نامون كى روايت" ٦٨٨

٣١. مولانا محمد حسين الـه ابادى. رحلة المسكين الى البلد الامين. مطبع أنور صابرى. ١٩٠٦ . ص٤٦ .

- ايضا: أنور سديد حج نامون كى روايت اور اردو حج نامه. ٦٨٨ـ ٦٨٩ .

٣٢. للمزيد حول هذه الرحلة ارجع الى. محمد مصباح الدين أحمد. غنجه حج. جل جمن. لدهيانه ١٩٠٩ م وأنور سديد: اردو ادب مين سفرنامه. ص٤٨٣ .

٣٣. خواجه حسن نظامى:سفرنامه مصر وشام وحجاز. حلقة مشايخ دهلى. ١٩٢٣ م ص١٤١ ،وانور سديد: حج نامون كى روايت اور اردو حج نامه. ٦٨٩ ـ٦٩٠

٣٤. رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى فى مصر وفلسطين والحجاز (١٩١١ م) ترجمة د.سمير عبد الحميد ابراهيم. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. القاهرة. ٢٠٠٤ م، ص٢٤٧ .

٣٥. الترجمة العربية للرحلة :٢٥٦ .

٣٦. الترجمة العربية للرحلة:٢٧٦ .

٣٧. الترجمة العربية للرحلة:٢٥٧

٣٨. محمود الحسن: سفرنامه شيخ الهند. مكتبة محمودية. لاهور. ١٩٧٤ م.ص٤٩

٣٩. محمود الحسن: سفرنامه شيخ الهند. (اسير مالتا) ص ٢٠١ والجزيرة العربية فى ادب الحلات الاردي ص ١٧٦ .

٤٠. محمود الحسن: سفرنامه شيخ الهند. ص ٦٧-٦٨ ، والجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردي ١٨٤ .

٤١. المرجع السابق ص ٦٤-٦٥ والجزيرة العربية فى آدب الرحلات الاردي ١٨٣

٤٢. محمد شريف امر تسرى: سفرنامه حج امر تسرى. ١٩٢٧ م وحج نامون كى رويات اور اردو حج نامه ٦٩١ .

٤٣. محمد حفيظ الرحمن حفيظ: سفرنامه حجاز. محبوب المطابع. دهلى. ١٩٣٣ م (المقدمة) و انور سديد: حج نامون كى رويات اور اردو حج نامه. ٦٩٢ .

٤٤. الياس برنى، صراط الحميد. طبع اعظم حاجى. حيدر آباد. الهند. ١٩٢٨ م ص١٨٧ . وحج نامون كى رويات اور وحج نامه. ٦٩٢

٤٥. د. سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى آدب الـرحلات الأردى. ١٣١ وأنـور سـديد: اردو ادب ميـن سفرنامه ص ٤٨٧.

٤٦. عبد الماجد دريا بادى: سفر حجاز. نسيم بك دبو. الطبعة الثانية. لكهنو. ١٩٦٦ ٤٨-٥٠.

٤٧. عبد الماجد دريا بادى: سفر حجاز. ٢٣٤-٢٣٥ و٢٤٧ .

٤٨. عبد الماجد دريا بادى: سفر حجاز. ٥٩

٤٩. غلام رسول مهر: يوميات رحلة فى الحجاز. ترجمة د. سـمير عـبد الحمـيد ابراهـيم. دارة الملـك عـبد العزيـز، الرياض. ١٤١٧ ه. ص: ه ون وس

٥٠. غلام رسول مهر. المرجع السابق. ص٥٦-٥٧ .

٥١. مرزا عبدالحليم بيك. سركذشت حجاز. حيدر آباي. ص ٢٥ نقـلا عن حـج نـامون كـى رويـات اوراردو حجـنامه ٦٩٣ .

٥٢. أمير أحمد علوى: سفر سعادت ص٤٩ نقلا عن اردو ادب مين سفرنامه.٤٨٩ .

٥٣. عـبد المجـيد صـديقى: سـبيل الرشـاد. انجمـن بـنجاب. كراجى. ١٦٣٦ م ص١٢٠

٥٤. حفظ الرحمن وفا: راه وفا. دهلى. ١٩٣٥ م

٥٥. عزيز الرحمن عزيز: حج صادق. بهاول بور. ١٩٣٧ م ص٢١١ وحـج نـامون كـى رويـات اور اردو حـج نامـه. ٦٩٢ والجزيـرة العربـية فـى أدب الـرحلات الأردى. ٥٢٨-٥٢٩ .

٥٦. مسعود عالم الندوى: ديار عرب مين جند ماه. مكتبة جراغ راه. كراجى. ١٩٥٥ م نقلا عن حج نامون كى رويات اور اردو حج نامه. ٦٩٦ .

٥٧. أبو الحسن الندوى: شرق اوسط مين كياديكها. لكهنو. والجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى. ص١٣٦ .

٥٨. محمد صديق خير آبادى: رحلة الصديق الى البيت العتيق. كارخانه فقير محمد. لكهنو. ت.ن.

٥٩. فضل الدين:ديار حبيب كى باتين. مكتبة نسيم جهلم. ١٩٥٦ م

٦٠. عبد الكريم ثمر: سفر حجاز. انينه ادب. لاهور. ١٩٥٨ م

٦١. عبد الصمد صارم: سفرنامه حج وزيارت. دار الاشاعت. لاهور.١٩٥٩ م

٦٢. سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى.٣٤٤-٣٤٥ .

٦٣. مولانا ابى الأعلى المودودى: سفرنامه ارض القران. اسلامك بيلى كيشن. لاهور ١٩٧٠ م١٦٨ والمرجع السابق ص ٣٧٢-٣٧٣

٦٤. العلامة القاضى محمد سليمان المنصور بورىداعية على مسلك أهل السلف الصالح، ومفسر للقرآن، مؤرخ وباحث محقق ذاع صيته بعد ان كتب موسوعته فى السيرة النبوية باسم "رحمة للعالمين" وقد ترجمها الدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم نشرتها مكتبة دار

الاسلام بالرياض ١٤١٨ ه. (الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى ١٨٧)

٦٥. قاضى محمد سليمان منصور بورى: سفرنامه حجاز. اشاعت ثانى. ١٩٨٦ م ص٧٩ نقلا عن سمير عبد الحميد ابراهيم. الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى ١٨٧

٦٦. المرجع السابق: ١٠٣ .

٦٧. نسيم حجازى: باكستان سي ديار حرم تك. دين محمد اندسنز. لاهور. ١٩٦٠ م ١٤٦ نقلا عن حج نامون كى رويات اور اردو حج نامه ص٦٩٩

٦٨. سلطان داؤد: سفرنامه حجاز. نور كمبنى. لاهور. ١٩٦٣ م ص٧ نقلا عن حج نامون كى رويات اور اردو حجنامه ص ٧٠٠ .

٦٩. مفتاح الدين ظفر: سفر مقدس. مكتبة رشيدية. لاهور. ١٩٦٦. ص٢

٧٠. الطاف حسين قريشي: قافلة دل كى جلى. اردو دايجست. ١٩٦٧م

٧١. راجه محمد شريف: ائينه حجاز. جوهر اباد.١٩٧٥ .

٧٢. محمد شفيع صابر: سفرنامه حج وزيارت. بشاور. ١٩٧٢م

٧٣. محمد شجاع ناموس: سفرنامه حج وحرمين. ميرى لانبريرى. لاهور. ١٩٧٣

٧٤. علي كره : وتكتب في بعض المصادر عليكره وهي مدينة صغيرة تبعد عن دهلي بثمانين ميلاً وقد ارتبط اسمها بحركة علي كره التي تزعمها السيد أحمد خان المصلح الاجتماعي الهندي. وكانت هذه الحركة تنادي بضرورة التفاهم مع الانجليز الذين تولوا حكم الهند خلفاً للمسلمين وحققت مكاسب مادية ومعنوية لمسلمي الهند. وتنسب إليها كذلك جامعة علي كره وهي من أقدم الجامعات العصرية في العالم الإسلامي حيث تأسست عام ١٨٧٤ م.

- (معين الدين عقيل : تحريك آزادي مين اوردو كا حصة أنجمان ترقي اردو . باكستان . ١٩٧٦ م صـ : ١١٨)

٧٥. للمزيد فى هذه الموضوع انظر: أنور سديد. حج نامون كى رويات اور اردو حج نامه. ٧٠٣-٧١٠ . واردو ادب مين سفرنامه ٥٠٠-٥١٢ .

٧٦. ممتاز مفتى: لبيك. مطبع التحرير. لاهور. ١٩٧٥ م

٧٧. داكتر نصير أحمد ناصر: روداد سفر حجاز. فيروز سنز. لاهور (ت.ن) وكان الدكتورنصير مديرا للجامعة الاسلامية فى بهاولبور بباكستان وحصل على جائزة التأليف من رابطة العالم الاسلامى عن كتاب بعنوان "الرسول الاعظم الخاتم".

٧٨. صادق قريشى: بهر سوى حرم. دار الادب. لاهور. ١٩٨١م

٧٩. محمد زبير: جند دن حجاز مين: قمر كتاب كهر. كراجى. ١٩٨٦م.

٨٠. فريد أحمد براجة : سفر شوق البدر ببلكيشتر . لاهور . ١٩٨١ ص ٦١.

٨١. أحمد خان دراني : نوركي نديان . كاروان أدب . ملتان . ١٩٨٣م ص ٥٤.

٨٢. حافظ لدهيانوى : جمال حرمين . بورت ترست كراجي . ياردوم . ١٩٨٣ ص٣٩. ولد حافظ لدهيانوي في لدهيانة عام ١٣٣٩هـ : ١٩٢١ م . حفظ القرآن الكريم وأكمل تعليمه سنة ١٣٦٣ هـ : ١٩٤٤م، وبرع في قول الشعر وظل يقرضة من عام ١٣٥٦ هـ : ١٩٣٨ م . حتى عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ، واتبع أسلوب الشعراء الكلاسيكيين ، ثم اقتصر منذ عام ١٣٩٠ هـ : ١٩٧٠ م على نظم المدائح النبوية فقط . (الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٣٤٩ ـ ٤٤٠.

٨٣. أسعد جيلاني : مشاهدات حرمين . ترجمةان القرآن . لاهور . ١٩٨٤ م .

٨٤. جودري محمد أسلم : حرم ميي دو سو روز . ويزن ببليكيشنز . لاهور . ١٩٨٥م نقلا عن حج نامون كي روايت أور أردو حج نامه . : ٧١٨ .

85. غلام الثقلين نقوى : أرض تمنا . اوراق لاهور . ١٩٨٦ م . ص : ١٤ .
86. أنور سديد : حج نامون كي روايت اور اوردوحج نامه . ٧٢١ ـ ٧٢٣ .
87. عبد الباسط بدر : قراءة في الرحلة الأدب الذي أنبته الإسلام . مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول. العدد الثالث . محرم ١٤١٥ هـ ص ١٣ ـ ١٤
88. مولانا رفيع الدين المراد آبادي : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .
89. الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (الترجمة العربية) : ١٥.
90. المرجع السابق (مقدمة المترجم) : ٧ ـ ٨
91. المرجع السابق : ٢١ ـ ٢٢
92. المرجع السابق : ٢٢ ـ ٢٣
93. المرجع السابق : ٦٤
94. المرجع السابق : ٨٣ ـ ٨٥
95. المرجع السابق : ٩١
96. المرجع السابق : ٩٣

٩٧. المرجع السابق : ١٢١

٩٨. المرجع السابق : ١٤٦

٩٩. المرجع السابق : ١٦١

١٠٠. مسعود عالم الندوي : ديار عرب مين جند ماه (شهور في ديار عرب) . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . مكتبة الملك عبد العزيز العامة . الرياض . ١٤١٩هـ : ١٩٩٩ ص ٩

١٠١. دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي . ٢٦٨ . ولد العلامة مسعود عالم الندوي سنة ١٣٢٩ هـ : ١٩٠٨م والتحق بدار العلوم لندوة العلماء في مدينة لكناؤ الهندية وعمل في مجال الدعوة الإسلامية والصحافة العربية. فأسس مجلة الرائد وقد أطلق عليه بعض أهل الهند أنه " ندوي، وهابي، عربي " وكتب كتابه " سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ترجم بعد ذلك إلى العربية بعنوان : " بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه " وتوفي في الحادي عشر من رجب ١٣٧٣ هـ : ١٩٥٤ م.

١٠٢. المرجع السابق : ٢٩

١٠٣. المرجع السابق : ٣٩٩ – ٤٠١

١٠٤. المرجع السابق : ٤١١ – ٤١٢ .

١٠٥. أسست إمارة بهوبال بوسط الهند على يد قائد أفغاني هو دوست محمد خان في بداية القرن الثامن عشر وكانت دولة المغول تحتضر وانخرطت الإمارة في معاهدة مع شركة الهند المركزية من قبل الإنجليز ، ووصلت الإمارة إلى أعلى درجات التطور والازدهار في عهد الأميرة سلطان جهان بيجم

١٠٦. سلطان جهان بيجم : جوهر اقبال. بهو بال . ١٩٠١ . ٤٥ـ ٤٦

١٠٧. سلطان جهان بيجم : سفر حجاز . بهو بال

١٠٨. المرجع السابق : ٦٥ ـ ٦٦

١٠٩. المرجع السابق : ٧٥ ـ ٨١

١١٠. المرجع السابق : ٢١٨ ـ ٢٢٣

١١١. انظر : محمود عثمان حيدر : مشاهدات بلاد اسلاميه . اداره علم مجلسي . كراجي ١٩٦٢م

١١٢. انظر كنيز محمد بيجم أرض مقدس اسلامك اكادمي . سيالكوت . ١٩٦٦

١١٣. انظر وحيدة نسيم : حديث دل . غضنفر اكادمي . كراجي . ١٩٨٠م

١١٤. انظر : سيدة حميدة فاطمة : لاهور سي ديار حبيب تك. الحمرا برنطرز . لاهور ١٩٨٣م

١١٥. زبيدة حيي : زهى نصيب . لغت اكادمي . فيصل آباد . ١٩٨٣

١١٦. سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٣١٨ ـ ٣٢٠

١١٧. ماهر القادري قافلة الحجاز . طبعة ١٣٨٥ هـ : ١٩٦٥ م نقلاً عن : بحث " أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة ١٤٢٣ هـ: ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

١١٨. الجزيرة العربية في أدب الرّحلات الأردي:٤٨٥ ـ ٤٦٢ .

١١٩. سيد محمد عبد العزيز شرقي:فيوض الحرمين. ملتان. باكستان. ذو القعدة ١٤٠٠هـ : أكتوبر ١٩٨٠ م نقلا عن: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي:٦٤ ـ ٤٦٦

١٢٠. د٠ شوقي ضيف : الرحلات . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٦ ص٧ أيضاً د. حسين نصار : أدب الرحلة . الشركة المصرية للنشر . مكتبة لبنان ١٩٩١ م ص ٤٨ د. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات عالم المعرفة (١٣٨) الكويت ١٤٠٩ هـ : ١٩٨٩ م . ص ١٦٦ .

١٢١. محمد اقبال : جاويد نامه. ترجمة الدكتور السعيد جمال الدين . سجل العْرب . القاهرة ١٩٧٧م .

١٢٢. محمد اقبال : بانك درا . ايجوكيشنل بك هاوس – علی كره . ١٩٩٥م ص١٦١ وجلال السعيد الحفناوي: الترجمة العربية (صلصلة الجرس) المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٤ص : ٩ - ١٠

١٢٣. سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ص ٤٦٩.

١٢٤. سمير عبد الحميد إبراهيم : هدية العائد من أرض الحجاز . مجلة الحج والعمرة . جدة . ذو الحجة ١٤٢٤ هـ : يناير – فبراير ٢٠٠٤م ص ٨٥

١٢٥. محمد اقبال : ارمغان حجاز . ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ٢٠٠٤ م ص ١١ و ٣٥ .

١٢٦. المرجع السابق : ٢٣٤

١٢٧. أنور سديد : حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه : ص ٧٢١

١٢٨. ظهير الدين بابر : بابر نامه لاهور ١٩٧٥ ص ٥٢٣ .

١٢٩. نواب شاه خان : مآثر الأمراء (الترجمة الأردية لأيوب قادري) لاهور . ١٩٦٨ م . ص ٣٧٨ .

١٣٠. همايون : همايون نامه . (الترجمة الإنجليزية) لندن . ١٩٠٢ ص ٦٩ .

١٣١. الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة ١٩٥٦م الجزء الأول ص ٣٢٩ .

١٣٢. عبد الله عبد الرحمن بن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة. الطبعة الثالثة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٢٢هـ ص ٥٨ . وأيضاً :النهروالي (قطب الدين محمد) : كتاب الإعلام بأعلام البيت الحرام ' مكتبة مكة المكرمة 'المكتبة العلمية ١٣٧٠هـ ص١٨٦ .

١٣٣. عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند . دار العهد الجديد للطباعة . القاهرة . ١٣٧٨هـ ص ١٥٩

١٣٤. رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي : إظهار الحق . الجزء الأول . دار الوطن للنشر تحقيق محمد أحمد ملكاوي . الرياض . ١٤١٢ هـ ص ٢١ .

١٣٥. السباعي (أحمد) تاريخ مكة . مطابع قريش . مكة المكرمة ١٣٨٠ هـ الجزء الثاني . ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦

١٣٦. عبد الرحمن الصباغ تربية النشء في المنزل والمدرسة والمجتمع . القاهرة ١٣٨١ هـ . الجزء الثاني ص ١٦٦ .

١٣٧. عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما . دار خضر . بيروت . ١٤١٨ هـ : ١٩٩٧م ص ٣٣ ـ ٣٤ .

١٣٨. الشاه ولي الله الدهلوي . حجة الله البالغة . دار المعرفة . بيروت (د . ت) ٢ : ٦٠ .

١٣٩. انظر : الشيخ أبو الحسن الندوي : الإمام الدهلوي . سلسلة رجال الدعوة والفكر الجزء الرابع . دار القلم . الكويت ط١ . ١٩٨٥م

١٤٠. جلال السعيد الحفناوي : جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم . مجلد ٤٩ . عدد ٢ - ٣ . ١٩٩٨ .

١٤١. المؤلف مجهول : تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري . تحقيق الدكتور محمد التونجي . جدة ١٤٠٤ هـ ص ١٠٦ .

١٤٢. معجم المؤلفين : ٩٠ : ١٧ – ١٨ وحاجي خليفة : كشف الظنون : ١٢٦ ، ٢٣٩.

١٤٣. أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي مرداد : نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر . تحقيق واختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي. جدة. عالم المعرفة ١٩٨٦م.

١٤٤. المنصر د. فندر كان مستشرقاً أمريكيا كاثوليكيا تحول إلى البروتستانتية لرغبته في الاستيطان بإنجلترا ، وقد أرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في الهند وتزعم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند وقام بإلقاء الخطب والمواعظ في الاجتماعات العامة والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية والتهجم على العقائد غير النصرانية وقد ساعده على ذلك إلمامه باللغتين الفارسية والأردية وبلغت به الجرأة أنه كان يتخذمن درج الجامع

الكبير بدهلي منصة لإلقاء خطبه بين العصر والمغرب وكان يوجه المنصرين إلى مختلف المديريات الهندية بعد تدريبهم على إلقاء الخطب وألف عدداً من الكتب لعل أخطرها : ميزان الحق كتبه بالإنجليزية سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٣ م وهو في تشويه عقائد الإسلام وترجمه إلى الفارسية ثم إلى الأردية وله كتاب " حل الإشكال " طبعه سنة ١٨٤٧ م وكتاب " طريق الحياة " طبعه سنة ١٨٤٧ م وطبعه بالفارسية في لندن سنة١٨٦١ م وكتاب " مفتاح الأسرار وألفه سنة ١٢٥٢ هـ ١٨٣٧ م وصدرت طبعته الفارسية سنة ١٨٥٠ م وقد ناظره الشيخ رحمة الله الهندي في رجب ١٢٧٠ هـ ١٨٥٤ م وتغلب عليه ومن ثم ترك الهند بعد أن لامته الكنيسة الإنجليزية ووصل إلى تركيا سنة ١٨٥٨ ومات سنة ١٨٦٠

١٤٥. (رحمت الله الكيرانوي) : إظهار الحق . الجزء الأول صـ : ٢٢ – ٢٤)

١٤٦. للمزيد عن هذا الموضوع ارجع إلى بحث . دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم : مكة المكرمة وأثرها في فكر الشيخ رحمة الله الكيرواني . ندوة الحج الكبرى ١٤٢٤ هـ .

١٤٧. انظر : محمد سرور : مولانا عبيد الله سندهي . لاهور ١٩٤٢. أيضا محمد سرور : مقالات مولانا عبيد الله سندهى . لاهور ١٩٧٠م. أيضاً: سميرعبد الحميد: أثر

مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية. ندوة الحج الكبرى. مكة المكرمة ١٤٢٣هـ ص ٤١٦– ٤١٧ .

١٤٨. معين الدين عقيل : تحريك أزادي مين اردو كاحصة . انجمن ترقي اردو باكستان . كراجي ص ٤٧ .

١٤٩. عبيد الله سندهي : شاه ولي الله كي سياسي تحريك . لاهور. ١٩٤٥ . ص ٦٣ .

١٥٠. رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار : عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ، القاهرة ١٩٨٥ م . ص. ٦٣

١٥١. شاه عبد العزيز : فتاوى عزيزية : مطبعة مجتباي دهلي . جلد أول . ١٢١٨ هـ ص ١٦ – ١٧.

١٥٢. معين الدين عقيل : تحريك آزادي مين اردو كاحصة . ص ٥١

١٥٣. محمد اكرام : موج كوثر . ادارت ثقافت اسلاميه لاهور . ط١٩ ١٩٧٥ ص ١٥ – ١٦ .

١٥٤. ولد السيد أحمد الشهيد البريولوي سنة ١٢٠١ هـ : ١٧٨٦ م في راي بريلي وحفظ القرآن الكريم بها وبايع الشاه عبد العزيز وهو في الثانية والعشرين وانضم إلى جنود النواب أمير خان والي تونك سنة ١٨١٠م ، وقضى عنده ست سنوات أكمل فيها تدريباته العسكرية وأتقن فن الجندية ، وفي سنة ١٨١٦م رحل إلى دلهي وبدأ في سلسلة إرشاده ووعظه وتأثر في ذلك بالشاه ولي

الله الدهلـوي، وقـام بتنفـيذ أفكـاره ونظـرياته عملـيا ، وحـارب الإنجلـيز والسـيخ واستشـهد فـي عـام ١٨٣١م. هنتر: هماري هندستاني مسلمان . ترجمة صادق حسين. لاهور . (د . ت) ص ١١٨

١٥٥. سيد أبو الحسن الندوي : سيرت سيد أحمد شهيد . لكهنو . ١٩٤١ . ص ١١٠ أيضـاً غـلام رسـول مهر : سـيرت أحمد شهيد . لاهور . ١٩٥٥م . ص ٨٩ .

١٥٦. محمد اكرام : موج كوثر: ص ٢٢ – ٢٣ .

١٥٧. سيد أبو الحسن الندوي : المرجع السابق ص ١٥ ومحمد اكرام: موج كوثر : ص ٢٧ – ٣١ .

١٥٨. غلام رسول مهر : اتهاره سوستاون كي مجاهد . لاهور . ط١ ١٩٧١م . ص ٦٣ .

١٥٩. محمد اكرام : موج كوثر ص٥٨ .

١٦٠. قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابي تحريك كلكته . ١٩٦٦م ص ٣٥٨ -- ٣٦٣

١٦١. ألطـاف حسـين حالـي : حـياة جـاويد . أكادمـي بـنجاب . لاهور . ١٩٧٥ . ص : ٧٧

المصادر والمراجع:

أولاً المراجع الأردية :

١. أبو الحسن الندوي : سيرت سيد أحمد شهيد . لكهنو. ١٩٤١م

٢. أبو الحسن الندوي : شرق اوسط مين كيا ديكها . لكهنو . ١٩٥٦م

٣. أحمد خان داراني : نور كي نديان . كاروان ادب . ملتان . ١٩٨٣م .

٤. ألطاف حسين حالي : حياة جاويد . لاهور ١٩٧٥ م

٥. ألطاف حسين القرشي : قافله دل كي جلي . اردو دايجست . ١٩٦٧م .

٦. أمير احمد العلوي : سفر سعادت . لاهور . ١٩٦٨م .

٧. أنور سديد: أردو أدب مين سفرنامة . مغربي باكستاني . اردو اكيدمي . لاهور . ١٩٨٧

٨. أسعد جيلاني : مشاهدات حرمين . ترجمان القرآن . لاهور . ١٩٨٤م .

٩. جودري محمد اسلم : حرم مين دو سو روز . ويزن . ببليكيشنز . لاهور . ١٩٨٥م .

١٠. حاجي أحمد حسين : سفر نامه حجاز ومصر . كرزن بريس . دلهي . (ت . ن)

١١. حاجي محمد لطيف المجهلي شهري : السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف . مكتبة مجتبائي . لكهنو . ١٩٠٤م .

١٢. حاجي محمد منصب علي خان : ماه مغرب . مطبع كشور هند . ميرته . ١٨٧٤م .

١٣.حافظ اللدهيانوي : جمال حرمين . بورت ترست . كراجي . باردوم . ١٩٨٣م .

١٤.حافظ محمد فقير : ديباجه جمال حرمين از حافظ لدهيانوي . كراجي . ١٩٧٢م

١٥.حفظ الرحمن وفا : راه وفا . دهلي . ١٩٣٥م .

١٦.خطيب قادر بادشاه : سفر حجاز . مطبع مدراس (ت . ن)

١٧.خواجه حسن نظامي : سفر نامه مصر وشام وحجاز . حلقه مشايخ دهلي . دهلي . ١٩٢٣م .

١٨.راجه محمد شريف : آئينه حجاز . جوهر آباد . ١٩٧٥م .

١٩.زبيدة حي : زهى نصيب . لغت اكادمي . فيصل آباد . ١٩٨٣م .

٢٠.سلطان جهان بيكم : جوهر اقبال . بهوبال . ١٩٠١م .

- سلطان جهان بيكم : سفر نامه حجاز . بهوبال . ١٩٠٣م .

٢١.سلطان داؤد : سفر نامه حجاز . نور كمبني . لاهور . ١٩٦٣م .

٢٢.سيد كاظم حسين شيفته : حرمين شريفين . زمانه حج . ١٨٩١م .

٢٣.سيد محمد عبد العزيز شرقي : فيوض الحرمين . ملتان . باكستان . ذو القعدة ١٤٠٠ هـ : أكتوبر ١٩٨١م .

٢٤. سيده حميده فاطمه : لاهور سي ديار حبيب تك . الحمرا برنترز . لاهور . ١٩٨٣م .

٢٥. الشاه عبد العزيز : فتاوى عزيزية . مطبعه مجتباي . دهلي . جلد اول . ١٢١٨ هـ .

٢٦. صادق قريشي : بهرسوي حرم . دار الأدب . لاهور . ١٩٨١م .

٢٧. ظهير الدين بابر : بابر نامه . لاهور . ١٢٩٧٥م .

٢٨. عبد الصمد صارم: سفر نامه . حج وزيارت . دار الاشاعت . لاهور . ١٩٥٩م.

٢٩. عبد الكريم ثمر : سفر حجاز .آئينه أدب . لاهور . ١٩٥٨م .

٣٠. عبد الماجد الدريابادي : سفرحجاز . نسيم بك دبو. لكهنو . ١٩٦٦م

٣١. عبد المجيد صديقي : سبيل الرشاد . انجمن بنجاب . كراتشي . ١٩٣٦م .

٣٢. عبيد الله السندهي : شاه ولي الله كي سياسي تحريك . لاهور . ١٩٤٥م .

٣٣. عزيز الرحمن عزيز : حج صادق. بهاولبور . ١٩٣٧م

٣٤. غلام الثقلين النقوى : ارض تمني . لاهور . ١٩٨٦م .

٣٥. غلام رسول مهر : اتهاره سو ستاون كي مجاهد . لاهور . ط١ . ١٩٧١م

٣٦. غلام رسول مهر : سيرت سيد أحمد شهيد.لاهور . ١٩٥٥م

٣٧.فريد أحمد براجه : سفر شوق . البدر ببليكيشنز. لاهور. ١٩٨١م

٣٨.فضل الدين : ديار حبيب كي باتين . مكتبة نسيم جهلم . ١٩٥٦م

٣٩.قاضي محمد سليمان منصور بوري : سفر نامه حجاز . نور كمبني . لاهور. ١٩٦٨م.

٤٠.قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابي تحريك . كلكتا . ١٩٦٦م

٤١.كينز محمد بيجم : ارض مقدس . اسلامك اكادمي . سيالكوت . ١٩٦٦م .

٤٢.محمد اقبال : بانك درا . ايجو كشنل بك هاوس . على كره . ١٩٩٥م .

٤٣.محمد اكرام : موج كوثر . ادارت ثقافت اسلاميه . لاهور . ط١٩ . ١٩٧٥م .

٤٤.محمد حسين الإله آبادي : رحلة المسكين إلى البلد الأمين . مطبع أنوار صبري . ١٩٠٦ .

٤٥.محمد حفيظ الرحمن حفيظ : سفر نامه حجاز . محبوب المطابع . دهلي . ١٩٣٣م .

٤٦.محمد زبير : جند دن حجاز مين . قمر كتاب كهر . كراجي . ١٩٨٦م .

٤٧.محمد سرور : مقالات مولانا عبيد الله سندهي . لاهور ١٩٧٠م .

٤٨.محمد سرور : مولانا عبيد الله سندهي . لاهور . ١٩٤٢م .

٤٩.محمد شجاع ناموس : سفر نامه . حج وحرمين . ميري لانيري . لاهور . ١٩٧٣م .

٥٠.محمد شريف الأمرتسري : سفر نامه حج . امرتسري . ١٩٢٧ .

٥١.محمد شفيع صابر . سفر نامه حج وزيارت . بشاور . ١٩٧٢م .

٥٢.محمد صديق الخير آبادي : رحلة الصديق الى البيت العتيق كارخانه . فقير محمد . لكهنو . ٠ ت – ن) .

٥٣.محمد عمران علي خان : زاد غريب . مطبع كشور هند . ميرته ١٨٨٠م .

٥٤.محمد مصباح الدين أحمد : غنجة حج . جل جمن . لدهيانة . ١٩٠٩م .

٥٥.محمود الحسن : سفر نامه شيخ الهند . مكتبة محمودية . لاهور . ١٩٧٤ .

٥٦.محموده عثمان حيدر : مشاهدات بلاد اسلاميه . اداره علم مجلسي . كراجي . ١٩٦٢م

٥٧.مرزا عبد الحليم بك : سركذشت حجاز. حيدر آباد . ١٩٦٦م

٥٨.مرزا عرفان علي بيك : سفر نامه حجاز . مطبع نول كشور لكهنو . ١٨٩٥م .

٥٩.مرزا قاسم بيك: زاد الزائرين. مطبع يوسفي. دلهي.١٩١٠م.

٦٠.مسعود عالم الندوي : ديار عرب مين جندماه . مكتبة جراغ راه . كراجي . ١٩٥٥م .

٦١.معين الدين عقيل : تحريك آزادي مين اردو كا حصة .انجمن ترقي اردو بلكستان . كراجي . ١٩٧٦م .

٦٢.مفتاح الدين ظفر: سفر مقدس. مكتبة رشيدية . لاهور . ١٩٦٦م .

٦٣.ممتاز مفتي : لبيك . مطبع التحرير . لاهور . ١٩٧٥م .

٦٤.مولانا سيد أبو الأعلى المودودي : سفر ارض القرآن . اسلامك ببليكشنز . لاهور . ١٩٧٠

٦٥.مولوي سبحان الله الجوركهبوري : ميرا سفر جوركهبور . ١٩٠٣

٦٦.نسيم حجازي : باكستان سي ديار حرم تك . دين اندستر . لاهور . ١٩٨٦م .

٦٧.نصير أحمد ناصر : روداد سفر حجاز . فيروز سنز.لاهور.(ت – ن)

٦٨.نواب شاه خان : مآثر الامراء (الترجمة الأردية لأيوب قادري) لاهور . ١٩٦٨م .

٦٩.همـــايون : همـــايون نامـــه (الـترجمة الإنجلـيزية) لـندن . ١٩٠٢م

٧٠.هنتر : همـاري هندستان مسلمان . تـرجمة صـادق حسين . لاهور . (د . ت)

٧١.وحـيدة نسـيم : حديـث دل . غضـنفر اكادمـي . كراجـي . ١٩٨٠م

٧٢.وزير حسن البريلوي : وكيل الغربا . مطبع نـول كشور . لكهنو . ١٨٨٤م .

٧٣.الياس برني : صراط الحميد . طبع اعظم حاجي . حيدر آباد . الهند . ١٩٢٨م .

<u>ثانياً المصادر العربية والمترجمة :</u>

١. النهروالـي (قطـب الدين محمد) : كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . مكتبة مكة المكرمة . المكتبة العلمية . ١٣٧٠هـ

٢. أبـو الحسن الندوي : الإمـام الدهلوي . سلسلة رجـال الدعوة والفكر . ج٤ دار القلم الكويت . ط١ . ١٩٨٥م .

٣. أبـو الخـير عـبد الله بـن أحمـد المكـي مـرداد : نشـر الـنور والزهر فـي تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الـرابع عشـر . تحقـيق واختصـار وترتيـب محمـد سـعيد العامودي وأحمد على . جدة . عالم المعرفة . ١٩٨٦م .

٤. أحمد السباعي : تاريخ مكة . مطابع قريش . مكة المكرمة . ١٣٨٠هـ

رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون . دار البيان العربي جدة . ١٩٨٥م .

٦. ابن بطوطـة: رحلة ابن بطوطة. دار الكتاب اللبناني. بيروت (د . ت) .

٧. حسين محمد فهيم : أدب الرحلات . عالم المعرفة . الكويت . شوال ١٤٠٩هـ : يونيو ١٩٨٩م .

٨. حسين نصـار (دكتور) : أدب الـرحلة . الشـركة المصـرية للنشر . مكتبة لبنان . ١٩٩١م .

٩. خواجـه حسن نظامـي : رحلـة خواجه حسن نظامي الدهلوي فــي مصـر وفلسـطين والحجـاز (١٩١١) . تـرجمة دكـتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .

١٠.رحمـت الله بـن خلـيل الرحمـن الكـيرانوي : اظهـار الحـق . الجـزء الأول . دار الوطـن للنشـر . تحقـيق محمـد أحمـد ملكاوي . الرياض ١٤١٢هـ .

١١.رفـيع الدين المـراد آبـادي : الـرحلة الـهندية إلـى الجزيـرة العربية . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .

١٢. رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار . عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث . القاهرة ١٩٨٥م

١٣. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : الأدب الأردي الإسلامي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ١٤١٧هـ

١٤. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ١٤١٩هـ :١٩٩٩م .

١٥. الشاه ولي الله الدهلوي : حجة الله البالغة . دار المعرفة . بيروت (د . ت ٩)

١٦. شوقي ضيف (دكتور) : الرحلات . دار المعارف . القاهرة . ١٩٥٦.

١٧. عبد الرحمن الصباغ : تربية النشء في المنزل والمدرسة والمجتمع . القاهرة ١٣٨١هـ .

١٨. عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما . دار خضر بيروت . ١٤١٨هـ : ١٩٩٧م .

١٩. عبد الله عبد الرحمن بن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة . ط٣ . مؤسسة الرسالة بيروت . ١٤٢٢هـ .

٢٠. عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند . دار العهد الجديد للطباعة . القاهرة . ١٣٧٨هـ

٢١.غلام رسول مهر : يوميات رحلة في الحجاز . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . دارة الملك عبد العزيز . الرياض . ١٤١٧هـ .

٢٢.الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة. ١٩٥٦م

٢٣.مؤلف مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري. تحقيق الدكتور محمد التونجي.جدة ١٤٠٤هـ

٢٤.محمد إقبال : ارمغان حجاز . ترجمة : دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م

٢٥.محمد إقبال : بانك دارا : ترجمة : دكتور جلال السعيد الحفناوي . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٥م .

٢٦.محمد إقبال : جاويد نامه : ترجمة دكتور محمد السعيد جمال الدين . سجل العرب . القاهرة . ١٩٧٧م .

٢٧.محمد العيد الخطراوي : مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة . الموقع والتاريخ . ط١ . ١٤١١هـ .

٢٨.مسعود عالم الندوي : شهور في ديار العرب . ترجمة دكتور. سمير عبد الحميد إبراهيم مكتبة الملك عبد العزيز العامة . الرياض .١٤١٩هـ : ١٩٩٩م .

٢٩.ناصر خسرو : سفر نامه . ترجمة: الدكتور يحيي الخشاب . دار الكتاب الجديد . ط٣ . بيروت . ١٩٨٣م .

ثالثاً : المقالات والبحوث العربية والأردية :

١. أنور سديد (دكتور) : حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه . نقوش . شمارة . ١٣٧ . لاهور .ديسمبر . ١٩٨٨م .

٢. جلال السعيد الحفناوي (دكتور) : جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم . مجلة ثقافة الهند . نيو دلهي . مجلد ٤٩ . عدد ٢ – ٣ . ١٩٩٨م .

٣. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية . . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة ١٤٢٣هـ .

٤. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : هدية العائد من أرض الحجاز . مجلة الحج والعمرة . جدة . ذو الحجة ١٤٢٤هـ : يناير – فبراير ٢٠٠٤م .

٥. سمير عبد الحميد إبراهيم(دكتور) : مكة المكرمة وأثرها في فكر الشيخ رحمة الله الكيرانوي . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة . ١٤٢٤هـ .

٦. عبد الباسط بدر (دكتور) : قراءة في أدب الرحلة الأدب الذي أنبته الإسلام . مجلة الأدب الإسلامي . المجلد الأول . العدد الثالث . الرياض . محرم . ١٤١٥هـ .

٧. محمد نور الدين عبد المنعم (دكتور) : رحلة ناصر خسرو إلى الجزيرة العربية . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة . ١٤٢٤هـ

٨. محمد ياسين الصديقي : حج كي جند اهم سفر نامه . كاروان أدب . لكهنو سبتمبر ١٩٩٦م

رابعاً : المعاجم :

١. فيروز اللغات . اردو جديد . لاهور . ١٩٩١م .

خامساً : الدوريات :

١. رسالة فرقان . لكنهو . مني جون . ١٩٦١م .

سادساً : دوائر المعارف :

١. دائرة معارف القرن العشرين .

العرب و الإسلام في ولاية تامل نادو

- د. أحمد زبير*

إن التاريخ يشهد صريحا كل الصراحة على ربط العلاقات الوثيقة بين العرب والهنود من أقدم العصور. كانت هناك روابط و علاقات شتى بين العرب والهند من أقدم الأيام إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم من التجارة و المعيشة والديانة.

يقول المؤرخون إن جنوب الهند كان لها اتصال وثيق بالبلاد العربية منذ أقدم العصور بفضل موانئها فلا غرو إذا كان للمناطق الساحلية شرف السبق للتعرف على الإسلام و اعتناقه حتى قبل أن يغزو المسلمون من الهند. كانت الاتصالات بين الهند و العرب تشتمل على ثلاثة مظاهر - العلاقات الدينية و العلاقات التجارية و العلاقات الثقافية.

إن التجّار الهنود قد عرفوا الطرق البحرية التي تصل بين الهند و مصر و بدأت هذه الصلة منذ ٢٣ سنة قبل الميلاد

---

*أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية و آدابها ، الكلية الجديدة ، شنائي ، الهند

أبحر التجار الهنود مباشرة إلى موانئ الصومال حتى وصلوا مصر. كانت الطرق البحرية لجنوب الهند و معلوماتها معروفة لدى العرب فقط حتى القرن الأول قبل الميلاد.

يذكر بعض المصادر الهندية باللغة الفارسية أنه في السنة العشرين و النيّف من الهجرة ركبت جماعة من المسلمين العرب و العجم على سفينة من بعض موانئ بلاد العرب و اتجهوا إلى سرنديب (سيلان) لزيارة قدم آدم عليه السلام لكن الهواء سار بسفينتهم إلى مليبار ، و كان ملكها "السامري" جامعاً للعقل و فضائل الأخلاق و كان قد صحب جماعة من الفقراء الزهاد فتجاذب معهم أطراف الحديث حتى سألهم عن دينهم ، فقالوا إننا ندين بدين الإسلام، و نؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقال "السامري" إني سمعت طائفة من اليهود و النصارى و الهنود ممن يعارضون دينكم و يسيحون في الأرض أن دينكم قد نال رواجاً عاما و قبولا سريعاً في بلاد العرب و الترك و العجم و لكني لم أصحب حتى الآن المسلمين. فأرجو منكم أن تذكروا لي من حياة ذلك النبي العظيم صلى الله عليه وسلم و ما جاء به من الآيات و المعجزات فقام أحدهم ممن كان يتحلى بالعلم و الصلاح و بدأ الحديث مع الملك و ذكر شيئاً من حياته و معجزاته صلى الله عليه وسلم فنشأ في قلبه حب قوي تجاه النبي صلى الله عليه وسلم. و لما سمع بآية انشقاق القمر قال يا قوم هذه آية قوية فإن كانت حقا و صدقا و ليست من

السحر فلا شك أن الناس جميعاً من البلدان القريبة و البعيدة شاهدوها. و من العادة في بلادنا أنه إذا حدث أمر غريب سجّله الكتاب في دفاترهم. و عندي دفاتر و كتب لآبائي فاستحضرها حتى أعرف مدى صدق مقالكم، فلما تصفحوها وجدوا أنه شوهد في يوم كذا و كذا أن القمر انشق ثم انضم، فلم يلبث إلا أنه شهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله[١].

و يحكي بعض الروايات أن أحد ملوك الهند بعث بهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد ذكرها الإمام أبو عبد الله الحاكم في "المستدرك". عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أهدى الملك الهندي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة و أطعمني منها قطعة[٢].

و كان النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة يعرفون أجيال الهند و أفرادها و قد جاء في الأحاديث و الأخبار أسمائهم و أحوالهم. ولما وصل خبر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بلادهم أرسل أهل سرنديب بعثة دينية إلى المدينة ولكن ما وصلت هذه البعثة في حياته و بعث أحد ملوك الهند هدية الزنجبيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فطعم و أطعم. و بلاد العرب و الهند كانتا تتقاربان في الديانة على مذهب واحد و كانت المقارنة بين الأمتين مقصورة على اعتبار خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيّات و بيوت الأصنام التي كانت للعرب و الهند هي البيوت

السبعة المبنية على الكواكب السبعة. و كانوا يعدون منها الكعبة بيت الصنم لِزحلَ بزعمهم والحقيقة أن الكعبة بناها إبراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى و لذلك لما سمع أهل الهند عن النبي صلى الله عليه وسلم و دينه بادروا إلى تحقيقه. و هنا روايات عن إتيان بعض الصحابة إلى الهند و ذهاب بعض ملوكها إلى العرب و قبولهم الإسلام[٣].

الهند وطن عظيم تقع في جنوب آسيا و لها ثقافة قديمة و تقاليد محكمة و عادات شائعة و علاقات وثيقة مع بلدان العالم. فالهند كانت تنشر حضارتها و ثقافتها و تقاليدها و عاداتها و علومها. و هي كانت مركزا لأمور شتى منذ زمن قديم حتى قبل الميلاد. بسبب وجودها في وسط العالم و بسبب وجودها على المحيط الهندي و بسبب وقوعها في بحيرة العرب و خليج بنغال و السفن التي تجري و تمرُّ بالبضائع إلى الشرق و الشرق الأقصى ترسى مرساتها على سواحل الهند الغربية و الشرقية و السفن التي تمرُّ من الشرق إلى الغرب و إلى البلدان العربية ترسى مرساتها في شاطي الهند شرقا و غربا. فكان وطننا الهند مركزا للرحلات البحرية والسفن تجري بالبضائع التجارية.

إن الهند كانت تُعرف في العالم كبلد العجائب والغرائب. لقد كان للهند و العرب صلات ثقافية و حضارية متبادلة في الفترة الإسلامية. و لأن الثقافة حقل تتلاقح فيه الأفكار والآراء و تتضج

بالعطاء المتبادل. فكما أثر العرب في الثقافة العربية أيضا. كان النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة يعرفون أهل الهند بهَيئتهم و أجسامهم. و في جامع الترمذي في أبواب الأمثال عن عبد الله بن مسعود أنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم العشاء ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم خط عليه خطًا ثم قال : لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لن يكلموك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراد فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط أشعارهم و أجسامهم لا أرى عورة و لا أرى قشرا و ينتهون إلي و لا يجاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسول الله عليه وسلم.

بدأ ظهور الإسلام أولا في القرى و المدن الساحلية لولاية تامل نادو ثم انتشر الإسلام من الأماكن الساحلية إلى الأماكن غير الساحلية في هذه الولاية. و بنى المسلمون في تامل نادو المساجد والمدارس و المعاهد الإسلامية في أماكنهم.

وبما أنه كانت اتصالات العرب مع جنوب الهند قوية حتى قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم و كان التجار العرب و الهنود يتبادلون المنتوجات و المصنوعات فيما بينهم امتدّت هذه الأحوال إلى استيطان العرب في الأماكن الساحلة المليبارية و التاملية أي مناطق "مليبار" و مناطق "معبر"[٤].

و دخل الإسلام إلى أرض الهند أولا من المناطق الساحلية الجنوبية ثم بعد زمن طويل في المناطق البريّة الشمالية عن طريق

الفتوحات الإسلامية الناجحة. وسنرى هذه الحقائق بوضوح في الصفحات القادمة. فتجار العرب كانوا يأتون إلى الهند للبيع و الشراء و يأخذون المصنوعات الهندية. كان الإيراد و التصدير مستمرين حتى ظهور الإسلام و العلاقة كانت علاقة تجارية. طلع الإسلام على ظلام الكفر و نوّر العالم بالتوحيد و العقائد الصحيحة. فجاء الإسلام بالقرآن الكريم لا ريب فيه. و جاء بالأحاديث النبوية و نوّر قلوب الناس بالهدى.

فالذين كانوا يزورون الهند الجنوبية لغرض التجارة و لغرض البيع و الشراء بدعوا يزورون للدعوة و التبليغ أيضا. فالتجار من العرب أصبحوا مسلمين و مبلغين و داعين إلى الله ورسوله و إلى تعليمات الإسلام. فجاء الإسلام و جاءت اللغة العربية معهم و جاء القرآن الكريم بنوره و جاء الحديث الشريف بهدايته فنورت هذه كلها أراضي الهند الجنوبية. فلما جاء الإسلام و دعا الناس إلى الحق لبّوا أهل الهند دعوته و أصبحوا مسلمين فالعلاقة التي كانت بين الهند و العرب، أصبحت العلاقة لأجل قبولهم الدعوة الإسلامية.

كان العرب يسافرون من مدينتي مصر و الشام بطريق البرّ يمشون على شاطي بحر الأحمر و يصلون الحجاز و اليمن و يركبون السفن و يسافرون إلى أفريقيا و الحبشة و بعضهم يمرون بحضرموت و عمان و البحرين و العراق عن طريق الشأطي و

يصلون إيران و يرسون سفنهم في ميناء بلوجستان أو ميناء ديبل أعني كراتشي و يمرون بمواني الهند مثل غجرات و كاتهياوار و بومباني و كاليكوت و راس كماري و مدراس أو يصلون مدراس بطريق سرنديب و أندومان و يدخلون خليج بنغال بعد هذه الجولة [٥].

تتجلى لنا هذه الحقيقة فيما نجد من اللوحات التي اكتشفت في بعض المساجد الساحلية التي تحمل تاريخ القرن الأول للهجرة. و هؤلاء العرب المستوطنون عندما علموا ببعثة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و تعليماته عن طريق تجار العرب و الوافدين رغبوا في هذا الدين الحنيف المجيد. و هذه الاتصالات مع الهند و العرب المستوطنين و الاتصالات التجارية المستمرة ساعدت في دخول الإسلام إلى جنوب الهند و سرنديب.

و كانت كيركري تسمى كوركاي أيضا و كتب في فهرس الهند الجغرافي أن مسلمي مديرية "رامنادبرم" هم أبناء المستوطنين الأولين من العرب و هم أولا استوطنوا في المناطق الساحلية خاصة في كيركري (Kilakarai) و ديفي باتنم (Devipattinam) و مانتابم (Mandapam) و بامبان (Pamban) و غيرها من القرى التي كانت مسكنهم لمزاولة التجارة البحرية الكاملة مع سرنديب و بعد ذلك توسعوا في استيطانهم تدريجيا إلى داخل المديرية. و فيما بعد تعلم أولئك العرب اللغة التاملية و نطقها و أصبح في مستقبل أيامهم لغتهم

الخاصــة. و كثـير مـن العشـراء التامليين المسـلمين ينـتمون إلــى نسبهم[٦].

نذكر أسماء بعض الموانئ الطبيعية المهمة المشهورة التي تقـع علـى "معـبر" و هـي أدرام باتـنم (Adiramapattinam) و كدلـور (Cuddalore) و كاريكــال (Karaikal) وقاهــرة باتــنم (كــايل باتــنم- Kayalpattinam) و كــيركري (كــيلكري – Kilakarai) و نــاغ باتــنم (Nagapattinam) و نـاغور (Nagore) و بلـيكات (Pulicat). و ميناء قاهرة باتـنم مـن أروع و أفخـم الموانـئ فـي "معـبر". يعـرف العـرب المناطق الساحلية في جنوب الهند باسم "معبر".

إن العرب قد حضروا إلى ولاية تامل نـادو قبل الإسلام و كانت العلاقة علاقة تجاريـة و الدلائل على هذه العلاقة موجودة في الأشـعار التامليـة القديمـة مـثل "بـتُّ بـاتُّ" و "بـتّو توغـي"[٧]. زار المسلمون ولايـة تـامل نـادو لغـرض التجارة و أصـبحوا أصـدقاء و معاونين لأهالـي تـامل نادو. و هم وردوا إلى تامل نادو و مكثوا في المناطق المختلفة في القرن الحادي عشر و الثاني عشر.

هناك سببان رئيسيان لهذه التجارة ، الأول: الموقع الجغرافي المناسب لموانئ سواحل جنوب الهند و الرياح الموسمية التي تساعد في سير السفن. والثانـي: موانـئ جنوب الهند مراكز هامـة للتجارة العالمية الساحلية.

"كانت لولاية تامل نادو و جزيرة سرنديب علاقة عميقة مع العـالم العربـي فـي الأيـام القديمـة و كانت هذه العلاقة مقتصرة على

النشـاط التجاري"[٨]. وكانت هذه الولاية مركزا للغة العربية و العلوم الإسـلامية وقد قدم علماءها خدمـات علمية وأدبية وثقافية ولقد ألف مؤلفوا هذه الديار كتبا عديدة و متنوعة في العلوم و الفنون المختلفة.

الصـوفيون - الشـيخ شـاه الحميد الـناغوري و الشـيخ مـادح الرسـول صـدقة الله أبـا و الشـيخ عمـر ولـي و الشـيخ تكـية صـاحب الكبير و الشيخ تكية صاحب الصغير و الشيخ الإمام العروس- الذين هم ليسـوا إلا أبـناء العرب المسـتوطنين بعضـهم منتسبون إلـى أسرة النبـي صـلى الله علـيه وسـلم أو أسـرة الخلفـاء الراشـدين اخـتاروا المناطق السـاحلية لـتكون فيها مسـاكنهم و مراكزهم الـتي بثوا منها دعـوة الإسـلام إلـى كافـة أنحـاء الهند. و لـذا نـرى كثيراً مـن مقابـر أولـئك الشـيوخ فـي القـرى السـاحلية مـثل كـيركري و قاهـرة باتـنم و ديفي باتنم و غيرها[٩].

غـادر أولـياء الله الكـرام رحمـة الله علـيهم وطـنهم و تـركوا أسـرتهم و أغلقوا تجـارتهم و طـرحوا راحـتهم و كسـروا رغـباتهم و مرضـاتهم لأجل الديـن و توطـنوا تـامل نـادو كـي يدعـوا سكانها إلـى الفوز و الفلاح و الإيمان و الإصلاح.

فـنجد أعـلام العـرب المسلمين جـاءوا لأجل الدعـوة و التبلـيغ خـلال القـرن العاشـر و القـرن السـادس و القـرن السـادس عشـر إلـى تامل نـادو و منـهم[١٠]:

حضرة علي شاه رحمه الله(١٠٥٠م) إلى مدورائي(Madurai)

حضرة خواجة سيد سلطان علاء الدين رحمه الله (١١٨٠م)

حضرة شمس منصور رحمه الله (القرن الحادي عشر) إلى تنجاور(Tanjore)

حضرة سيد شاه الحميد الناغوري رحمه الله (القرن السادس عشر)

حضرة نطهر ولي رحمه الله إلى ترشنافلي(Tiruchirappalli)

حضرة سلطان سيد إبراهيم الشهيد رحمه الله

حضرة شيخ بابا فريد الدين إلى بنكوندا

حصرة محمد خلجي إلى قاهرة باتتم

العلاقة بين المسلمين و تامل نادو لغرض التبشير بدأت من القرن الثامن. فالعلاقات التجارية القديمة غيرت لونها و أصبحت العلاقة الدينية، كما ذكرت أن روضة سيدنا تميم الأنصاري و سيدنا عكاشة رضي الله عنهما في "كوولم" و في "محمود بندر" و وجود المساجد على ساحل "كارومندل" (Coromandel الهند الجنوبية الشرقية) يشير لنا إلى أن الإسلام جاء في القرن الثامن من الميلاد.

كانت بلدة فنّان (Ponnani) من أهم و أكبر المراكز العلمية و الثقافية لمسلمي مليبار من قديم الزمان. فإنها لعبت دوراً هاماً فعالاً في نشر الدعوة الإسلامية و ترويج العلوم الدينية و العربية لا في مليبار فقط بل في جنوب الهند كلها.

كانت أسرة "المخاديمّ" أصلا من "المعبر" في اليمن فهاجروا إلى بعض الأماكن في جنوب الهند مثل كيركري (Kilakarai) و قاهرة باتنم (Kayalpattinam) و من هناك إلى فنان فسمي هؤلاء أولادهم و أحفادهم بالمعبريين. و البقع من تامل نادو التي استوطنها آل المعبري أصبحت معروفة باسم "المعبر" عند العرب. و مليبار أيضا كان يعدّ جزءاً من المعبر و للمخاديم فضل كبير في نشر الدعوة الإسلامية في بلاد جنوب الهند مثل مدورائي (Madurai) و تنجائور (Tanjore) و ترشنافلي (Tiruchirappalli) و ناغور (Nagore) إلى جانب مليبار".

يظن بعض مؤرخي الهند أن الإسلام جاء إلى الهند بعد غزو محمد بن القاسم الثقفي الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي لفتح السند في شمال الهند سنة ٩٢ هـ/ ٧١٢ م أو بعد عدة غزوات لمحمود الغزنوي الهند. و هذه الآراء ليست بصحيحة و لا توجد دلائل مناسبة لهذه الآراء الباطلة. والصحيح أنه دخل الإسلام المناطق الساحلية الجنوبية الهندية قبل قرن أو سنين كثيرة لهذه الغزوات و كان الإسلام موجوداً إلى أبعد حد في المناطق الجنوبية الهندية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فكانت العلاقة و الصلة بين العرب و الهند قديمة جدا. إن المؤرخين كتبوا أن سيدنا آدم عليه السلام نزل من الجنة في سرنديب.

كـان هنالك سببان رئيسيان لزيارة العرب إلـى ولايـة تـامل نـادو. الأول التجارة و الثانـي زيـارة أثر قدم سيدنا آدم عليه السلام في جزيرة سرنديب و مقبرة هابيل بن آدم عليه السلام في راميشفرم (Rameswaram) في ولاية تامل نادو في جنوبها الأقصى.

تدل هذه القطعة الآتية التي ذكرها الدكتور الأستاذ نثار أحمد في مقالته "شعراء العربية في تامل نادو" على كيفية تحول العلاقة بين العرب و ولايـة تـامل نـادو إلـى علاقة ثقافية و أدبية كما يلي:-
"...... وهم (العرب) قد تزوجوا مع النساء المحليات و من الممكن أيضا أن النساء العربيات أيضا تزوجن من أهالي هذه الولاية. و علـى هـذه الطريق اتسعت العلاقات الثقافية الـهندية و العربية و أدت إلـى وجـود بيئة مسلمة فـي هـذه المـناطق و استمرار هذه العلاقات الثقافية نـهضت بهم إلى المستوى من الكتابة و التأليف و ليس من العجب أن الأدبـاء من تـامل نـادو لهم أعمـال تتنافس مع إخوانهم العرب في الأسلوب و التعبير"[١٢].

و من الروايات أن تميم الداري أتى إلى جنوب الهند و توفي هناك و قبره يوجد حاليا في قرية "كوولام" قريبا بثلاثين كلومترا من مدينة مدراس. و هذه القرية "كوولام" على شاطئ خليج بنغال و هي قرية صغيرة و فيها مسجد على طراز قديم و هذا المسجد يعرف باسم مسجد ملك بن دينار. والناس من كافة أرجاء تامل نادو يقومون بزيارة قبر الشيخ تميم الداري لأنه حسب الروايات الشفوية

كان طول حياته في هذا الجزء من الأرض يعيش داعيا للناس إلى سبيل الله وهاديا لهم إلى سبل السلام و النجاة. وأيضا يقال أن نعشه وصل إلى سواحل كوولام و الناس أخذوه و دفنوه على ساحل البحر. أما طريقة العلم و النقل فتدل على أن تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار أسلم في سنة تسع من الهجرة وكان يسكن المدينة. ثم انتقل إلى الشام وأقام بفلسطين أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بها قرية عينون وكتب له كتابا وهي قرية مشهورة عند بيت المقدس وركب تميم الداري مع ثلاثين رجلا من لخم و جذام في بحر الروم في سفينة صغيرة ولايوجد دليل هل هو توجه إلى الهند أو ذهب إلى مكان آخر.

روضة سيدنا تميم الأنصاري رضي الله عنه موجودة على ساحل كارومندل و بجنوبها روضة أخرى موجودة. هذه روضة يظنّ أنها روضة عكاشة رضي الله عنه و على ساحلها ميناء باسم محمود بقرب ميناء محمود (محمود بندر) روضة عكاشة موجودة لا نعرف حتى الآن كيف سمي هذا الميناء باسم محمود و من كان محمود ؟ و عندما فتشنا رسالات النواب والاجاهي (Walajahi) وجدنا رسالة مكتوبة فيها عن عكاشة رضي الله عنه كصحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم. كيف تشرف هذان الصحابيان – سيد تميم الأنصاري و سيد عكاشة – إلى سواحل تامل نادو؟ لا يعرف أحد.[١٣]

عكاشة رضي الله تعالى عنه هو الذي شارك في غزوة بدر و جاء إلى ولاية تامل نادو لنشر دعوة الإسلام و دفن في "محمود بندر" التي غيرها البرتغاليون إلى "بورت نوفا" (Portnova).

جاء السلطان سيد إبراهيم الشهيد من المدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (في منامه) مع الجند لنشر الإسلام في السند في ٥٥٧ هـ/ ٦٢-١١٦١م. ولد الشيخ سيد إبراهيم (١١٣٥-١١٩٩م) بالمدينة المنورة من نسل النبي صلى الله عليه وسلم. جاء إلى الهند الجنوبية في زمن سلطنة "بانديا" سنة ٥٨٢ هـ/٨٧-١١٨٦م . وأنشأ سلطنة إسلامية [١٤] و عاصمتها "باوترمانكاباتنم" (Pavithramanickapattinam) (تسمى الآن كيركري) و أستشهد السلطان سيد إبراهيم في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٣م و حكم على هذه المنطقة لمدة إثنتي عشرة سنة و نصف. ودُفن في "إيروادي" (Erwadi). و قبره يوجد حاليا في هذه القرية. و هذه القرية قريبة من كيركري. تقع هذه القرية "إيروادي" في مديرية "رامنادبرم" بمسافة سبعة أميال بالجانب الغربي من بلدة كيركي. تدل هذه الدلائل المذكورة على العلاقات الدينية بين العرب و تامل نادو منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولاية تامل نادو هي إحدى الولايات الشهيرة التاريخية الواقعة في جنوب الهند وحكم "جيرا" (Chera) و "شولا" (Chola) و "بانديا" (Pandiya) ولاية تامل نادو قبل العصر القديم. مدينة

"تنجائور" ومدينة "كمبكونم" كانتا مشهورتان في عصر "شولا". وبعد انتهاء حكم "شولا" بدأ حكم "شيرا" في ولاية تامل نادو ثم جاء بعد "شيرا" حكم "بانديا". و عاصمتها مدينة "مدورائي".

عندما جاء الإسلام كانت الهند الجنوبية تحت ملوك جيرا (Chera) وبدأت تزول سلطتها و حكومتها و الأسرة الجديدة كانت تتقدّم لحصول الحكومة. زار وفد من العرب الهند أيام حكم الملك جيرن بيرومان بيرومال والتقوا به و ذكروا له أحوالهم و دينهم و عن الرسول صلى الله علّيه وسلم فرغب في اعتناق الإسلام. و كما كان الوفد في طريقه لزيارة أثر قدم آدم عليه السلام في سرنديب طلب منهم أن يزوره عند رجوعهم.

و وصى جيرن بيرومان بيرومال للمسلمين فأرسل رسائل إلى ولاة الأمر في مليبار فيكتب صاحب "تحفة المجاهدين في بعض أخبار برتغاليين" الشيخ زين الدين المعبري م ٩٢٨هـ/٢٢-١٥٢١م : "فوصى أصحابه الذين رافقوه و هم شرف بن مالك و أخوه مالك بن دينار و ابن أخيه مالك بن حبيب بن دينار" هذه الواقعة تدلنا على أن المسلمين بدأوا دورة تبليغية و دورة للدعوة إلى الإسلام في زمن جيرن. و المؤرخون يذكرون في تأريخهم عن وجود المقابر و الروضات للمسلمين في القرن الثامن الميلادي بمدينة المسماة "كوندلور" على سواحل الهند العربية حينما نرى مدافن المسلمين في كوولام. نجد المقابر المكتوبة عليها إسم العرب

المسلم علي بن عثمان فعلمنا بوجود هذه المقابر أن المسلمين دخلوا الهند في القرن الثامن من الهجرة و مكثوا فيه و عاشوا و ماتوا. فورود العرب ثابت بالاقتباسات المذكورة قبل ورود محمد بن قاسم الثقفي إلى الهند الشمالية.

قال الشيخ زين الدين المعبري المليباري في "تحفة المجاهدين في أخبار برتغاليين" : أما تاريخ السامري فلم يتحقّق عندنا و غالب الظن أنه إنما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوة و التحية. أما ما اشتهر عند مسلمي ملبار (ولاية كيرالا) أن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بروئيه انشقاق القمر ليلة و أنه سافر إلى النبي صلى الله عليه وسلم و تشرف بلقائه و رجع إلى شحر (مدينة في قاصدا مليبار مع الجماعة و توفي فيها فلا يكاد
حّحُه شيء منها لكنه يبدو أن السامري معرّب زامودي وكانت في قديم الزمان في الهند أسرة ملكية (جيرومان بيرومال) تحكم على بلاد المليباروكان هذا السامري أحد ملوكها.

و تقع بلدة كيركري منذ ٢٠٠٠ سنة و تثبت هذه الحقيقة المباني الشاهقة القديمة و الشوارع الضيقة التي لا نراها إلا في المدن القديمة جدا. و بعض المدن التارخية القديمة المنتشرة في العالم تكون شوارعها ضيقة و هذه المدن تحتفظ لدى الحكومة المعاصرة كآثار تاريخية[١٤]. و قد علمنا أن جماعة من المسلمين من

هاجروا في القرن الثالث من الهجرة إلى الهند بسبب فتنة خلق القرآن ونزلوا في الساحل الجنوبي من أقصى الهند و عمروا المواضع مثل قاهرة باتنم و كيركري و غيرهما و مع أن الملك لهذه البلاد كان من الهندوسيين استأثر هؤلاء المسلمين لعلو مكانتهم و أخلاقهم الفاضلة و أنعم عليهم بعناياته الوافرة التامة.

كانت مملكة بانديا تقوم بترويج التجارة ترويجا عاليا مع العرب و اختار الملك بوشاكراوارتي (Bhoochakravarthy) ميناء كيركري (كيلكري) أساسا و مركزا لأعماله التجارية و هذه البلدة كانت تسمى في زمنهم باوترامانكا باتنم (Pavithramanickapatnam) و هذا الميناء الساحلي كان أقرب لمدينة مدوراي (Madurai) التي كانت عاصمة دولتهم و أيضا كان ميناء طبيعيا عميقا مناسبا للبواخر بسهولة. و كانت قريبة منها بعض الجزر تدعى جزيرة أبا و جزيرة الموز و جزيرة الماء الجيد و جزيرة نينا و غيرها. ولذا اختاره ملك باندیا و جعل بعض العرب أن يستوطنوا هذه البُقعة كان العرب قبل الإسلام ساكنين تحت رعاية مملكة باندیا مما أدّى إلى إخلاص خدمتهم للملوك.

عندما ظهرت معاملتهم الخالصة للبلاط الملكي قواهم الملك بتعيينهم موظفين في بلاطه. و بمرور الأيام ارتفع أولئك العرب إلى مناصب عالية. و منهم كان جمال الدين الذي كان في البداية رئيس التجار و كان يستورد من الخارج لملوك باندیا الفرس

العربية. وبعد أن ثبت إخلاصه للملك عرض عليه وظيفة السفير إلى الصين و أدى جمال الدين هذه المهمة بكل نجاح. و لذا عينه الملك قائد قواته المسلحة في الحرب ضد ملكِ سرنديب (سيلان) المسمى "باراكراما باغو" و تغلب على ذلك الملك من سريلانكا و رجع ناجحا. و بعد وفاة الملك سوندار اباندیا جعله الناس رئيسا لهم[١٥].

و كانت كيركري بلدة صغيرة بل كانت تاريخية لأنها كانت قرية ساحلية جميلة حتى أصبحت ميناء رسميا لمملكة بانديا حيث وقعت التبادلات التجارية بين ملوك بانديا و العرب قبل الإسلام[١٦].

و قبول الإسلام في الهند في تلك الأيام كان مبنيا على الأسوة الدينية في حياة المسلمين الجدد و العرب الواردين إلى الهند و لم يكن إجباريا. و في عام ١٣١٠م دخل الملك كافور جنوب الهند مع رجاله في منطقة "معبر". والفتوحات التي حققها المسلمون لم تكن عسكريا بل إنهم دخلوا البلاد و معهم الأساتذة و العلماء و القضاة و الأدباء و الشعراء و الكتاب مما يدلّ على أنهم اهتمّوا بالثقافة المحلية كما اهتموا بالسياسة و حكموا الدولة تحت راية الإسلام[١٧].

زار الشيخ الرحال الشيخ محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة (م ١٣٧٧م) سرنديب في عصر الملك آريا شكرورتي (Aryachakravarthy) . طلبه الملك أن يزور أثر قدم آدم عليه السلام و ساعده الملك لزيارة أثر قدمه (عليه السلام) فزارها ابن بطوطة[١٨].

زار ابن بطوطة هذه البلدة و سجّل ذكره عنها و لا يذكر كيركري أو باوترامانيكاباتنم و لكنه ذكره باسم "فتان" و في روايته يتكلم عن قدومه إلى هذه البلدة الساحلية و لقائه بالشيخ محمد النيسابوري و يشير إلى مسجد بُني في أجمل الصورة و كان المسجد في الجانب الساحلي و يذكر عن صلاته فيه. و يوضح أيضا عن رجوعه من مملكة بانديا عن طريق هذِا الميناء الساحلي المشهور في ذلك الزمن و أنه ركب باخرة من البواخر الثمانية المتوجهة إلى اليمن. و هذا يدل على أن المسلمين كانوا يسكنون هذا البلد و بنوا مسجداً و عاشوا عيشة إسلامية كاملة[١٩].

كان الشيخ سلطان تقي الدين عبد الرحمن وزيراً و مستشارا و زميلاً للملك راجا سندر بانديان (Raja Sundara Pandiyan). أقطع له الملك موانئ كايل فتن (قاهرة باتنم). أصبح السلطان تقي الدين رئيس الوزراء لحكومة الملك ماروورمان كوليشقر بانديان الأول (Maravarman Kulasekhara Pandiyan) لفترة من ١٣١٠م إلى ١٣١٥ م. و بعد وفاة ماروورمان كول يشقر بانديان الأول حكم السلطان تقي الدين المديريات الساحلية مثل كيركري و ديفي باتنم.

كان السلطان تقي الدين أميراً في جزيرة "كيش" في إيران و كان أخوه الكبير السلطان جمال الدين حاكماً لتلك الجزيرة وزار كل منهما مدينة كيركري لعدة مرات لغرض التجارة و أحضرا معهما عشرة آلاف من الخيول سنويا لمملكة بانديا في ولاية تامل

نادو و في عام ١٣٠٣ م تزوج السلطان تقي الدين من أسرة باندياـ المليكة و استقر في كيركري.[٢٠]

كانت التجارة مشهورة في عهد حكام "باندیا" و هي تجارة العطور و اللؤلؤ. و كان العرب ينشئون و يطورون التجارة كثيراً في تصدير هذه الأشياء. وجمع حكام باندیا الضرائب الجمركية من الموانئ الساحلية في ولاية تامل نادو و أصبح حكام باندیا أغنياء جداً بسب تجارتهم الساحلية العالمية في ولاية تامل نادو.

يقول ابن بطوطة عن كيركري في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار": "فوصلت إلى مدينة فتان Fattan (kilakarai) و هي كبيرة حسنة على الساحل و مرساها عجيب قد صنعت فيه قبّة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام يصعد إليه على طريق خشب مشقف فإذا جاء العدو ضمّوا إليها لإجفان التي تكون بالمرسي و صعده الرجال و الرماة فلا يصيب العدو فرصة، و بهذه المدينة مسجد حسن مبني بالحجارة و بها العنب الكثير و الرمان الطيب و لقيت الشيخ الصالح محمد النيسابوري أحد الفقراء المؤلهين الذي يسدلون شعورهم على أكتافهم و يأكل مع الفقراء و يقدمهم و كان معه نحو ثلاثين فقيرا لأحدهم غزالة تكون مع الأسد في موضع واحد فلا يعرض لها و أقمت بمدينة و كان السلطان غياث الدين أقام بـ فتان نصف شهر ثم رحل إلى حضرته و أقمت أنا بعده نصف شهر ثم رحلت إلى حضرته"[٢١]. و هي مدينة

مترة Mutra (Madurai). حينما جاء ابن بطوطة إلى فتان كان السلطان غياث الدين حاكما على مترة".

و كان ميناء كيركري مركزا لإتيان الأشياء و رسو مختلف البواخر القادمة من شتى الوجهات مثل البلدان الآسوية و البلدان الأوروبية. و كانت بواخر البلدان الآسوية لا تجلب إلى ميناء كيركري مواد العرب فحسب بل كانت تأتي بالمواد المصنوعة في غيرها من القارات العالمية. و كان الخليج الفارسي في ذلك الزمن مركزا عظيما للتجارة مثل هونج كونج (Hong Kong) المعاصرة. و هناك أيضا جمع كل من تجار العرب و الأوروبيين و تبادلوا فيما بينهم من المواد التجارية.

و كانت مملكة "بانديا" تفرض على مواد التصدير و التوريد رسوما جمركية و أصبح هذا الدخل بمرور الزمن موردا كبيرا لخزانة مملكة بانديا و لذلك مهّد الملوك بانديا جميع التسهيلات المطلوبة للعرب التجار. و عندما ازدادت أهميتهم في نظر المملكة و ارتفع نفوذهم استوطن التجار العرب هذه البلدة بكل سهولة.

و يثبت هذه الحقيقة من بعض الأحجار التي تم العثور عليها في جوامع كيركري القديمة. و هذه الأحجار تحمل تواريخ بناء المسجد و أسماء من اشتغلوا ببنائها"[٢٢].

و كانت لكيركري أسماء أخرى بالإضافة إلى باوتر امانيكا بانتم و كوركاي. و هي وكدي و سيمبي نادوا و تين كايِل. و كان

هذا الميناء إلى القرن الماضي يُستعمل كميناء للسفن في جنوب الهند وتوجد حتى الآن آثار وجود بعض مستودعات المو اد للتجار المحليين. هذا أيضا يدل على ازدهار التجارة و اهتمام المملكة في هذه البلدة منذ زمن بعيد"[٢٣].

وصل الداعي الإسلامي عبد الله بن أنور إلى ولاية تامل نادو في عهد حكام "شولا" و بنى عبد الله أنور مسجداً و يوجد هذا المسجد في ترشنافلي حتى اليوم و لكنه في حالة متهدّمة. جاء الشيخ الصوفي نظهر ولي الله من الشام إلى ولاية تامل نادو في القرن العاشر لعصر شولا لنشر دعوة الإسلام و توفي في تامل نادو سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦م. أسلم على أيديه كثير من العلماء الهندوسيين و الأطباء و أبرزهم "يعقوب ستار". و مقبرة الشيخ نطهر ولي إلى الآن موجودة في ترشنافلي بالقرب من المسجد المذكور أعلاه.

تقع البلدة قاهرة باتنم في مديرية توتوكودي بمسافة أربعة أميال بالجانب الشّمالي من مدينة تروشندور. و هذه البلدة الساحلية تسمى كايل باتنم أيضا لكثرة اشتغال الناس في الأيام القديمة بإعداد الملح من مياه البحر. ولكن الدلائل التارخية تثبت أن العرب الواردين من القاهرة بمصر سموا في الزمن القديم بقاهرة باتنم. و في زمن الدولة العباسية ظهرت العقائد المعتزلية و روَّجها الخلفاء العبّاسيون. و كان السلطان يكرم علماء المعتزلة مع اعتقاده

بعقائدهم و أمر بإجبار الناس أن يعتقدوا بالعقائد الفاسدة خاصّة العقيدة المتعلّقة بخلق القرآن. و خرجت جماعة من العرب المسلمين الذين لم يستطيعوا الصبر على مظالم الخلفاء. و هؤلاء خرجوا من شعاب "المقدم" بالقاهرة و عددهم ٢٢٤ نفرا بقيادة محمّد خلجي من عائلة الكبرى و ساروا بقارب على البحر متوجهين إلى الساحل الهندي و بعد سفر طويل نزلوا في هذه المنطقة من الأرض في ٨٧٥ الميلادي و استوطنوها. و بما أنهم جاءوا من القاهرة دعوا هذه الولاية أيضا "القاهرة الصغيرة" و لمّا سمع ملك مملكة "بانديا" عن نزول هؤلاء العرب ذهب هناك و استقبلهم استقبالا حارّا و رتّب لهم جميع التسهيلات اللازمة و منحهم تلك المنطقة كلها مجانا إذ أن العلاقة بين العرب و مملكة بانديا كانت قوية راسخة منذ أمدٍ بعيد. و بنى هؤلاء اللاجئون مساجد للصلاة و مساكن للسكن.

و بعد مدّة أتت جماعة أخرى من القاهرة بمصر تحت رئاسة السيد جمال الدين المنتمي إلى العائلة الهاشمية. ركبت قاربا آخر و سافرت في البحر و هبطت بقاهرة باتنم بجنوب الهند في القرن الثالث عشر الميلادي. و كان الملك سوندرا بانديا (Sundara Pandian) يحكم الدولة التاملية و قتئذ. و هذا الملك رجل عظيم سخيٌّ و لذا أسرع الملك إلى حيث نزلت الجماعة و كرمهم بضيافته و قدم لهم ما احتاجوا إليه من الأغراض الضرورية[٢٤].

و كـان السيد جمال الدين تاجرا كبيرا في الفُرس. و بعد مدّة قليلة من استيطانه بقاهرة باتنم بالحكومة التاملية أخذ يشتغل بتوريد مختلف أنـواع الفرس مـن البلدان العربية إلـى بـلاط مملكـة بانديـا. وقدمـت المملكـة لـه وسـائل النقل مثل البواخر و السفن. و في بعض الأحيان زاد عدد المستوردات من الفرس على ألف أو ألفين. و كان السيد جمال الدين يقوم بواجباته بكل إخلاص و هذا الإتقان في عمله قرَّبـه إلى بلاط مملكة بانديا وأدى إلى اختياره من قبل الملكِ سوندرا بانديا سفيرا لدى الصين. و أنجز هذه المهمة بكل إخلاص و زاد في قلـب الملك إحسـانا و إكراما. و بعد مضـي زمن قصير عيّنه الملك قـائد جيشـه الرئيسـي الـذي واجـه الأعداء بدولـة سيلان (سرنديب) و استطـاع التغلـب علـى جيش عـدوه و نصـب علـم السمك (وهو شعار مملكـة بانديـا) علـى أرض سيلان. و استمر فـي خدمتـه لدولة بانديا حـتى بعـد وفـاة سـوندرا بانديـا. و اشـتغل ابـن السـيد جمـال الديـن المسمى فخـر الديـن أحمـد مندوبا لدولـة بانديـا لـدى حكومـة الصـين لـبعض الوقـت. و كـان قد تعين أخـو جمـال الديـن و هـو تقـي الديـن ككبير الـوزراء فـي بـلاط المملكـة و بعد وفاتـه حل محله ابنه سراج الدين.

و بعـد مـا نشـر الديـن الإسـلامي الحنيف في أرضنا صـلتها قويـة بالعـرب و اللغـة العربيـة. و اهـتم مسـلموا الهـند بـتعلم اللغـة العربيـة أنفسـهم و بتعـليمها لأولادهم. و لهـا مكـان خـاصّ فـي

حياة مسلمي الهند بسبب كونها لغة القرآن الكريم. و نتيجة لهذا الاهتمام أنجبت الهند آلافا من الأدباء البارزين و يوجد كثير من مؤلفاتهم في اللغة العربية. و معظم هذه المؤلفات مثل مؤلفات العرب في الأسلوب. و إذا نأخذ بعين الاعتبار نفهم بأن الأدباء و علماء الهند لهم مساهمة كبيرة فيه منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا . وجد تاريخ الهند في كل زمن من الزمان أدباء في اللغة العربية.

تعلم المسلمون من ولاية تامل نادو في أوائل عهد إسلامهم الإسلام بكل الإخلاص و اللغة العربية من التجار العرب و بذلك أصبح التجار العرب معلمي اللغة العربية.

المراجع و المصادر:

[١] مقال بعنوان "التبادل الثقافي بين الهند و العرب" من مجلة "ثقافة الهند"، ص:١٤٩ ، المجلد:٤١ ،العدد : ٣.

[٢] "المستدرك" للحاكم أبي عبد الله النيسافوري ، ج : ٤ ، ص: ١٣٥

[٣] "العقد الثمين" ، ص : ١٤

[٤] الدكتور أحمد زبير ، "أسرة الشيخ صدقة الله أبا و خدماتها الدينية و العلمية" ، ص : ٢٠

[٥] الدكتور محمد سليمان العمري ، "الدراسات العربية و الإسلامية في ولاية تامل نادو منذ سنة ١٨٥٧م" ، ص : ٣٠

[٦] "Gazetteer of India", Tamil Nadu State, Ramanathapuram District, Preface, Page : 7

[٧] الدكتور محمد أويس ، "الإسلام الذي طور اللغة التاملية" ، ص: ١٠

[٨] الدكتور تكية شعيب عالم ، "العربية و الأردية والفارسية في سرنديب و تامل نادو" ، (مقدمة الكتاب)

[٩] الدكتور أحمد زبير ، "أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية و العلمية" ، ص : ٢٢- ٢٣

[١٠] الدكتور محمد سليمان العمري ، "الدراسات العربية والإسلامية في ولاية تامل نادو منذ سنة ١٨٥٧م" ، ص : ٤٦

[١١] ثقافة الهند ، المجلد : ٤٠ ، العدد : ١-٢ ، ص: ٦٧

[١٢] ثقافة الهند ، المجلد : ٤٤ ، العدد : ١ ، ١٩٩٣م ، ص: ١١٠ و ١١١

[١٣] الدكتور محمد سليمان العمري ، "الدراسات العربية و الإسلامية في ولاية تامل نادو منذ سنة ١٨٥٧م" ، ص : ٤٠

[١٥] السيد إدريس مريكار ، "شرف كيركري العظيم"، ص : ٤٢ و ٤٩

[١٦] " دائرة المعارف الإسلامية التاملية"، ج : ٢ ، ص : ٦٣٢

[١٧] مقال بعنوان "مساهمة عالم تاميلي في الأدب العربي" للدكتور بشير أحمد الجمالي من "مجلة الدراسات العربية" ، ص:١١٦ ، العدد الثاني ، ٢٠٠٣ م.

[١٨] الدكتور سيد كرامت الله بهمني "الجديد" (مجلة الكلية الجديدة)، ١٩٨٣م ، ص : ١١

[١٩] تاريخ الأدب التاملي الإسلامي باللغة التاملية ، ص: ٢٩ و ٣٠.

[٢٠] Ibn – Batuta, "Travels in Asia and Africa", Translated and selected by H.A.R Gibb. Page 263 - 267.

[21] الدكتور تكية شعيب عالم ، "العربية و الأروية والفارسية في سرنديب و تامل نادو" ، ص: ١٩-٢١

[22] ابن بطوطة ، "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، المطبعة الخيرية، سنة ١٣٢٢ هـ

[23] الدكتور أجمل خان، "المسلمون في تامل نادو"، ص: ١٩

السيد إدريس مريكار "شرف كيركري العظيم"،ص:٢٦

عبد الرحيم "دائرة المعارف الإسلامية التاملية"، ص: ٦٣٢

الشيخ ألطاف حسين حالي وشعره العربي
(دراسة ونقد)

- بدر جمال الإصلاحي*

ترجمة حياته:

يُعَدُّ الشيخ ألطاف حسين حالي من مشاهير شعراء الأردية، كتب الناقدون كثيراً على فكره وفنه. وله حظ وافر في الشعر العربي أيضا. ولد الشيخ حالي في مدينة باني بت(Panipat) بولاية هريانا(Haryana)، الهند، ١٢٥٣هـ الموافق ١٨٣٧م[1]. وقد خولط في عقل أمه بعد أن ولدته[2]، وتوفي أبوه الشيخ أزيد بخش بعد أن بلغ التاسع من عمره[3]. فقام بكفالته أخوه الكبير الشيخ إمداد حسين مظهر وأخته الكبيرة، كما قال هو في ترجمة حياته:

" وأولا حفّظني أخي القرآن الكريم، وكانت لي رغبة شديدة منذ الطفولة في التعلم والدراسة، ولكن ما وجدت فرصة للمواظبة عليه"[4].

* - أستاذ اللغة العربية وآدابها، مدرسة الإصلاح، سراي مير، أعظ
أوترابراديش

وكان أستاذه في حفظ القرآن الحافظ ممتاز حسين وبعد ذلك قرأ اللغة العربية على الحاج مولانا إبراهيم حسين الأنصاري.

ولم يبلغ السابع عشر من عمره حتى زوّجه أخوه وأخته من بنت خالهم المسماة "إسلام النساء"[٥].

وكان كفيل أسرته أخوه الكبير الشيخ إمداد حسين مظهر، وهو يُصرُّ في مطالبته منه أن يكتسب المعاش ولكن نفسه اشتاقت ومالت إلى التعلم، فانسلّ من بلده باني بت إلى دهلي، واشترك في درس الأستاذ الشيخ نوازش علي، ودرس هناك اللغة العربية، والمنطق والفلسفة، ثم انتقل إلى الشيخ فيض الحسن السهارنفوري والشيخ أمير أحمد وشمس العلماء الشيخ ميان نذير حسين[٦].

وكان يجتهد ويواظب على التعلم والمطالعة ويريد أن ينتهض إلى مدارج المنهج العصري وقد بلغ درس " شرح مسلم الثبوت" للملا حسن و"شرح هداية الحكمة" لميرحسن الميبذي حتى طلب منه أهل أسرته أن يرجع إلى بلده باني بت، وأصروا على ترك تعلمه، ولكنه بعد رجوعه إلى بلده إستمر على مطالعة الكتب الدراسية[٧].

وبعد الرجوع إلى باني بت توظّف في مكتب حصار المديرية على راتب قليل وبعد حادثة ١٨٥٧م تعطلت وظيفته، فاضطرّ إلى أن يعود إلى بيته ومكث أربعة أعوام بغير وظيفة ومهنة فاشتغل بالمطالعة والكتابة، كما قال في ترجمة حياته:

" وفي هذه الفترة تلمذتُ على العلماء المشهورين في باني كالشيخ عبد الرحمن والشيخ محبّ الله والشيخ قلندر علي رحمهم الله تعالى، وقرأت عليهم كل فن من الفنون بغير نظم وترتيب، قرأت تارة المنطق وأخرى الفلسفة وثالثة الحديث والتفسير، وعندما يتغيبون عن باني بت أطالع الكتب بنفسي، لا سيما كتب الأدب مستعينا بالشروح والمعاجم، في بعض الأحيان أكتب المقالات العربية وأقرض الشعر العربي"[٨].

وبعد عطالة طويلة توظّف لدى النواب مصطفى خان شيفته، وعُيِّن مدرِّباً لابنه نقشبند خان مهجور، وقد استفاد من النواب، وانتهض ذوقه الأدبي في صحبته، كما كتب مالك رام:

" كان النواب شيفته عالماً عبقرياً، صاحب ذوق سليم في فهم الشعر وبارعاً في اللغة العربية والفارسية والأردية، مجيداً في قرض الشعر وكان له قدرة فائقة في إنتقاد النثر والنظم، وقد تشرف وسعد الشيخ حالي بصحبة هذا العبقري الذي كان له علاقة راسخة مع المشاهير وأصحاب الكمال ووجد فرصة ذهبية بفضل صحبته للقاء أصحاب العلم والفن كالمفتي صدر الدين خان آزرده، وميرزا أسد الله خان غالب والنواب ضياء الدين أحمد خان نير، والحكيم أحسن الله خان وغيرهم من العلماء والأدباء فاستفاد منهم كثيراً وتجلت شخصيته في العلم والأدب بفضل صحبتهم، كما قال مفتخراً:

حالي! سخن مين شيفته سي مستفيض هون

شاكرد ميرزا كـــــا، مقـلد هون مير كا

أي [أنـا استفدت مـن النواب مصطفى خـان شيفته فـي فـن الشعر وتلمّذت على ميرزا أسد الله خان غالب واتبعت مير تقي مير في قرض الشعر].

وقد قضى في صحبة شيفته سبع سنوات، وفي هذه المدة[9] استفاد منه كثيراً حتى اشتهر في العلم والأدب ، وقد أنعمت عليه الحكومة الإنكليزية بخطاب شمس العلماء في ١٩٠٤م معترفة بخدماته العلمية والأدبية وبراعته في لغات مختلفة.

وبعد ذلك ما عاش إلا عشر سنين، فانتقل إلى رحمة ربه في ١٩١٤م في باني بت[10] وكان نابغاً في اللغات العربية والفارسية والأردية وكان شاعراً كبيراً[11].

وفي آخر أيام حياته كان يلتمس الهدوء والطمأنية ويريد الفرار من التشوشات الأسرية ليكمل أموره العلمية والأدبية ويرتب ديوانه الشعري حتى غادر وطنه باني بت إلى فريد آباد(Faridabad)، وكان هناك رجل مواطن وقريب له، وهو الدكتور لياقت حسين، فمكث هناك أربعة أشهر أو خمسة ودوّن هناك قصائده العربية والفارسية وأتمّها[12].

قال مالك رام: " قد طبعت أشعاره العربية والفارسية في ١٩١٤م مع ديوانه الأردي قبل بضعة أشهر من وفاته"[13]

العلاقة بين العرب والهند:

كانت علاقات تجارية بين العرب والهند منذ الأزمان الغابرة، وإن كان حال بينها بحر شاسع ولكنهم كانوا لا يرتحلون بطريق برية إلا ماشاء الله بل كانوا يوثرون ركوب البحر وكان تجار العرب يصدِّرون ويستوردون البضائع الثمينة ولا يزالون يذهبون وينوبون من الهند إلى العرب ومن العرب إلى الهند، وأهل الهند كانوا كذلك أيضاً.

وبعد انتشار الإسلام بدأ عهد حكومة العرب على الهند عندما هجموا على السند بقيادة محمد بن القاسم في ٩١هـ فصارت السند وبلوجستان وملتان وكشمير تحت الحكومة العربية الإسلامية، ولما تزعزعت الخلافة العباسية وإضمحل بطشهم العسكري وثب على الحكومة السندية العربية بنوهبارة في منصوره وبنو سامه في ملتان، وأقاموا حكومتهم في هذه الأقاليم، وما مضت عليهم مدة طويلة حتى أنهى القرامطة حكومة بني سامة وبني هبارة من ملتان ومن منصورة، وأسَّسوا قصر حكومتهم وبدعوا يخطبون باسم الخليفة الفاطمي في جوامع ملتان.

ولما فتح السلطان محمود الغزنوي ملتان لجأ القرامطة في منصورة فطاردهم من منصورة أيضاً. وأقام حكومته على أكثر بلاد الهند وبعد وفاته حكمت أسر مختلفة من المسلمين على بلاد الهند- الغوريون والعباد والخلجيون والتغالقة واللوديون – وأخيرا حكم المغول وكان عهدهم الذهبي أطول مدة وأكثر بركة من حيث العلم

والثقافة والثراء والطمأنينة، وكان الملوك المغول يكرِّمون العلماء والشعراء فازدهرت في عهدهم العلوم والفنون وتولوا الاشراف على اللغة الفارسية واللغة العربية.

والجدير بالذكر أن الأسر الحاكمة المسلمة على الهند، كانت من العرب ولا تنطق بالعربية إلا التي حكمت على السند وبلوتستان وملتان. وكانت مدة حكومتها قليلة جداً ولم يجد أهل الهند فرصة، لموقعها الجغرافي، أن يستفيدوا من العلوم العربية ولغة العرب وثقافتهم مباشرة[١٤].

فما كان الحظ للعربية بين أيدي الفارسية في قصر الحكومة الإسلامية في الهند وما حصلت على القبول والعزة بصورة رسمية، فلذلك لم تزدهر العربية ولم ترسخ في المجتمع الهندي ولكن المسلمين في الهند يحبونها ويتعلمونها لأنها مفتاح علوم دينهم ولغة القرآن وحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم كما قال عماد الحسن آزاد الفاروقي:

"إن اللغة العربية في المجتمعات المسلمة الهندية كان لها مكان مستقل في مناهج التعليم لأنها أصل ومفتاح لعلومهم الدينية وكانوا يدرسون الأدب العربي لأجل هذا ولكن العربية لم تلاق رواجاً وقبولاً عاماً ولم تحاز تجاوباً وخطوة في مجال الانتاج والاختلاق"[١٥].

كانت الفارسية تزدهر في الهند الإسلامية وتحظ بالرواج والقبول ولها غلبة واضحة على العربية فلذلك لم تسعد العربية أن تقدّم إنتاجاً يُذكر أو كتاباً رائعاً أو عملا عبقريا[١٦].

وقال الدكتور أحمد أدريس بالنسبة للشعر العربي في شبه القارة الهندية:

" لم يجد أحد من أبنائها مكاناً في الأدب العربي على نحو مؤثر يترك بصمات فن من الفنون الشعرية"[١٧]

والمسلمون الذين فتحوا بلاد الهند كانت أغلبيتهم من الأتراك والإيرانيين وكانت لغتهم فارسية ولا يقدرون أن ينطقوا باللغة العربية أو يكتبوا فيها، فلذلك لم تنتج الهند أدباء العربية أو كتّابها كما أنتجت الأندلس أدباء العربية وكتابها كابن زيدون وابن هاني وابن خفاجه وابن حمديس وابن عبد ربه ولسان الدين بن الخطيب.

الشيخ ألطاف حسين حالي وشعره العربي:

وكان الشيخ ألطاف حسين حالي يقرض الشعر العربي عندما وجد الفرصة ولاسيما عندما كان مصاحباً للنواب مصطفى خان شيفته وهو كان موظفاً في مصلحة التعليم في لاهور.

وكل أبياته العربية مئة وبضع، وهي مختارة من أبياته العربية الكثيرة، كما قال الحكيم السيد عبد الحي الحسني اللكناوي:

" قد طبع في آخر حياته جزء من كلامه العربي".

قد طبع منها مئة وأحد عشر بيتاً في الجزء الثاني من "كليات نظم حالي" بترتيب الدكتور افتخار أحمد الصديقي وثلاثة أبيات في رسائل حالي التي قام بترتيبها محمد إسماعيل الباني بتي. يقول في الرسالة التي كتبها إلى النواب عماد الملك السيد حسين البلغرامي[١٨]:

رقمت معتصما شهرا وأياما
بحبل رأفتكم في حيدر آباده
فهذا دعاء وتذكار لنعمتكم
وشكرا لاحسانكم يا سيد الساده
ولست بناسٍ طول عمر ضيعتكم
كذا أجرت بإذكار النعمة العاده[١٩]

وقال مطلعاً عربيا لنعته الأردي:

يا ملكي الصفات يا بشرى القوى
فيك دليل أنك خير الورى

وهذا البيت العربي من الغزل الأردي الذي يحتوي على ثلاثة عشر بيتا:

لا أبالي بأن يعاتبني كل ناس وأنت عني راض

وقد جاء في أخير المرثية الأردية الشهيرة التي نظمها لدى وفاة استاذه أسد الله خان غالب الدهلوي، وهذه المرثية تحتوي على مئة بيت:

كم لنا فيه من بكا وعويل   وعتاب مع الزمان طويل

وعلاوة على ذلك ضمَّن بعض المصاريع على كلامه الأردي، وهذا المصراع من نعته الأردي الذي مطلعه في العربية وقد ذكرناه آنفا:

خلقك خصب الزمان بعثك محيا الورى

وفي غزل جاء بهذا المصراع:

هل لنا في نزاعنا من قاض

القطعة الأولى من ديوان حالي موضوعه "صار الأصاغر أكابر" وفيها ستة عشر بيتا أرديا وفي آخر هذه القطعة جاء المصراع العربي:

كبَّرنا موت الكبراء[٢٠]

وفي رباعي من رباعياته جاء:

لا حول ولا قوة إلا بالله

وهذه الجملة العربية الفصيحة عن كلام النبي صلى الله عليه وسلم التي يستعملها هنود شبه القارة الهندية المثقفون عند اللعن والكراهة ويعتقدون أن الشياطين يهربون من هذه الجملة.

في كليات نظم حالي (الجزء الثاني، رقم الضميمة: ثلثة، رقم السلسلة: ثمانية) بعض قصائد وقطعات ومصاريع مشتملة على مئة واحد عشر بيتا عربياً وفي بداية هذه الضميمة قطعة تحتوي على ستة عشر بيتا، أرسلها إلى المنشي محمد كرم الله خان تهنية لزواجه المبارك من لاهور إلى دهلي إذ لم يستطع أن يشترك في حفلة الزواج بسبب مرضه، وفي هذه القصيدة أظهر فرحه ومشاعر صداقته وخلوصه، وبيَّن مرضه وعزلته وغربته وخذلانه في لاهور، وأظهر فيها رغبته في حضور حفلة الزواج ، واعتذر على غيابه فقال يهنّئه على زواجه الميمون:

فقرت أعين الزوجين قرا   إلى ما كان للدنيا قدور

وكان مباركا لهما ازدواج   بود لا يداخله نفور

فباطنه كظاهره صلاح   وآخره كأوّله حبور [٢١]

ولما انتقل حالي موظفا في مكتب الترجمة إلى لاهور صار مهتما حزيناً على فراق أحباءه في دهلي، فأرسل إليهم قطعة مشتملة على تسعة أبيات، حمَّل فيها قيامَه بلاهور على السجن واعتبر أيامه الماضية في دهلي مع أحبائه زمن الراحة والسرور، ومنها:

هل من يبلغ عن محصور لاهور

عن متبلى فيه بعد الكور بالحور

وفي هذه القطعة يشكو ريب الزمان ومكاره الحدثان التي فرقت بينه وبين أحبائه:

ولم يزل حدثان الدهر يزعجني

يوما بنجد ويوما كنت في غور[٢٢]

ويتمنى لقاء أحباءه ويدعو الله أن يوفّر له فرصة زيارتهم عاجلاً أو آجلاً، واتبع شعراء العرب القدامى، فذكر فيها ديار سلمى وتحيّرو اضطرب على تقلب الزمان واشتاقت نفسه إلى لقاء الأحباء كما كان العرب يبكون ويتحيرون من ذكرى الأحباء وديارهم.

ومن شعره العربي قصيدته العربية المحتوية على أحد عشر بيتا التي كتبها في مدح الرئيس الإنكليزي المستر كاردري وهو كان مديراً لمصلحة المعارف والشيخ حالي كان موظفا في مصلحة الترجمة وكان له حاجة للتوصية منه، بدأ القصيدة ببيان طريقة أهل الشرق:

لنا آسيائيين عند خصاصة تكون لنا أن نلتجي بالقصائد

والجدير بالذكر أن الشيخ حالي كان قانعا مستغنياً، يكره أن يمدح رئيساً إنكليزيا، ولكنه كان مضطرا لمدحه ولطلب التوصية منه لغرض قومي لأن تعليم القوم وتثقيفهم كان أمراً مهماً لديه.

وقد مدحه وأشاد جهوده العلمية والأدبية لاسيما ترجمته الإنكليزية من اليونانية لنظم "إليد" للشاعر الشهير الإغريقي "هومر":

كشف غطاء عن خبينات هومر

كما يكشف الصبح الدجى عن مراقد

وقد ختم قصيدته هذه على بيان أنه اجتنب واحترز عن المبالغة وذكر فيها صفاته الحقيقية ومحاسنه الأصلية، وقال : ان الممدوح أعلى وأرفع من المنزلة المذكورة في القصيدة.

وقال قطعة لتهنئة زواج المرزا ثريا جاه غورغاني[٢٣] على طلب صديقه المرزا أشرف بيك، وهذه القطعة تشتمل على عشرة أبيات، وقالها في أسلوب شعراء العرب وعلى منوالهم، فبدأ هكذا:

أبيت اللعن نخبة آل قوم إليهم ينتهي كل المعالي

والعرب في الجاهلية كانوا يسلمون الملوك والرؤساء "بأبيت اللعن" وهذه الجملة كانت خاصة للسلام الملوكي، ولاسيما لملوك اللخم[٢٤] والجذام[٢٥] الذين كانوا يحكمون على الحيرة[٢٦] وجاء النابغة الذبياني بهذا السلام في قصائد متعددة له مثلاً قال في مدح النعمان بن المنذر[٢٧]:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتنى تلك التي تستك منها المسامع

ومعنى "أبيت اللعن" أنك لا تعمل عمل سوء تستحق به اللعنة والملامة، فاختار واقتبس الشيخ حالي" هذه الجملة حسب عزة ممدوح ورفعة مكانه، فأوضح بعد ذلك:

لهم بين الورى ذكر رفيع وشأن في ملوك الدهر عالي

وبشّر ممدوحه أن عروسه طاهرة الأخلاق وصاحبة العلم والفضل وذات الكرم والاحسان وحميدة الخصال والعادات فقال:

خطبت كريمة من طيبات أولات الفضل خيرة الفعال

وهذه الأبيات الثلاثة من هذه القطعة نموذج رائع للمديح:

يجود بما يضن ولا يباهــي ويفعـل ما يشاء ولا يباهي

يجيب السائلين بغير مكــث ويُعـطي العائلين بلا سوال

وإن يك أصغر الأقران سناً فأكبـرهم بلـوغا في الكمال

وختمها على هذا الــدعاء:

فبــورك فيه مــا دام الثريا وما انسلخ النهار من الليالي

وأروع قصـائده القصيدة التي قالها في مدح مولانا الشاه عبد الغنـي المجددي النقشبندي[٢٨] وأرسلها إليه وكـان مقيماً فـي المدينة المنورة وأرسل معها رسالة عربية، فرد إليه الشاه عبد الغني أيضاً بالعربية وخاطبه بالفاضل النبيل والأديب الجليل، وقـدَّر عربيته وأشاد فصاحة رسالته وكتب إليه بالنسبة لقصيدته:

استحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة وفي هذه القصيدة ثمانية وأربعون بيتاً ومطلعها:

هوى الحور بلوي حبر وناوب

وفتنـــة قسّيس وزلة راهب

وتشبيب هذه القصيدة يحتوي على عشرين بيتاً ولا يُسأل عن حسنها وتأثيرها مثلاً:

قد اختطف لبّي وروعي مليحة

بلطف مدار لا بعبس معاتــــب

وكذلك:

ذهبنا لنلهيها بنا عن مشاغــل

فجـاءت ألهتني عن الإشتغال بي

لفي نظرة منها وغمز ولمحة

بلاء لـــذي ورع إلى الله نائب

ولمـا أنعم علـى العلامـة شبلي النعمانـي بلقب شمس العلماء هنأه فقدم إليه قصيدة التهنئة التـي تحتوي على ثلثة عشر بيتاً، ذكر فيه أعماله العلمية والأدبية وعلاقته بالتدريس والتعليم.

بالدرس والدراسة فيهم فارغـــا عن رئاسة ورئيس

ودعـا فـي نهايـة هذه القصيدة للعلامـة شبلي النعمانـي بالخير والسلامة.

وقـال الأبيـات الثلاثة التالية لتهنئة زواج صديق قد عبر فيها أمنياته الجميلة ومشـاعره الحسنة لعروسين وبشر الأحباب بدعوة الطعام:

سلام من مـحب مستكين يليه الخــير والبركات تترى

سلام ردفه روح وراح من بين يديه للأحباب بشرى

ودعوة شاهدين وغائبين من الأخـــوان والخلان طرّا

وقال أيضاً وعنوانه "خاتمة رقعة الزواج":

فأطيب العيش في الدنيا ورغده رعيـــت بزيارات الأحباء

ويوجد في كلام حالي بعض الكلمات المتروكة والعسيرة الفهم مثلا:

أنت الذي تحوي الفضائل جمة كمـــا تحتوي الداماء جم الفوائد

فكلمة "الداماء" ومعناها "البعر" غير معروف وكذلك كلمة "المدرس" ومعناه "المدرسة" في البيت التالي غريب غير معروف:

قلدوك التزام مدرس قوم فيه يرجى لهم كمال النفوس

وكذلك كلمة التصحب غريبة معناها "الحياء" وجاء في هذا البيت:

وكم من حياء دونها وتصحـــــــب

وحصن من التقوى وخوف العواقب

وكذلك استعمل بعض الكلمات المتروكة في اتباع شعراء العرب الجاهليين. مثلا قال:

أبيت اللعن نخبة آل قوم إليهم ينتهي دلُّ المعالي

في البيت التالي جملة "أبيت اللعن" قد استعملها الشاعر الجاهلي نابغة الذبياني وأراد بها الدعاء، أي لا تلحق بك اللعنة فقال:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني   تلك التي اهتم منها وانصب

وقد تقلد مولانا حالي شعراء الجاهلية في قرض الشعر واتبعهم فيه فقال:

هل من يبلغ عن محصور لاهور   عن مبتلى فيه بعد الكور بالحور

كما قال شاعر حماسي:

ألا أبلغا خلتي راشدا   صنوي قديما إذا ماتصل

ففي البيتين الآتيين تشابه كلمتي "يبلغ" و"أبلغا" واضح بيِّن.

وبيت من قصيدة مولانا حالي التي قالها في مدح الشاه عبد الغني المجددي النقشبندي الدهلوي:

كما أظلم الدهلي بتغريب كوكب

مضيء على عرب عن الهند عازب

يذكّرنا شعر[٢٩] الرمادي الذي قاله في شأن أبي علي القالي البغدادي عندما ذهب إلى الأندلس:

فالشرق خال بعده وكأنما   نزل الخراب بزيعة المأهول

فكأنه شمس بدت في غربنا   وتغيَّبت عن شرقهم بأفول

وفي بعض أبيات حالي توجد الصنائع ولكن بغير تكلف وتصنع:

فمثلا قال في مدح ثريا جاه كوركاني:

يجود بما يضن ولا يباهي   ويفعل ما يشاء ولا يبالي

ففي كلمتي "يجود" و"يضن" صنعة الطباق وفي "يباهي" و"يبالي" صنعة الجناس.

وقال في مدح الشاه عبد الغني الدهلوي المذكور آنفا:

سينفد دون الابتلاء بوصفه   أقاويل وصاف وأوصاف كاتب[٣٠]

توجد فيه صنعة الاشتقاق لأن الوصف والوصاف والأوصاف اشتقت من مادة واحدة. وقال في مدحه أيضاً:

مدار كمال مقتدى كلِّ كامل

محط رجال، منتهى كل طالب

توجد فيه صنعة الترصيع. وقال أيضاً:

معطلة الآراء من غير رقية   مقتلة الأحشاء لا بالمضارب

توجد في "معطلة الآراء" و"مقتلة الأحشاء" صنعة الجناس وقال أيضاً:

وهزم لمنصور وفتح لخاذل

وعز لمغلوب وذل لغالب

هذا البيت مثال رائع لصنعة الترصيع وصنعة المقابلة وصنعة الطباق وقال في مدح مرزا ثريا جاه غورغاني:

وإن يك أصغر الأقران سنا فأكبرهم بلوغا في الكمال

توجد فيه صنعة المقابلة.

بعض أشعاره يقابل ويساوي أشعار العرب الجاهليين في طرازه وأسلوبه وفصاحته كما قال في تهنئة زواج المنشي كرم الله خان ذاكراً نجابة عروسه:

أبوه وجده وهلم جرا سري أو غني أو أمير[31].

وكذلك قال في مدح مرزا ثريا جاه غورغا ني:

يجيب السائلين بغير مكث ويعطي العائلين بلا سوال

فبورك فيه مادام الثريا وما انسلخ النهار من الليالي

وقال في رثاء أسد الله خان غالب الدهلوي[32]:

كم لنا فيه من بكا وعويل وعتاب مع الزمان طويل

قد تبين لك من هذه الأشعار أن مولانا حالي كان قادرا على قرض الشعر العربي وانه قد طالع كثيراً من أشعار العرب الجاهليين ولكنه ما وصلت إليه أشعار المعاصرين ولا يعلمهم حتى أسماءهم فلذلك لا يوجد في كلامه أي لمعة من لمعات كلام الشعراء المعاصرين من العرب.

المراجع:

١. صــالحة عــابد حسين: يــاد كــار حالــي، لاهـور، آنيـنـة أدب ١٩٦٦م الطبعة الأولى بباكستان ص ٢٥

٢. الحسني عبد الحـي الحكيم، السيد: كل رعنا، اعظـم كـره، مطبع معارف ١٣٧٥هـ الطبعة الرابعة ص ٤٧٣

٣. مــالك رام : تلامـذة غالــب، دهلــي الجديـدة، مكتـبة جامعـة ١٩٨٤م، الطبعة الثانية ص ١٤٣

٤. حالـي، ألطـاف حسين، خواجه: تـرجمة حالـي، المذكورة في "داسـتان تــاريخ اردو" لحــامد حسـن القــادري، كراتشــي، الاكاديمية الأردية ١٩٦٦م ، ص ٦١١

٥. مالك رام: تلامذة غالب ص ١٤٩

٦. المصدر نفسه ص ١٤٤

٧. حالي: ترجمة حالي ص ٤٧٣

٨. المصدر نفسه

٩. حالي: ترجمة حالي ص ٦١٥

١٠. القــادري، حــامد حسـين: داسـتان تــاريخ اردو، كراتشــي، الأكاديمية الأردية ١٩٦٦م، ص ٦٣١

١١. لالــه سري رام: خـم خانـه جـاويد، لاهـور، مطـبعة راي غلاب سنغ، ١٩١١م، الطبعة الأولـى، الجزء الثاني، ص ٣٥٥

١٢. الصـديقي، افـتخار أحمـد، الدكـتور: كلـيات نظـم حالــي، لاهــور، مجمــع نهضــة الأدب يولــيو ١٩٦٨م، الطــبعة الأولى، الجزء الأول، ص ١٨و ١٩

١٣. مالك رام: تلامذة غالب ص ١٤٩

١٤. زبيد أحمد، الدكتور: " مساهمة باكستان والهند في الأدب العربي،ترجمة شاهد حسين الرزاقي، لاهور، دائرة الثقافة الإسلامية ١٩٧٣م الطبعة الأولى ص ١

١٥. الفاروقي، عماد الحسن، آزاد: العلوم الإسلامية والأدب الإسلامي في الهند، دلهي الجديدة، كليته جامعة ١٩٨٦م.

١٦. الإصلاحي، محمد أسلم، الدكتور: نهضة الأدب العربي في الهند

١٧. أحمد إدريس الدكتور: الأدب العربي في شبه القارة الهندية، الجيزة، مصر

١٨. النواب عماد الملك المولوي السيد حسين البلغرامي ولد في مديرية غيا ١٨٤٤م. كان فاضلاً في العربية والفارسية والإنكليزية والفرنسية والأردية، وكان فائزاً على منصب بروفيسر في كلية كينغ بلكناؤ، انتقل إلى حيدر آباد في ١٨٩٠م وهناك أنعم عليه بلقب عماد الملك. ترجم القرآن الكريم إلى الإنكليزية.

١٩. حالي: رسائل حالي، ترتيب: محمد إسماعيل لباني بتي، لاهور، ص ١٤٥

٢٠. حالي: ديوان حالي، لاهور، ١٩٩٢م ص ٦٨

٢١. حالي: كليات نظم حالي

٢٢. المصدر نفسه

٢٣. مرزا ثريا جاه غورغاني، المعروف بكيوان شاه ابن مرزا إلهي بخش حفظ القرآن المجيد وحج الكعبة المكرمة. عيّن

رئيساً للأسرة المغولية ١٨٩٠م، جدً وسعى كثيراً في نشر المعارف وكان سخياً جواداً، انتقل إلى رحمة ربه ١٩١٣م

٢٤. اللخم: أسرة ملوكية، أصلهم من اليمن، حكموا على الحيرة، وكانوا أعداء للغساسنة، مدة حكومتهم مئة وخمسون سنة تقريباً، انتهت حكومتهم ٦٤٤م عندما فتح خالد بن الوليد بلادهم، واعتنقوا الدين الإسلامي.

٢٥. الجذام، قبيلة عربية معروفة وكانوا يسكنون قرب الحيرة.

٢٦. الحيرة كانت مدينة شهيرة في العراق، قد عمرت الكوفة قربها بعد الفتح الإسلامي.

٢٧. نعمان بن منذر كان ملك الحيرة من أسرة اللخم كان محبا للعلماء والشعراء قد انتهى ملكه بعد الفتح الإسلامي

٢٨. الشاه عبد الغني بن الشاه ابو سعيد المجددي النقشبندي، ولد في دهلي ١٢٣٥هـ الموافق ١٨٢٠م، حفظ القرآن وبرع في العربية والفارسية والأردية وحصل على علوم الحديث من الشيخ محمد عابد السندهي والشيخ إسماعيل بن إدريس الرومي في مكة المكرمة، اشتغل في نشر العلوم الإسلامية والعربية وتبليغ الإسلام بين الهنود ، وكان العالم المعروف مولانا رشيد أحمد الكنكوهي من تلامذته، وبعد الحادثة الفاجعة ١٨٥٧م هاجر إلى المدينة المنورة وسكن هناك، انتقل إلى رحمة ربه ١٨٧٩م ودفن في جنة البقيع بالمدينة المنورة.

٢٩. الرمادي – اسمه الكامل ابو عمر يوسف بن هارون الكندي (المتوفى١٠١٢م) ولد في قرطبة (الأندلس) وهناك ترعرع، كان شاعراً مرتجلاً، قضى جزءاً كبيراً من عمره في السجن، كانت حياته مملوءة بالفقر والآلام، انتقد

سياسة الملوك والأمراء، ومدح العلماء والشعراء لاسيما أبا علي القالي وروي عنه كتاب النوادر – كان كثير الصنعة في شعره.

٣٠. المقري، أحمد بن محمد، نفخ الطيب من عضن الاندلس الرطيب، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٣٨٨هـ ص ٧٥

٣١. حالي: كليات حالي

٣٢. المصدر نفسه

٣٣. مرزا أسد الله خان غالب (١٧٩٧ – ١٨٦٩) ولد في آغره وتوفي في دهلي، يعتبر أعظم شاعر بالأردية، ومن كبار الشعراء العالميين، كتب بالفارسية ثم بالأردية، وألف ديوانا صغيرا هو درة في الشعر الأردي، عالج الأحاسيس الإنسانية العميقة بواسطة الوصف التصويري، نشرت رسانله تحت عنوان "عود هندي" ثم "خطوط غالب" فأصبحت نموذجا للنثر الأردي الحديث لبساطة لغتها وواقعيتها.



مساهمة الإمبراطور أكبر في ترجمة النصوص السنسكريتية و الفارسية

- سيد إحسان الرحمن*

ترجمة: أورنك زيب الأعظمي**

إن للعلاقات بين الهنود والمسلمين العرب تاريخاً عريقاً في القدم فهناك توجد دلائل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تمتع بمعلومات وافية عن وجود الهند ثم جاء أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب اللذان أرسلا الرسل لجمع المعلومات عن الهند ولكنهما لم يحاولا، لأسباب هم كانوا أعرف عنها منّا، أن يضمّاها إلى حكومتهما وهذا يعجبنا شديداً أن المسلمين العرب لم يعتبروا الهند دولة غريبة وغير متقفة بينما كانوا يحقرون أوربا ولا يزنون لها قدراً.

وهذا من الواقع التاريخي أن التجار العرب قد زاروا الهند قبل وجود الإسلام بكثير لأهداف تجارية ولم تنقطع هذه السلسلة

* أستاذ اللغة العربية وآدابها، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

** باحث،مركز الدراسات العربية والإفريقية،جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

حتى بعد زيارة الإسلام لهذه البلاد وهكذا بقي الهنود نائلين معلوماتٍ عن الإسلام ولعل المسلمين العرب لم يتفكروا عن شنٍّ الحملة على الهند لو لم يشنّ قطاع الطريق السنديون الذين كانوا من أهالي مدينة الديبل غارةً على السفينة الراجعة إلى الوطن العربي ونهبوا أموالها وأثاثها بجانب سبي النسوة والأطفال الذين ركبوها. كانت السفينة التي شنّوا الغارة عليها حاملةً حاجات ونسوة وأطفال من توفاهم الله إلى جنابه. لما بلغ الخبر مسلمي جزيرة العرب ساورهم القلق لأنهم كانوا ذوي غيرة نادرة على نسائهم فكأنهم أحسوا أن عزتهم تم هتكها علناً فأرادوا إعادة هذه العزة وصلت السند كتيبة من الجيش العربي تحت قيادة محمد بن القاسم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان في ٧١٢م.

ويشهد التاريخ أن مسلمي جزيرة العرب لم يحاولوا أبداً للقضاء على الهند أو الهندوس وعقيدتهم "فلا نظفر بدليل على أن المسلمين سعوا جماعياً لإنهاء الديانة الهندوسية." (راجع "أربعة فصول الثقافة " ص٢٧٧)

وصل عديد من الملوك المسلمين إلى الهند قبل زيارة المغول لهذه البلاد. كان بعضهم ظالمين ولكن ظلمهم هذا لم يكن مقتصراً على الهندوس وعشائرهم بل تعدى إلى مسلمي الهند كذلك فيخبر التاريخ بأن خمسة وثلاثين ملكاً مسلماً حكموا على الهند من ١١٩٣م إلى ١٥٢٤م و تسعة عشر ملكاً مسلماً تم قتلهم وسيحيِّرك

هذا الخبر بأن هؤلاء الملوك المسلمين لم يقتلهم أعداءهم الهندوس بل قتلهم أعدائهم من الملوك المسلمين. (المصدر نفسه)

ولو اعترفنا أو لم نعترف بهذا الواقع أن العالم قد تمتع بهذا القدر من العروج والإزدهار بمجرد هؤلاء المسلمين فيقول أشيت تشكرافورتي (Ashist Chakravorti): "قد لعبت الترجمة دوراً بارزاً وريادياً في صيانة العلم وإذاعته في أنحاء العالم فهي قامت بالمحافظة على التراث العلمي في الروم وبغداد وأسبانيا ولو لم يكن هذا فلم يكن بمستطاع الناس أن يبلّغونا الدررَ الثمينة اليتيمة للتراث العلمي الغربي"[راجع كتاب "Translational Linguistic of Ancient India" (فقه اللغة الترجمي للهند القديمة)، دلهى الجديدة ١٩٧١م،ج١: ص١٠]

وليتضح لنا أن مترجمي بغداد وأسبانيا كانوا مسلمين وهذا حدث في القرن التاسع والقرن العاشر المسيحي حيث خدم الخلفاء العباسيون الأوائل العلم والفن بأنفسهم ولا يمكن لنا أن نلقي الأضواء المفصَّلة على هذه الجهود المشكورة إلا أن اللغات التي ترجم منها إلى اللغة العربية كانت إحداها السنسكريتية وهكذا فقد نظّم المنصور والرشيد والمأمون للترجمة إلى العربية من لغات العالم الحية والميتة.

فالكتاب الأول الذي أمر المنصور بترجمته إلى العربية كان "برهما بودهسدهانت" باللغة السنسكريتية وقد فهم هارون الرشيد دور الترجمة الريادي خير فهم فكان يقدِّر أن الترجمة يمكن أن

تكون مفيدةً في المجال العلمي والتعليمي ولهذا فقد قام هارون الرشيد بتأسيس "دار الحكمة" ووظّف العلماء الأفاضل البارزين في ذلك العصر لترجمة كافة الكتب التي كان الوصول إليها سهلاً يسيراً. وكان يعطي المترجمين أجراً معقولا ثم جاء ولده المامون الذي قام بترقية هذا العمل وتطوير دار الحكمة وتنظيم المترجمين وتدعيمهم المالي الكثير لكي يتسع نطاق الترجمة حتى قام بتربية أقربائهم غير المؤهلين لمجرد إرضائهم فهذا من الواقع التاريخي أن الترجمات العربية التي تمت في ذلك العصر قامت بدور فعَّال في تبليغ الناس ذروةَ الكمال في مجالات العلم والفن.

ليس العلم ملكية منطقة خاصة أو قوم خاص ولا هو يقتصر على دين خاص أو جيل مخصوص. هذا غنًى يُعطى من يحاول الحصول عليه ويصونه.

إن حضارة الهند قديمة للغاية وغنية بالثروة الثقافية وإنها لعبت دوراً بارزاً في إيصال العالم إلى الذروة العلمية والعالم كله راجع إليه عند إلمام المصائب والنوائب والمسلمون العرب أيضاً منونون بمنّتها عليهم فقد ألقوا عليها أنظار التقدير والتحرير وطرقوا بابها بكل رغبة وأمل وليس الخلفاء العباسيون بمن استفاد عنها فحسب بل في يومنا هذا لا يستحيون عن الإستفاضة منها والإستنارة بنورها الفكري والعلمي وفي هذا الشأن يعتبر السلطان المغولي جلال الدين محمد أكبر من أوائل هؤلاء الملوك من المسلمين كما

كان هناك عديد من الحكام المسلمين الذين أشرفوا في عصورهم على الفعاليات العلمية والتعليمية.

فقد ذكر المؤرخ الشهير نريدر ناث لا (Nrendra Nath Law) إشراف الملوك المسلمين على الفعاليات العلمية والتعليمية بتفصيل في كتابه القيم الرائع Promotion Of Learning In India During Mohamden Rule (تطوّر الدراسة في الهند خلال حكم السلاطين المسلمين) وقال إن كافة الملوك المسلمين بما فيهم السلطان علاؤ الدين الخلجي قد قاموا بتنظيمات ملائمة فقد كانت هناك مدارس مشتركة بين الهندوس والمسلمين، تعلّم الناسَ المنهاجَ الدراسي العلماني. إنه أفصح عن أن المنهاج الدراسي العلماني كان مروّجاً في عصر السلطان سكندر اللودهي الذي كان يعظّم العلماء بدون أي عصبية دينية أو مليّة ويكرّمهم تكريماً خلقياً ومادياً.

يقول يوسف حسين إن فيروز شاه تغلق وسكندر اللودهي و جلال الدين أكبر ودارا شكوه كانوا محبين للعلوم حباً جما ومعظّمين العلماء تعظيماً ومفيضين عليهم الأموالَ والجاهات وقد تم الإلتفات إلى ترجمة الكتب الدينية في عصورهم الزاهرة بجانب عنايتهم الخاصة بالعلوم الأخرى. إنه أفصح عن أن أبنيشادات (Upnishads) ومهابهارتا (Mahabharata) وراماينا (Ramayana) قد تمت ترجمتها إلى اللغة الفارسية في هذا العصر وعلاوة على هذه الكتب المقدسة فقد تم نقل بعض الكتب المهمة لذلك العصر إلى اللغة الفارسية مثلا

"ليلافاتي" (Lailavati) لبهاسكار اتشاريه (Bhaskar Acharya) و"بيجا كرينت" (Beja Garent) و"غراها غرينت" (Graha Grent) و"غول ادهياي" (Goal Adhyay). لم تكن هذه الفعاليات الترجمية جانبية ومتعصبة للغة خاصة فقد ترجمت بعض الكتب الفارسية القيمة إلى اللغة السنسكريتية أو اللغة الهندية كما وقعت ترجمة الكتب السنسكريتية المهمة إلى اللغة الفارسيةِ وهكذا فلم يزل هذا التبادل العلمي والثقافي جارياً في كافة العصور الإسلامية.

ولا يمكن لنا أن نحوي كافة الفعاليات لتبادل المعلومات العلمية في هذا المقال الوجيز ولا نحاول هذا العمل الصعب فنودُّ أن نخص المقال بفعاليات عصر أكبر الترجمية التي كانت من الفارسية وإليها.

كان الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر سلطانا ثالثاً من المغول وكان والده الجليل همايون وجده الكريم بابر راغبين في الفعاليات العلمية والتعليمية ولعله ورث هذا الذوق الجميل عن هذين.

ومما يشكل علينا في ضوء بيانات أصحاب بلاط أكبر المقرَّبين والبعدِ الشاسع بيننا وبين عصره أن نحكم على شيء قاطع عن الدراسة التقليدية لإمبراطورية أكبر فقد خلق أصحاب بلاطه المقرَّبون الذين كتبوا عنه وعن جوانب حياته العديدة سوءَ التفاهم في أمور كثيرة فيقول أبو الفضل ذاته إن أكبر كان جاهلاً بحتاً فما

كان قادراً على القراءة والتحرير ومثل قوله جاء في"تزك جهانغير" الذي هو مجموع الوقائع التي حدثت في حياة ولده الإمبراطور جهانغير. (راجع الترجمة الأردوية لـ"تزك جهانغير" ص٥٧)

وتبعه محمد حسين آزاد صاحب "دربار أكبري" (البلاط الأكبري) (أنظر: دربار أكبري، ص١١٢) ولكن لا نتفق مع هذا الرأي الخاطئ عنه في ضوء المعلومات التي وقرها بعض العلماء الآخرين فقد قام صاحب "بزم تيموريه" بإجراء بحث رائع عن هذا الجانب من حياة أكبر وبامتحان ونقد شديدين لآراء أصحاب بلاطه ثم بلغ النتيجة أن متملق بلاط أكبر قد حاول أن يثبت أن أكبر كان جاهلاً بحتاً لا يدري ما هي القرأة وما هي الكتابة؟ إختار أبو الفضل نفس الرأي وأثبت أن الله سبحانه تعالى أعطى معجزة للإمبراطور أكبر بحيث انه حكم على البلاد الواسعة الأطراف كالهند بدون أي قابلية مطلوبة. (راجع "بزم تيمورية" ج٢، ص١٠١)

يبدو من هذا الرأي الباطل أن أبا الفضل أراد أن يقدّم أكبر في صورة نبي من الأنبياء. ذكر أبو الفضل هذا الرأي الباطل في كتاب "أكبر نامه" (ج١، ص٥١٩) بدلائل قوية لديه ولو أن محمد حسين آزاد يبدو موافقاً على هذا الرأي ولكنه يرى رأيا آخر يختلف عنه تماماً.

إن قلوبنا وعقولنا تكذّب الإعتراف بأن أكبر كان أمياً لا يدري ما الكتابة وما القراءة؟ وهل يعترف أحد بأن حفيد إمبراطور

عـالم كـبابر ووالـد عـالم كـهمـايون يكـون جـاهلاً عـن آداب المعـرفة وبجانـب العلمـاء الأفاضـل الذيـن يخـالفون هذا الـرأي الـباطل، يذكـر الدكتور نريندر ناث لا بتفصيل أن أكبر حينما أصبح ابن أربعة أيام وأربعـة أشـهر و أربعة أعوام في ١٥٤٧م تم تفويضه إلى معلّم حسب تقليد ذلك العصر فأول معلّم تشرف بتعليمه وتربيته هو الشيخ أعظم الديـن ثم علّمه الشيخ بايزيد والشيخ مير عطاء الله والشيخ بير (Peer) محمد خان والحاج محمد خان ويذهب مذهَبنا محمد آزاد ويسمّي من بين أساتذته الملا إسلام الدين والملا بايزيد والشيخ عبد القادر والملا بـير محمد وبـيرم خـان فـإن وضـعنا هذه المعلومـات أمـام أعيننا فـلا يمكنـنا الإعتراف بـأن أكبر لم يتعلم شيئاً على هؤلاء الأساتذة الكرام وإلا فهؤلاء الأساتذة يعتبرون فاشلين غير مدرَّبين في الفن فالأساتذة الذيـن علّموه- علـى حـد قـول صـاحب بـزم تـيمورية- إسـلام الديـن إبراهيم (لعلـه هوإسلام الدين رجل واحد) والشيخ بايزيد وبير محمد خـان والشيخ عبد القـادر وبيرم خان وعبد اللطيف القزويني. (أنظر "بزم تيمورية" ج١، ص١٠١)

وهؤلاء المورخون المتملقون من بلاط أكبر ـكما ذكرت آنفاًـ كـانوا ماكرين للغايـة فقد درسـوا التـاريخ القديم واجتهدوا فيه وكانوا واقفين علـى أن كافـة الأنبـياء لا سـيما محمـداً صـلى الله علـيه وسـلم كانوا أميين لا يدرون شيئاً عن الكتابة والقراءة.

ويخبرنا التاريخ أن أكبر أراد ذات مرة أن يترجم مهابهارتا إلى اللغة الفارسية فبدأ بها نفسه ولو ترجم عبارات معدودة فيقول الشيخ محمد حسين آزاد إن أكبر كان يملي ترجمة مهابهارتا الفارسية على نقيب خان.(راجع "منتخب التواريخ" ج٢،ص ٣٢٠)

حينما عيَّن أكبر الملا عبد القادر البدايوني وغيره من العلماء على تولي هذا المنصب لم يفصل ذاته عن ذلك العمل العظيم فكان يسمع إلى ترجمتهم ويصلحها ولنتوجه إلى هذا العمل فهل يمكن لرجل جاهل ولو كان ملكاً عظيماً أن يصلح المهرة في الفن ونعلم قطعاً أن أكبر كان يستمع إلى قراءة بعض كتب التاريخ ولكنه لا يعني أنه كان جاهلاً لا يستطيع القراءة وهذا لمجرد أن الإستماع إلى شيء أكثر حفظاً وفهماً من قراءته وهذه تجربة يجريها كلٌ منا في حياته اليومية. كان يفعل أكبر هذا في المساء وحينما بلغ نهاية كتب عليها التاريخ فإن القارئ كان يُدفع مكافأة لهذا العمل اليومي فهذا يدل على أن الإمبراطور أكبر لم يكن جاهلاً. نعم ما كان قادرا على سرعة القراءة ولكن هذا أيضاً غير صحيح فإنه فعل هذا لشغله الشاغل في الحكومة والإدارة كما فعل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وبناءً على هذا فقد أشار عليه أبو الفضل واغتنم هذا العيب منه.

ولا شك في أن أكبر وأهل بلاطه كانوا واقفين على أن الخليفة العباسي الثالث هارون الرشيد قد بنى "دار الحكمة"

للترجمات الصحيحة الموثوق بها فاتبعه أكبر وقام بتأسيس "بيت الحكمة" للترجمة. يقول محمد حسين آزاد إن دار الترجمة هذه كانت مسماة بـ "مكتب خانه" (راجع "دربار أكبري، ص:١١٥) ويرى بعضهم أنها كانت تسمَّى بـ "دار الترجمة" فقد اختار أكبر نخبة من علماء البلاد لأداء هذه المسئولية الصعبة، كانوا قادرين على مختلف اللغات فأعطاهم رواتب هائلة بجانب المزيد من الهدايا والفوائد المادية.

ومعظم الترجمات التي تمت في عصر أكبر كانت من السنسكريتية إلى الفارسية ولكن هناك دلائل على أنه قد تمت في عصره ترجمة الكتب التركية والعربية إلى اللغة الفارسية كما وصل إلينا معلومات عن ترجمة الكتب اليونانية إلى اللغة الفارسية الرسمية إلا أن أحداً من المؤرخين لم يذكر أي كتاب وعنوانه.

وطبقاً لبعد الزمان وغيره من المشاكل فنقول بصراحة إن توفير مفهرس كامل لترجمات عصر أكبر شيء يشكل علينا ولكننا لم نأل أي جهد فيه فيمكن أن يبلغ الفهرس الذي نذكره لكم حدَّ الكمال والنهاية لأن الكتب التي تمت ترجمتها مذكورة في التراجم والرحلات والمؤلفات التي تم تأليفها في عصر أكبر وتوفّر لنا معلومات تامة عن عصره الزاهر ومن أبرز هذه المؤلفات "أكبر نامه" لأبي الفضل و"منتخب التواريخ" للملا عبد القادر البدايوني. لم يكن الملا البدايوني على رضىً عنه ولذلك فإنه أخفى تاليفه هذا

على أكبر وذلك لأنه وجَّه نقداً حاداً إلى أكبر وحواشيه المتملقين وإلى الدين الإلهي الذي ابتدعه هو نفسه. يبدو من دراسة هذا التاريخ أن الملا عبد القادر كان يزعم أكبر عدواً ألد للغة العربية ودين الإسلام الحق. وقد جاء فيه ذكر مفهرس للكتب التي تمت ترجمتها في عصره.

كان الإمبراطور أكبر ملكاً في الأصل، حكم على الهند الواسعة الأطراف قرابة خمسين سنة فلو لم يكرِّم المذاهب والأديان المروَّجة فيها على السواء فلعله خاب في الحكم الطويل المدة عليها ويمكن لنا القول في ضوء المعلومات التي وصلت إلينا بأنه كان يخالف العلماء المتصلبين بالشدة. وعلاوة على ذلك فإن أبا الفضل ووالده مبارك الناغوري كانا يشكوان إليه هؤلاء العلماء الكرام لأنهم قد صدوا سبيلهما إليه قبل هذا وبالجملة فالإمبراطور أكبر كان يخالف العصبية الدينية شديداً وكان يقول بإعمال الحلم والمصانعة فإن فيهما الخير والصلاح ونظراً لهذا الهدف فقد حاول أن يروِّج ديناً جديداً يسمَّى "الدين الإلهي" الذي هو معجون أديان الهند والعالم الكبرى.

ويتوفر لدينا معلومات معقولة أن أكبر كان مسلماً حقاً قبل أن أعلن بهذا الدين الجديد ولكنه كلما كبر في ذاته وجود الملك العظيم أحاط به حواشيه المتملقون وعني بدينه قليلاً وبدولته وسلطانه كثيراً والواقع أن وجهته النظرية عن الدين قد تغيرت

بأسرها وجعل يعتقد أن كافة الأديان تهدي إلى هدف وحيد ولعل هذا هو السبب وراء أمره بترجمة الكتب الدينية للمسيحية والهندوسية إلى اللغة الفارسية وكذلك أمر بترجمة كتب الأديان الأخرى إلى اللغة الفارسية. كان يؤمن بأن الوحدة الهندوسية-الإسلامية ستفتح الأبواب لرقي البلاد وتخلّد حكومته.

كان أكبر راغباً في جمع الكتب وصونها فقد توفرت له مكتبة كبرى ولما توفي أبو الفضل نقل كتبه البالغة ٤٦٠٠ كتاب إليها كما حمل كتب إعتماد خان الغجراتي الذي غلب عليه وضمها إلى مكتبته. (راجع "Promotion of Learning in India during Muhammadan Rule" (تطور الدراسة في الهند خلال حكم السلاطين المسلمين، ص ١٥٢)

ولنا علم حتم عن أن أكبر كان يضع بعض الكتب النادرة والخاصة في حجرته للنوم والآن نعتقد بأنه كان يدرسها لدى نيل الفرصة أو عند الرغبة فيها ولو لم يكن كذلك فمن له إيمان بهذا العمل المحمود لدى رجل لا يدري القراءة والكتابة.

وأما الكتب التي تمت ترجمتها من السنسكريتية إلى الفارسية أهمها وأبرزها مهابهارتا وهو كتاب مقدَّس لدى الهندوس ونظراً لهذا التقدس الذي يناله هذا الكتاب، أمر أكبر بترجمته إلى الفارسية. بدأ أكبر نفسه بترجمته الفارسية في ١٥٨٢م وكان يمليها على نقيب خان. (راجع "منتخب التواريخ" ج٢، ص٣٢٠)

كان أكبر ملكاً كبيراً فكان يهتم بالشئون المتعلقة بالحكم والدولة. وكان رجلاً من رجال السياسة فيبدو أنه فار فوارنه واعتقد أن ترجمة هذا الكتاب تزيده علماً فبدأ بترجمته إلى الفارسية ولكنه قدَّر بعد هنيهة من الزمان أن هذا العمل الشاق ليس بمستطاعه فإنه مشغول بأداء مسئوليات الحكم والدولة فكأنه ظن من الملائم أن يفوِّض هذه المسئولية إلى الآخرين ففوَّضها إلى الملا عبد القادر البدايوني والسلطان الحاج التهانيسري والشيخ فيض. ولو أن أكبر فوَّض هذه المسئولية إلى هؤلاء ولكن لم يفصله عن هذا بالكلية. فكان يسمع في بعض الأحيان إلى ترجماتهم ويصلحها في بعضها الآخر ويدلُّنا التاريخ أن الملا البدايوني ارتكب الخطأ في ترجمة بعض المواضع وعياً أو بغير وعي فلما سمعها أكبر سخط وسبَّه كما ذكره البدايوني في كتابه "منتخب التواريخ" وهذا الشيء التافه كما يدل على هذا فكذلك يشير إلى أن أكبر لم يكن جاهلاً وكان يُهمّ الترجمة الجيدة ويفضلها. سُمِّيت هذه الترجمة بـ "رزم نامه" الذي قدَّم له أبو الفضل. يقول صاحب "بزم تيموريه" إن نسخ هذه الترجمة توجد في بعض المكتبات بما فيها مكتبة إنديا آفس بليدن ومكتبة بودلين في أوكسفورد. (أنظر: بزم تيمورية، ج١، ص١١٠)

ذكر الشيخ عبد السلام الندوي على الصفحة الثالثة والثلاثين والمائة من كتابه "مسلمانون كى عهد مين تمدني كارنامى" (الفعاليات المدنية في عهد السلاطين المسلمين) أن الترجمة

الفارسية لمهابهارتـا تمت بقلم برهمن يسمَّى "ديفي" (Devi) ولكننا لم نـر هذا البيان فـي أي كتاب آخر والشيخ الندوي أيضـاً لم يذكر أي مصدر لـه. يمكن أن يكون ديفي من جماعة المترجمين التي فوّضت إليها مسئولية الترجمة وذلك لأن أكبر كان يعيِّن برهمنا عالماً حينما يأمر بترجمة أي كتاب سنسكريتي.

والكتاب المقدس الآخر لدى الهندوس والذي بدأ بترجمته الملا البدايوني في ١٥٨٤م وأنهاها في ١٥٨٧م هو رامايانـا. يبدو من عمل البدايوني أنه لم يكن راضياً عن ترجمة هذه الكتب المقدسة لدى الهندوس وذلك أنه لم يُبد أمانته في ترجمة مهابهارتا ولما امره أكبر بتقديم لـه فسوَّف فيه حتى أمر أكبر أبا الفضل بذلك. كتب البدايوني هذا كله في كتابه "منتخب التواريخ" فكأنه ترجم هذه الكتب لحاجته إلى الأموال وخوفه من عقاب الإمبراطور وكان الملا -على حدٍّ دراستي- رجلاً دينياً بحتاً. إنه لم يحبَّ ديناً سوى الإسلام وبناءً على هذا فنقول بالتاكيد واليقين إنه لم يحسِّن ولم يجوِّز ترجمة الكتب الدينية الهندوسية إلى الفارسية ولذلك فقام بتصريف وجيز في ترجمة مهابهارتـا، أسخط الإمبراطور أكبر شديداً. ولعل هذا هو السبب وراء تعيين عالم هندوسي مع تحديد المترجمين المسلمين وهذا أيضاً يشير إلى وقوف أكبر على أهمية المعرفة باللغة الأم فقام بتعيين رجل يعرف اللغة المصدر كلغته الأم كي يقوم هذا الرجل بإرشاد الآخرين إلى لطافة اللغة ودقائقها وأسرارها.

والكتاب الهندوسي المهم الذي تمت ترجمته إلى الفارسية بأمر من الإمبراطور أكبر في ١٥٧٥م هو أثور فيدا (Athurveda) الذي يذكر في الكتب العربية والفارسية والأردوية باسم "آثوربون". تضبط الكتب التاريخية أن هذا الكتاب تمت ترجمته بأقلام الملا البدايوني وفيضي والحاج إبراهيم السرهندي وكانت تضم هذه الجماعة عالماً فاضلاً من البراهمة يسمًى "بهون" (Bhun) ولكن مع ذلك لم تُرض الإمبراطورَ هذه الترجمةُ وهذا دليل على معرفة أكبر الجيدة باللغة الفارسية.

والكتاب الرابع السنسكريتي الذي تمت ترجمته في عصره هو "سنغها سان باتيسي" (Sanghasan Batisi) أتم البدايوني ترجمته في ١٥٧٤م ولو أن هذا الكتاب يعدُّ من أهم الكتب السنسكريتية ولكنه يفقد أهمية التقدس الديني والواقع إنه مجموع القصص التي تنور بها عقل المهاراجه فيكارماديتيه (Vikarmaditya) إن هذه القصص نموذج أحسن للثقافة الهندية ولأنها لم تكن كتاباً دينياً فما كانت تخالف قصصه الفكر الإسلامي للملا البدايوني فيمكن أن قام الملا البدايوني بترجمتها إلى الفارسية بكل رغبة ونشاط. إن اللغة الفارسية لغة حلوة وزد عليها أسلوب لغة الملا البدايوني فجاءت الترجمة أحسن ما كنا نظن. حسَّنها أكبر وسمَّاها بـ "خرد افزا".

ولنوضِّح هنا أن أكبر لم يوجه نظره إلى الكتب الدينية والقصص المتداولة فقط بل إلى إذاعة العلوم الأخرى أيضاً وكما

جاء فيما سبق أن أكبر كان يستمع إلى كتب التاريخ فكأنه علم عن دور الملوك الأخرى لا سيما الخلفاء العباسيين من المنصور والمأمون والمتوكل في نشر العلوم والفنون وزد على ذلك رغبة المتأخرين في سباق الأقدمين في كافة المجالات. كان أكبر سلطاناً عاقلاً للغاية. فلم يستمع إلى الكتب القديمة بل سعى سعيه للاتباع والإمتثال بما جاء فيها ولنا مثال واضح في سباق الأمين والمامون إبني هارون الرشيد في رفع أحذية أستاذهما الفراء وإفتخارهما بهذا العمل التقليدي فقد افتخر الإمبراطور أكبر برفع أحذية أستاذه عبد النبي صدر الصدور. ذات مرة ضرب عبد النبي أكبر بعصاه بحضور كافة أرباب البلاط على أنه كان لبس لباس الأبريشم الذي ليس بجائز في الإسلام فلم يسخط منه أكبر شيئاً. إنه قام بتأسيس "دار الترجمة" حاذياً حذو الهارون والمأمون لكي تتم الترجمات الموثوق بها بأقلام العلماء المعتمد عليهم. إنه إتبع الخلفاء العباسيين في الإلتفات والعناية بالعلوم الأخرى غير الدينية فالكتاب الأول الذي تمت ترجمته في عصر المنصور هو "براهما بوده سدهانتا" (Brahma Budh Sidhanta) الذي يتحدث عن علم الفلك. كان أكبر على معرفة ثابتة عن هذا العمل. فضَّل أكبر ترجمة الكتب الدينية لأنه رأى أن فيها صلاحاً وخيراً لأهل بلاده ولكن لم يتوقف على هذا بل تجاوز إلى ترجمة العلوم الأخرى فكتاب "ليلافاتي" الذي ينطق عن الرياضيات تمت ترجمته في ١٥٨٦م.

لنعلم جميعاً أن إزدهار هذا العالم ينحصر في علم الرياضيات الذي هو علم هندي بحت. نعرف في الغالب أن الصفر إبداع هندي ولكن لا نعرف أن كافة الأعداد هندية. وصلت هذه الأعداد إلى جزيرة العرب في العصر العباسي ولما انحطت حكومتهم وترجمت علومهم التي ادخروها بأيدي الأوربيين إلى اللغة اللاطينية واللغات الأخرى المحلية فسمِّيت هي بالأعداد العربية ولذلك فيعلم العالم كله أنها عربية ولكنها هندية بحتة واعترف بها العرب في تاريخهم.

إن تعليم حاكم أو سلطان الحكمَ وإشارتَهما على الخير شيء تحيط به المغامرة ويمكن فاعله أن يضحي نفسه ونفيسه ولكن لا بد من إعمال الحكم والمشورات نظراً لمصالح الدولة وعوامها وطبقاً لهذه الأخطار بكاملها فقد كاد النساك الهنود شيئاً يسمَّى "القصص" فكان أحد هؤلاء النساك بيدبا (Baidba). يعزى إليه كتاب شهير للقصص فيروى أن بيدبا كان يقص هذه القصص على حاكمه دبشليم (Dibshalim). يسمَّى هذا المجموع بـ "بنج تنترا" (Panj Tantra) كان بيدبا يشير بهذه القصص إلى معايب ومناقص حاكمه. كانت هذه القصص بلسان الحيوانات ولو كانت بلغته لقطع عنقه ويروى أن أحد حكام الهند أهدى هذا المجموع مع الشطرنج إلى الملك الإيراني أنو شيروان في النصف الأول من القرن السادس المسيحي (راجع "المنجد للأعلام" بيروت، ١٩٥٦م، ص:٤٣). أمر الملك

الإيراني بترجمته إلى الفارسية القديمة فتمت هي بقلم بزر شهر وزير الملك. نقل إبن المقفع هذه الترجمة إلى اللغة العربية. (راجع "تطور الدراسة في الهند خلال حكم السلاطين المسلمين" ص:١٥ و"تاريخ ابن خلدون" ج٢، ص:٣٥٩)

كانت اللغة العربية مروّجة في ذلك العصر فكان الناس يقرءونها عن رضيً أو بدون رضيً ولذلك فقد انمحت اللغة الفارسية القديمة المروّجة منذ قرون على صفحات التاريخ المعاصر وأعرضوا عنها فضاعت النسخة السنسكريتية كما غابت النسخة الفارسية وقامت مقامهما النسخة العربية ولكن يقول بعض العلماء أن القصص التي تمت كتابتها باللغة السنسكريتية قد جمعت مرة أخرى في كتاب وهذا لمجرد الإدعاء بأن القصص السنسكريتية الأصلية موجودة وليست مترجمة من العربية. يؤيد هذه الدعوى الشيخ محمد حسين آزاد قائلاً إن هذه القصص السنسكريتية المجموعة في "بنج تنترا" كانت متداولة بين الناس في عصر أكبر وقام أبو الفضل بترجمتها إلى الفارسية بأمر من الإمبراطور أكبر. (راجع "دربار أكبري"، ص:٥٠٣-٥٠٤)

إن هذا الكتاب يتمتع بنفس الأهمية والمنزلة حتى الآن. يدرسه الناس برغبة ونشاط بالغين. تم تقرير بعض حكاياته في المنهاج الدراسي للمدارس الهندية والباكستانية. لما علم أكبر عن هذا الكتاب عزم على ترجمته الفارسية لكي يستفيد منه العوام

وبالتالـي تـم تفويضـها إلـى المـلا واعظ حسين. جاءت هذه الترجمة المسمَّاة بـ "انوار سهيلي" صعبة للغاية ومحشوة بالمفردات العربية والأمثال الفارسية وهناك روايـة أخرى أن ترجمته تمت بأمر من السلطان بيرم بن مسعود وهذه الترجمة تسبق ترجمة أكبر فيقول نريندر ناث لا: كانت هذه الترجمة صعبة للغاية ومملوءة بالمفردات والأمثال والأشعار العربية فتم تسهيلها في عصر السلطان حسين ميرزا الخوارزمي بقلم الشيخ حسين واعظ الكاشفي وسُمِّيت بـ "انوار سهيلي" (أنظر: تطور الدراسة خلال حكم السلاطين المسلمين، ص:٥-١٢) إنـي أرى هذا الرأي صائباً. ولعل أبا الفضل رآه لـدى ترجمـته السلسـة التـي كانـت خالـية عـن المفـردات والمصطلحات والأشعار والأمثال العربية ولكن التاريخ لا يدلُنا على شيء عن هذا. حسَّن أكبر هذه الترجمة تحسيناً وسمّاها بـ "عيار دانش" توجد نسختها-على حد دراستي- في مكتبتي "إنديا آفس" و"بودلين" (راجع "بزم تيمورية" ج:١، ص:١١٥)

وكتاب آخر من كاشمير تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية في عصر أكبر وهو "راج ترنغني" (Raj Tirangni) الـذي تم تأليفه في الفترة ما بين ١٤٢٠-١٤٧٠م بأمر من السلطان زين العابدين حاكم كاشمير الأسبق. فوَّض الإمبراطور أكبر ترجمته إلى الشيخ محمد الشاه ابادي الذي ترجمه بلغة صعبة للغاية فلم يرض عنها أكبر فأمر الملا البدايوني بترجمته السهلة. لم يترجمه الملا وأعدَّ ملخصاً من الترجمة الأولى وقدَّمه إلى حضرة الإمبراطور.

ويدلُ التاريخ على أن أكبر أمر عبد الرحيم خان خانان في ١٥٨٩م بترجمة "تزك بابري" من اللغة التركية إلى اللغة الفارسية. فتمت الترجمة واعتبرت أحسن وأجود الترجمات في عصره لأن لغتها كانت سهلة.

كتاب "معجم البلدان" الذي تمت كتابته بالعربية واستمع إليه الإمبراطور أكبر قد أحبه حباً جماً فأمر بترجمته إلى اللغة الفارسية. إنتهت ترجمته في ١٥٨٩م. لفت الحكيم همام، همايون أصلاً، نظر الإمبراطور إليه كما يدل عليه التاريخ. هذا كتاب يحتوي على جغرافيا العالم. كتبه ياقوت الحموي الرومي (١١٧٩-١٢٢٨م) جمع المعلومات عن بينات بلاد العالم ومنتجاتها وملوكها وما إليها فلماً استمع أكبر إليه أعجب به وظنه ضرورياً نقلَه إلى الفارسية. فوَّض هذه المسئولية إلى جماعة رأسها الملا البدايوني الذي ترجم مائة صفحة من بدء الكتاب. كانت هذه الجماعة مكونة الملا أحمد تاة وقاسم بيغ والشيخ منور وغيرهم من المترجمين.

وهناك كتاب آخر عربيّ تمت ترجمته إلى الفارسية وهو "جامع رشيدي" الذي تحتوي على ذكر آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأمويين والعباسيين والمصريين والعثمانيين. ترجمته إلى الفارسية جماعة من المترجمين بأمر من الإمبرطور أكبر كما ترجم أجزاءه المختارة مير نظام الدين والملا البدايوني تحت إشراف أبي الفضل. (راجع "بزم تيمورية" ج:١، ص:١١٧)

يروى أن هذا الكتاب تم تأليفه بقلم ميرزا حيدر دوغلت الذي كان حاكماً قوياً ومؤرخاً قادراً. إنه فصّل ذكر قبيلة وسط آسيا التشغتانية بجانب توفير المعلومات الجمة عن كاشمير زمانه.[راجع "مغل بادشاهون كى عهد مين هندوستان سى محبت وشيفتغي كى جذبات"(عواطف المحبة والكلف بالهند في عصر المغول)،ص:٢٨]

ويبدو من التفصيل الذي جاء ذكره في السابق أن تاريخ رشيدي وجامع رشيدي كتابان منفردان ولكني أرى أن هذين الإسمين لكتاب واحد يشتمل على هذه المعلومات الشاملة. نستدل على دعوانا بمنتخب التواريخ للملا البدايوني.

وهناك كتاب عربي آخر يوجد ذكره فيما بين الكتب المترجمة في هذا العصر وهو حياة الحيوان. هذا أقدم كتاب على علم الحيوانات. مؤلفه محمد بن موسى الدميري(١٣٤٩-١٤٠٥م). (الإعلام للزركلي، بيروت، ١٩٧٩م، ج:٨، ص:١١٨)

يدلّ التاريخ على أن هذا الكتاب كان يقرأ نقيب خان على الإمبراطور أكبر. وجده أكبر مجموعاً من المعلومات الممتعة فأمر الشيخ مبارك الناغوري والد فيضي وأبي الفضل بترجمته إلى الفارسية فأنهى ترجمته في ٩٣٨هـ (٣٢-١٥٣١م).

أعجب حاكم كاشمير السلطان زين العابدين بكتاب للحكايات "كاثا ساغار" (Katha Saghar) فأمر بترجمته إلى الفارسية في ـه. تمت قراءة هذه الترجمة على أكبر فأعجب بفكرته

المركزية ولكن لم يرض عن لغته فأمر الملا البدايوني باعادة ترجمته الفارسية ولكن لم يتم نقل كافة الكتاب بما أنه كان ضخماً للغاية فترجمت الحكايات التي حسّنها السلطان فأحب أكبر أن يترجم الكتاب كله فأتم البدايوني ترجمته الفارسية الكاملة في ١٥٩٤م وسمّاه بـ "بحر الأسمر" (راجع "بزم تيمورية" ج:١، ص:١١٧-١١٨) يذكر آزاد إسمه بـ "بحر الأسمار" (راجع "دربار أكبري" ص:٤٥٩) ولكني لا أراه صائباً رأيه.

أمر الإمبراطور أكبر بترجمة كتاب إلى اللغة الفارسية في موضوع علم الكف. سميت هذه الترجمة بـ"تاجك". ترجمه إلى الفارسية محمد خان الغجراتي.(راجع "بزم تيمورية"ج:١، ص:١١٨)

ترجم الملا شيري كتاب "هري فانش بورانا" (Harivansh Purana) إلى اللغة الفارسية. (راجع "بزم يتمورية" ج:١، ص:١١٨) هذا الكتاب سيرة سيري كيريشنا (Sri Kirishna). يوجد ذكره في معظم الكتب الأردوية والفارسية بـ "هري بنس" (Haribans). هذا الإسم ليس بصحيح على حد دراستي.

نال المسلمون تطوراً بارزاً في المعقولات في زمنهم. نجد في زمنه كتاباً يُسمّى "تاريخ الحكماء" أمر أكبر بترجمته إلى الفارسية فأتمها مقصود علي التبريزي وسماه بـ"نزهة الأرواح". توجد نسخة لهذه الترجمة في مكتبة دار المصنفين بأعظم كره.

وكذلك بلغنا أن اكبر كان مولعا بعلم الفلك فكان يستشير على المهرة في عالم النجوم قبل الخوض في أي أمر من الأمور المهمة. كان أكبر مسلماً ورث الإسلام أبا عن جد فلا بد من أخذ التعاليم الإسلامية في طفولته فإن أساتذته الأفاضل قد علّموه أصول الإسلام ومبادئه ويمكن أن قرأ بعض الأجزاء القرآنية ولكننا لسنا على ثقة بهذه المعلومات إلا أنه ذات مرة خطب الجماهير في مسجد آغره الجامع على عادة الخلفاء والحكام المسلمين. فعل ذلك قبل الإعلان عن دينه الإلهي الجديد فنستخرج من هذا الواقع أن أكبر كان قادراً على قراءة الكتابات العربية. يذكر محمد حسين آزاد أن أكبر تعلم ديوان حافظ على مير عبد اللطيف القزوني في٩٦٣هـ(١٥٥٥-٥٦م) وفي ٩٨٧هـ (١٥٧٩م) رغب في تعلم اللغة العربية. كان الشيخ مبارك معلما له فكم من كلمات عربية تعلمها أكبر لا يمكن لنا تقديرها فآزاد نفسه لا يعيِّن قدرها ولنعلم أن أكبر الذي أراد خطاب الناس على المنبر لم يُنه كلامه فكأنه خجل وترك الكلام غير تام ونزل من المنبر فمن ناب منابه وأتم الخطاب وصلى بالناس كله مجهول لا يدلُّ عليه التاريخ شيئاً.

ذكرنا أن أكبر كان راغباً في علم الفلك ومؤمناً بحركات الكواكب. وزيج ميرزاوي حلقة من حلقات هذه السلسلة. إنه يحتل درجة أمهات الكتب في هذا الفن في اللغة الفارسية. يقول البروفيسور يوسف حسين: إنه مجموع مقالات ألغ بيغ. ترجمه فتح

الله الشيرازي من اللغة الفارسية إلى اللغة السنسكريتية وهناك رواية أخرى تقول بأن أكبر عيَّن جماعة من المترجمين لهذا العمل، تحتوي على مير فتح الله الشيرازي وغانغا دهار (Gangadhar) وكريشنا جيوتشي(Krishna Jyotshi) وماهيش دياناند (Mahesh Dayanand) وأبي الفضل.

ونعلم حقاً أن أكبر كان راغباً في الديانة المسيحية وذلك لأنه عيَّن معلّماً نصرانياً لولده مراد، علّمه أصول ومبادئ النصرانية وليس هذا فقط بل أمر أكبر بترجمة الإنجيل إلى اللغة الفارسية. تمت هذه الترجمة في ١٥٧٨م بقلم أبي الفضل.

وعلاوة على هذه الترجمات العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية فقد تم تأليف كتب مهمة عن العلوم العديدة بجانب وضع حجر أساس المدارس التي لا تحصى وكانت معظمها عامة للهندوس والمسلمين على السواء فإن نظرنا في هذه الوقائع تبين لنا خطأ بيان الملا البدايوني ومن شابهه من العلماء أن أكبر كان عدوا للدراسات العربية. كان أكبر ملكاً في الأصل فهو كان راغبا في إحكام دولته بدون إشتراك أحد غيره فهو كان يهدف إلى ثبات دولته أكثر من العناية بدينه ولو نظرنا بالدقة لوجدنا أن الدين الإلهي الذي أوجده أكبر كان يخالف النصرانية والهندوسية على السواء والواقع أن أكبر أراد أن يخلّد اسمه على صفحات التاريخ كخالق دين بل كإله معبود.

والمدارس التي تم وضع حجر أساسها في عصر أكبر لم تكن تدرّس التعاليم الإسلامية فحسب بل كانت تعنى بتعليم المعقولات عناية خاصة لكني أريد أن أخبر القراء بأن أكبر ليس بالملك الوحيد في تاريخ الهند الإسلامية الذي وجه إلتفاتاً خاصاً إلى الفعاليات العلمية والتعليمية بل سبقه سلاطين عديدة عنوا بتطوير المعقولات، أبرزها السلطان فيروز شاه تغلق (١٣٥١-١٣٨٨م) والسلطان سكندر اللودهي (١٥٨٦م) والسلطان الأخير هو الذي يرجع إليه فضل التعليم المخلوط بين الهندوس والمسلمين. [راجع "Glimpses of Medieval Indian Culture" (لمحات عن ثقافة الهند في العصور المتوسطة) يوسف حسين خان، إيشيا ببلشنغ هاوس، نيو دلهي، ١٩٥٧م، ص:٧٤]

وبالجملة فلم يكن أكبر أول سلطان مسلم ابتدع تقليد الترجمات السنسكريتية والفارسية فالسلطان فيروز شاه تغلق والسلطان سكندر اللودهي يسبقانه ولكن من الواقع الحق أن أكبر كان مخلصاً في هذا وراغباً فيه ويدل عليه عدد من التراجم التي تمت بأمر خاص منه وطول مدة حكمه على الهند أيضاً لعب دوراً مهماً في هذا الإمتياز.

وصرفاً عن الكتب التي مضى ذكرها في السابق فنجد كتباً أخرى جاء ذكرها في مختلف كتب التاريخ وهي أيضاً تُعتبر ما أنتجته محاولة أكبر الجادة فقد قال لو (Lowe)- مثلاً- في هوامشه على

ترجمة منتخب التواريخ الإنجليزية بأن ترجمة غيتا (Gita) تمّت بقلم فيضى بأمر من الإمبراطور أكبر. (راجع الترجمة الإنجليزية لمنتخب التواريخ، ص:٣٧٤)

وهكذا ويد وارتهـ ويد واتهر بن التي هي فصول للكتاب واحد، ذكرها الكتاب والمؤرخون بأسماء مختلفة فهي كتاب واحد أخطأوا في فهمها.

وهناك كتاب آخر يأتي ذكره فيما بين الكتب المترجمة في عصر أكبر وهو نال دمن (Nale-e-Damn) أي دميانتي (Damyanti). هذا الكتاب مجموع قصائد أبي الفيض فيضي فقد نظم الشاعر قصة غرامية. أعجب بها أكبر فأمر بترجمتها ولكن لم نجد إسم المترجم فيمكن أن الشاعر نفسه قام بترجمته.

وهناك رواية أخرى تقول بأن فيضي ترجم فصولاً من يوغ فشسط (Yog Vashist) وبها غفات غيتا(Bhagvat Gita) وبورانا (Purana) إلى اللغة الفارسية وجمعها في كتاب وسمًاها بـ "رسالة شريك المعرفة" وكذا ترجم فيضي قصة "إيك سودريا" (Aik Sau Darya) (مائة بحر) الذي يسمَّى "كتها سريتا ساغار" أصلاً (راجع "عواطف المحبة والكلف بالهند في عصر المغول"، ص:٨٩) ولكن عزو ترجمته إلى فيضي ليس بصحيح عندي فإنها- على حد دراستي- تمت بقلم الملا البدايوني ويمكن أن يكون "إيك سودريا" و"كتها سريتا ساغر" (Katha Sarita Saghar) كتابين منفردين أو وهم

السيد صباح الدين عبد الرحمن صاحب "بزم تيمورية" أو حاول فيضي أن يترجم كتها سريتا ساغار أو بعض حكاياته إلى اللغة الفارسية.

وكذلك ذكر بعض المؤرخين أن كتاب "مهيش مهانند" (Mahesh Mahanand) وكتاب "شري كرشينا جي" (Shri Krishna Ji) الذين تمت ترجمتهما إلى الفارسية بأقلام أبي الفضل ومعاونيه ولكني أرى أن الكاتب كور قد أخطأ في هذا فإن مهيش مهاننده وشري كريشنا جي جيوتشي كانا من أعضاء الجماعة التي ترجمت كتاب زيج ميرزائي لألغ بيغ وهكذا شري كريشنا جي وهري ونش بوران كتاب واحد لا غير فإني لم أجد ذكر هذا الكتاب (شري كريشنا جي) فيما بين أسماء الكتب المترجمة في هذا العصر ولا ذكر صاحب "التطور التاريخي للغة العربية وآدابها في عهد المغول" المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومات.

ويمكن أنه تمت ترجمة بعض الكتب الأخرى غير ما ذكرناه في عصر أكبر ولكنها لم يصل إلينا ذكرها فالكتب التي ذكرناها أشار إليها مشاهير المؤرخين في كتبهم ومذكراتهم.

المصادر والمراجع

١. أبو الفضل: أكبر نامه (ترجمه إلى الإنجليزية: ح. بيفريج) طبع في Low Price Publicatons، دلهي، ١٩٨٩م.

٢. الملا عبد القادر البدايوني: منتخب التواريخ (في مجلدين بالفارسية)، طبع في كولكوتا، ١٨٦٥م.

٣. الملا عبد القادر البدايوني: منتخب التواريخ (ترجمة إنجليزية) طبع في Academic Asiatica، بتنه، ١٩٧٣م.

٤. محمد حسين آزاد: دربار أكبري (باللغة الأردوية) طبع في بنجاب، ١٨٩٨م.

٥. السيد صباح الدين عبد الرحمن: بزم تيمورية (بالأردوية)، طبع في مطبع دار المصنفين، أعظم كره، ١٩٧٣م.

٦. شبير أحمد قدير: عربي زبان و أدب عهد مغليه مين (تطور اللغة العربية وآدابها في عصر المغول) (باللغة الأردوية)، من مطبوعات سنة ١٩٨٢م.

٧. السيد هاشمي الفريد ابادي: تاريخ مسلمانان باكستان وبهارت (تاريخ مسلمي الباكستان والهند) من مطبوعات أنجمت ترقي أردو، الباكستان.

٨. هندوستان كى مسلمان حكمرانون كى عهد مين تمدني كارنامى (الأعمال الحضارية في عهد الحكام المسلمين في الهند) طبع في مطبع دار المصنفين، أعظم كره، ١٩٨٦م.

٩. السيد صباح الدين عبد الرحمن: مغل بادشاهون كى عهد مين هندوستان سى محبت اور شيفتغي كى جذبات (عواطف المحبة والكلف بالهند في عصر المغول) (باللغة الأردوية)

١٠. المنجد، طبع في بيروت، ١٩٥٦م.

١١. نريندر ناث لا (Narendra Nath Law): Promoting of Learning in India during Muhammaden rule (تطور الدراسة في الهند خلال حكم السلاطين المسلمين)من مطبوعات Longmans لسنة ١٩١٦م

١٢. نور الدين جهانغير: تزكِ جهانغيري (ترجمة أردوية: الشيخ علي الرامفوري)، طبع في مطبع سنغ ميل بلاهور، ١٩٨٧م.

١٣. رام دهاري سنغ دينكار (Ramdhari Sińgh Dinkar): أربع فصول الثقافة (باللغة الهندية)، مطبوعات راج بال وأولاده، دلهي، الطبعة الثانية، ١٩٥٦م.

١٤. يوسف حسن: Glimpses of Medieval Indian Culture (لمحات عن ثقافة الهند في العصور المتوسطة) طبع في المطبع الأسيوي، مومباني، ١٩٥٧م.

١٥. الشيخ عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١٦. القاضي أطهر المباركفوري: عرب وهند عهد رسالت مين (العرب والهند في عهد الرسالة) (باللغة الأردوية)، مطبع ندوة المصنفين، دلهي، ١٩٥٦م.

١٧. أبو الفضل علامي: آئين اكبري (نقله إلى الإنجليزية: ح.ب. بلوك مين)، طبع في مطبع الكتب الشرقية، دلهي، ١٩٢٧م.

١٨. ايشوار توبا(Eshwar Tupa): هندي مسلمان حكمرانون كى سياسي أصول (الأصول السياسية لحكام الهند المسلمين (باللغة الأردوية)، أنجمن ترقي أردو، عليكره، ١٩٦٢م.

١٩. خليق أحمد نظامي: Studies in Medieval History and Culture (دراسات في ثقافة وتاريخ الهند في العصور المتوسطة)، كتاب محل، الله آباد، ١٩٦٦م.

٢٠. إبن خلدون: تاريخ إبن خلدون: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٦م.



كفاح نساء الهند في الموكب العالمي

- د. شوبهانكر بانرجي*
ترجمة : فاطمة الزهراء**

خلال خمسين سنة الماضية بلغ عديد من نساء الهند درجة عليا في المجتمع، نائلات مكانة مهنية رفيعة وصرفا عن مثل هذه الإنجازات، قد تركت أغلبية ساحقة من النساء الهنديات بعيدات عن عملية التحديث والعولمة كذلك والسبب الأصيل وراء هذا ليس إلا عنصر التمييز والتفضيل الذي يوجد في المجتمع الهندي حتى الآن فهن غير مفوّضات إلى الآنَ على مستويات الدراسة والموهبة وقدرات الحكم والتمثيل السياسي والحقوق الواجبة.

ولو أن العهد الحاضر للعولمة قد أدى إلى الرواتب والأجر الكبيرة في القطاع المنظم فمجرد ١٧ء٢ في المائة من النساء قد تم توظيفهن في هذا القطاع وبصورة عملية، معظم النساء الموظفات

كاتب هندي شهير
*إحدى مترجمات الهند

يوجدن في القطاع العادي بما أنه يقدم إليهن المرونة المرجوة في الدوام ولو أنه يفقد الصيانة الاجتماعية وغيرها من المنافع الطبية (مثل الأمومة والحذر التالي للولادة) التي توفر لهن من قبل الموظفين لهذه الوحدات غير الرسمية وهكذا فإن هذه النسوة يكتسبن رواتب أقل للغاية من الرجال مع العمل الشاق للوقت ذاته.

ويتم إستنصال النسوة عن طريق الرواتب البسيطة كما يجبرن على العمل مع شروط العمل المحدودة وخاصة في قطاع التصدير الضيق النطاق ومع هذا كله، هناك سباق كثير وفي جانب آخر، وجود الأكثر من المؤسسات الخارجية يعني مسابقة شديدة للشركات الأهلية، أدت إلى مراقبة مستمرة للدرك الأسفل وتخفيض الثمن وإعادة التركيب.

وفي الدرجات العالية، تشعر النساء أثر جوٍّ جديد للواجبات المؤدية إلى الإنجازات والحال أن هذه حقيقة صعبة أن الطبقة السفلى من النساء العاملات يبقين عرضة أكثر للانتقاد وعادة أنهن أول من يخفض ثمنه كثيراً وفي يومنا هذا قد ابتدأت العولمة في عصر ذي مقدرة كبرى قد خلقت مسابقة متعدة الجوانب في العالم كله وهذا أيضاً أدى إلى إسحاب الحكومة من العمل والتجارة.

وطبعاً قد وجد القطاع الحكومي خاصة، ملائما بالنساء الهنديات وهو يوفر خطوات مطلوبة للصيانة الإجتماعية والفوائد الأخرى والآن يتم تسليم المشاريع العامة إلى القطاع الخاص ولهذا

فيخفض ثمن النساء العاملات أو يجبرن على القعود التطوعي تحت مشروع القعود التطوعي (VRS).

قد أجبرت الأوضـاع الاقتصـادية- الاجتماعية الحاضرة في الهند آلافاً من النساء اللاتي لم يعملن من قبل على اتخاذ أي نوع من الوظـائف بمـا أن أزواجهن قد خفض ثمـنهم فـي القطـاع الخـاص أو ممارسـة القطـاع الخـاص سياسـة التخفيض وإسقاط القيم. ولذلك فيتم إجبار النسـاء الهنديات علـى اكتسـاب الأمـوال لكـي يواجهـن هـذه المشـاكل علـى الجبهة الأهلية. ومـن أجـل الأنـواع العديـدة للإجبـار المالـي تواجـه حكومـات الولايـة الأفـلاس وتـنفق المبلغ القلـيل علـى الخدمـات الاجتماعـية والمعـارف والصـحة العامـة وتوفـير المـياه النظـيفة والمبانـي وغيرها مـن المتطلبات وبسـبب قلـة فـي المرافق المدنـية الأساسية قـد زاد حمـل أعمـال النسـاء فـي المجـتمع الهـندي بصورة هائلة (مثلا جمع المياه من الأماكن البعيدة).

خـلال بعـض المشـاريع الماضـية، قـد أظهـرت الحصـص الميزانية الخاصة بالنساء وتنمية الأطفال تياراً نازلاً إلى أسفل نسبياً ولكن الخصـة قد ازدادت بنسبة ٣٣ في المائـة في ميزانية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م ولكن مـع ذلك تبقى تعدديـة مشوسة من مشاريع قد تم سوء إنفاقهـا أم لـم تـنفق تمامـاً ومـنذ فجـر عهـد جديـد مـن تحريـر الهـند الاقتصـادي، قد ارتفعت درجة النساء في المجتمع الهندي.

ولكن يتمنـى المجتمع الهندي عن كافة الجهات حتى الآن أن تـؤدي النسـاء دوراً تقليديا يخـتص بـه أمّ وزوجـة وأمـا سـيرتها

التوظيفية فهي تأتي في الدرجة الأخرى. إنهن يخبرن بالاستمرار بحدودهن الاجتماعية وهكذا فهن يصدون عن اختيارهن حياة حرة ولكن هذا مما يبعد لإمرأة متزوجة أن تطبق بين المهنة ومسؤليات البيت.

وفي جنب آخر على خلاف الغرب، إذا اختارت النساء الهنديات أن يكن أفراداً مستقلات بأنفسهن فإنهن ينلن من عزتهن بشيئ من الشكوك ومع ذلك فسهولة الدخول في مجالات المهن العديدة تجر عدم الصيانة المهنية مخافة النيل من العزة في أماكن العمل والوظيفة ولكنه فعلى نساء الهند أن يجاهدن لإثباتهن وإثبات صلاحياتهن في العالم الذي يغلب عليه الرجال.

ومن جهة التاريخ بقيت نساء الهند حتى القرن التاسع عشر والقرن العشرين المسيحيين منوطات بالبيت ومشغولات في شؤونهن وأمورهن وعائشات في الجو الذي تسوده العائلات والعشائر.

إنما هنا عدد قليل من النساء (وخاصة في الطبقات العليا من المجتمع) قد تخلى عن ربقة العبودية وغادر العالم المتوحد لكي يكون فنانة وخادمة للمجتمع واستاذة وحتى طبيبة.

والواقع إنهن تمتعن بميزة الشغل في نطاق اجتماعي ثابد يوجد فيه نظام متعاون جيد لا سيما ملائم بهن فحسب ولكن اليوم تختلف التحديات.

وفـي أيامـنا، أصـبحت مشـاكل نسـاء الهـند أكـثر نفسـية واجتماعية وحتى الآن يعترف بشرعية مجتمع أبوي يتولى أموره الكبار من أعضـاء الأسرة ولكن نسـاء الهند المتطورة يفضلن أن يخطـون خطـوة نسـاء الغـرب بحيث أن يكـن أحـراراً ومسـتقلات بأنفسهن.

ولـو أن مستوى نسـاء الهند القانوني قد تطور خلال خمسين سنة الماضية إنهن حتى الآن يخفن ساحات القتال القانوني هذه ومثلاً مع وجود قوانين عديدة أن النساء يواجهن بالاستمرار هتك العزة في أماكـن العمـل. وكذلـك لا يـتم البحـث والتحقـيق عـن نظـام الجهـاز والأحـداث التـي تقـع كنتيجة وهكذا أحداث الزنـا وهتك العزة والعنف الأهلي الشديد قد ازداد عددها.

ولـو أن حق الميراث قد أعطـي النساء يتقدم عدد قليل منهن لنيل حقوقهن من الميراث بما أنهن يخفن عدم الاعتراف الاجتماعي العـام وهكـذا إنهـن يـترددن فـي طلـب الطـلاق مخافـة الـنزول مـن المستوى الاقتصـادي والاجتماعي وبسبب أثر العولمة الكبيرة يسابق أهالـي القـرى فـي الذهـاب إلـى المـدن للوظـائف إلا أنهـم يحجـزون أزواجهـم مـع أن هنـاك بـيوتا عديـدة يرأسـها النسـاء ويعـيش أهالـيها تحت مستوى الفقر.

وتعبأ النساء في الأرياف حتى الآن كما إنهن لا يجدن أغذية تامـة فـلا يمنعن عن عدد الأولاد بل يجبرن على تربيتهم وطبعاً فإن المعلومات الاجتماعية الأساسية تجاه النساء لم تتغير حتى الآن.

وحتى أن وفرة الأموال لم تهبهن القدرة على تبديل هذه المعاملات الهندية الغريبة وحتى الآن يتم تعبيد عدد وافر منهن من قبل الاستهلاك الناشئ كما إنهن لا يعرفن مشاكل النساء الأخريات اللاتي يتمتعن بأقل ميزة بالنسبة لهن.

وهذا من فقدان العمل المنظم أن النساء في الهند لم يحصلن حتى الآن على ٣٣ في المائة من الاختصاص في البرلمان وحالياً ٨ في المائة من أعضاء البرلمان نسوة وهكذا فالتمثيل أيضاً ليس بمناسب لعددهم في الخدمات المدنية الهندية.

علاوة على عدد قليل من قصص الفوز العالي والانجازات الخاصة فتواصل أغلبية النساء الهنديات جهدهن للتغلب على الظلم والتقليل الإعدادي ونحو ٥٨ في المائة من العذاري اللاتي غير متقفات حتى الآن يجبرن على الابتعاد عن عملية التحديث والعولمة. وكلمة "تحكيم النساء" و"أسبوع النساء" ليست بهدف يتم بسهولة ويبدو من الندوات العلمية والمجالس التي تعقد بمناسبة "يوم النساء" و"أسبوع النساء" وغيرهما أنها فقدت قوتها خاصة كشن الهجوم على الحقائق الاقطاعية المتوحشة النامية في المجتمع الهندي. وفي بعض الأحيان يعود مصطلح "الجنس" كاختيار وظيفة تتطلب رواتب هائلة وتشريع السبيل خلقياً إلى الوظائف المرجوة.

وهذا حق مرّ أن هناك عديداً من النساء المتحررات من القيود المحلية التي تعتقد مصطلح “Feminism” (نظرية المساواة بين الجنسين) مجرد هتاف جنسي بينما مصطلح "التعريض" علامة

لبعض الانجازات الجذابة. وهناك بعض النساء الفعالات المزعومات اللاتي يرين أن الجنس يكون في مجرد الافتتاحات الجادة والحلول التقية. وبكلمات واضحة إنهن يشمنززن سراً من النساء الأخريات والحال إنهن يعملن لانحطاطهن ولا غير.

وبالجملة فهناك عديد من المهرة في القضايا وحلولها ولكن الجنس مثل النظام الاقتصادي الهندي والآن تصبح الأشياء أسوأ للغاية وهذه نقطة عملية غير تامة أن المرأة إذا لم تأت تحت إشراف الرجل فيمكن أن تكون حياته اليومية في المجتمع كابوساً خطراً. وحتى الآن نحن نحتاج إلى جعل الجنس قوياً وأرضياً ما أمكن لنا هذا العمل. ولا يمكن لنا أن نغفل عن انجازات بعض النساء الموظفات اللاتي يضعن علامة في المظهر الذي سيطر عليه الرجال.

وتعتبر بعض نساء الهند اللاتي احتللن إنجازات عالمية في المجتمع فقدان الاهتياج والواقع إنهن لا يمتلكن وقتا للبغض الجذاب ضد الرجال فإنهن استخدمن مسلكا عاما في المجتمع الذي يسكن فيه بجانب إعمال معظم جداراتهن الفطرية التي وهبهن الله.

وعلى نساء الهند أن يواجهن ساحات عديدة تقوم أمامهن حتى الآن بما أن المجتمع الهندي يبقى مسيطرا بأسره من قبل النظام الطبقي والنظام الاجتماعي الذي يسوده الرجال فالمناصب العليا والحاكمة يحتلها الرجال مثل القضاة ومسؤلي الخدمات المدنية والصحفيين وأقطاب الأشغال والشارعين.

وحتى الآن تفقد الندوات العلمية والمجالس في موضوعات رفاهية مختلفة بأسلوب إقطاعي لا يسع مشاركة النساء إلا نزراً يسيراً ولو أننا نتخذ أحكاماً وأموراً عديدة لتوسيع نطاق الديموقراطية الهندية ولكن مجرد ١٠ في المائة من التذاكر تقسم بين النساء في الانتخابات ونظام الهندوس الطبقي نظري إلى حد يرعى الشؤون الاجتماعية ولذلك فالوارثة تبقى مركزية في عقول عامة الهندوس ونذكر في سبيل المثال الفرق بين الكبير والصغير والغني والفقير والأهم والعادي والطاهر والفاجر والعالي والسافل والرجل والمرأة وفوق ذلك حينما يثور السؤال المهم الذي تتم إثارته باستمرار وهو ما هو جنس هذه الشخصية؟ فهو يحتوي على مستواها وولادتها وأسرتها وعلاقاتها وحقها للتحدث والوجود وأما الجدارة والمرتبة فهما من الخصائص الرديئة للمرأة المنافسة ولذلك فتبقى عقولنا وأذهاننا مضادة للديموقراطية بعد مرور القرون المتعددة للانتخابات التي تم فيها إدلاء الأصوات.

وبالجملة فالندوات العلمية حول "تحكيم المرأة" هي مثل الندوات العلمية حول العلمانية والمنع عن الجنس في الندوات العلمية التي تعقد بمناسبات أيام وأسابيع النساء بإشراف ونفقة الحكومة يلزم أن النساء مستعدات لمواجهة أي نوع من الاستحصال وبمجرد هذا تجدر نساء الهند بقيامهن على ساق وقدم في العصر الجديد للعولمة.



سوشوراتا: جرّاح هندوسي شهير

- الحكيم نازش احتشام الأعظمي*

- ترجمة: د. شبلي عالم**

يبتدئ فن الطب الهندي بعقائد الهندوس ويبنى عليها فالمزعوم أن الإله برهما هو الذي أوجد الطب ومن ثم انتقل هذا الفن إلى داكشين برجاباتي (Dakshin Prajapati) الذي تلمذ عليه اشفني كومار (Ashvini Kumar) وعلى الآخر تلقى الإله إنديرا (Indira) هذا الفن الشريف. قسم الإله إنديرا هذا الفن في قسمين (١) فن الجراحة (٢) وفن التطبب. اختار الفنّ الأول الإلهُ دهانفانتاري (Dhan Vantari) وأما الفن الآخر فقد ورثه الإله بهارادفاج (Bhardawaj) . علم الإله دهانفانتاري هذا الفن تلميذه الرشيد سوشوراتا (Shushurata) وبهارادفاج نقل عمله إلى تلميذه الكريم أتريا (Atriya) ومن هنا عم هذا الفن (فن الطب) كافة أرجاء الهند.

* مدير تحرير "ماهنامه إصلاحي" الأردية الشهرية الصادرة من مومباي

** - طبيب، مستشفى مجيدية، جامعة همدرد، نيودلهي

أعلام الطب الهندي:

عهـد ١٠٠٠ ق. م. يسـمًى فـي الـتاريخ الهـندي بــ "عهـد البراهمة" (Brahmin Period) هذا هو العهد الذي بلغ فيه طب أيورويدا أوجه والذي مضى فيه أعلام الطب الهندي أمثال تشاراكا (Charaka) وسوشوراتا (Sushurata) وفاغابتا (Vaga Bhatta) وناغا أرجونا (Naga Arjuna). وفيما يلي عرض وجيز عن الطبيب الجراح الهندي الشهير "سوسوراتا".

سوشوراتا: حياته وأعماله

يُعدُّ سوشوراتا أقدم وأكبر أعلام الطب الهندي فقد اعتبره المؤرخون الهندوس قديما للغاية. ولكن المؤرخين الغرب قرروا عصره القرن الخامس المسيحي ويكفي تقديرا لهذا الجراح الهندي كتابه سوشوراتا سمهيتا (Sushrata Samhita) ولو أن هذا الكتاب يحيط بكافة شؤون الطب ولكن أسلوب إحاطته بالجراحة وتفصيله لها قد أثبته كـ "أبو الجراحة" (Father of Surgery) وخلَّد ذكره في هذا المجال. هو يقول:

"لا بد لطبيب أن يبرع في الجراحة وإن لم يستطع ذلك فهو كطائر كسر أحد جناحيه ولعل هذا هو الباعث على تفصيل شؤون الجراحة وقضاياها في كتابه هذا".

وفيما يلي عرض مفصل لهذا الكتاب القيم:

هذا أحد أمهات الكتب في طب أيورويدا ولو أن هذا الكتاب عن كافة أصول الطب وقضاياه مثل وجهات النظر العديدة وأصول المعالجة والمداواة واختلاف الأدوية ولكنها موجودة في كتاب "تشارك سمهتا" للطبيب الشهير "تشارك" وأما ميزة هذا الكتاب فهي قضايا علم الجراحة التي تناولها المؤلف بشيء من التفصيل والتطويل.

فالمستوى الذي اختاره سوشوراتا في هذا الكتاب القيم يفقد نظيره لدى غيره من الأطباء المؤلفين فيجدر بنا أن نعرض ذاك الجزء بشيء من التفصيل كذلك.

سوشوراتا سمهتا وعلم الجراجة

وضع المؤلف باباً في هذا الكتاب القيم بـ"شاليا تانتارا" (Shalya Tantara) وهذا يعني "الجراحة" (Surgery). هذا الباب يحتوي على خمسة فصول تالية:

١. سوترا استهانا (Sutra Sthana)

٢. ندانا استهانا (Nidana Sthana)

٣. سريرا استهانا (Sarira Sthana)

٤. تشتيكسا استهانا (Chititksa Sthana)

٥. كالپااستهانا (Kalpa Sthana)

وما جاء من ذكر الجراحة وشؤونها وقضاياها نذكره فيما يلي:

ولا يمكن لنا – كما هو المعلوم – أن نجري عمل الجراحة بدون آلاتها وأسبابها ونظرا لذلك فقد تمَّ تصنيع عديد من آلات الجراحة وأسبابها، يزهو عددها على المائة. تنقسم هذه الآلات في ست زمرات تالية:

١. سوفا ستيكا Suvastika

٢. ساندانشا Sandansha

٣. تالا يانترا Tala Yantra

٤. نادي يانترا Nadi Yantara

٥. شالاكاس Shalakas

٦. أوبا يانترا Upa Yantra

وتفصيل هذه الزمر فيما يلي:

١. سوفاستيكا Suvastika

هو فوريسب منحرف وينقسم في ستة وستين قسماً.

٢ – ساندانشا Sandansha

هي آلة من آلات الجراحة تستخدم للإنسان. لها نوعان.

٣- تالا يانترا Tala Yantra

هي تنقسم في قسمين.

٤- نادي يانترا Nadi Yantra

هي تشبه الأنبوب. لها عشرون قسماً.

٥- شالا كاس Shalakas

هي تشبه فروع الشجرة. لها ثمانية عشرون قسماً.

٦ – أوبا يانترا Upa Yantra

هي تصنع من الحديد. لها خمسة أنواع تنقسم في عشرين قسما. هي تشبه الطيور.

عمليات جراحية لهذا الكتاب القيم

والعمليات الجراحية التي أجريت في عصره وبأعينه هي:

١. بيديان (Bhedyan) وهي تعني إستيصال.

٢. ليكيان (Lekhyan) وهي تعني شطب الجلد.

٣. فيدانان (Vyadhanan) وهي تعني شق.

٤. أشاريان (Asharyan) وهي تعني نزع.

٥. سار فيان (Saravyan) وهي تعني إفراز.

٦. سيفيان (Seevyan)

هذه العمليات الجراحية يوجد ذكرها لدى سوشوراتا بمختلف الأسماء في مختلف الأماكن وأما فوائدها ومنافعها فهي تأتي فيما يلي:

١. بيديان (Bedyan) استيصال.

هذه الطريقة تستخدم في قطع أمراض الاعضاء التالية:

الورم العام

- مرض الغدد الثديية
- مرض البثرة
- مرض عوق النمو الطبيعي وشبه العوق

٢. ليكيان (Lekhyan) شطب الجلد:

هي تكون لشطب الجلود وتفيد في نزع الشحم الذي ينقسم في ثلاثة :

١. روهيني (Rohini)

٢. كيلاسا (Kilasa)

٣. أوباجيهانا (Upajihana)

٣. فيدانان (Vyadhanan) الشق:

هـي تكون لشـق الجلـود وعملية الجراحة. إنـها تتعلق بالوريد و تكون في الآتي:

١ـ استسقاء جوفي

٢ـ مرض الأدرة

٣ـ مرض الجيب

٤ـ القرحة

٤ـ أشاريان (Asharyan) نزع:

هي تعنـي نـزع الشـيء وإخراجه والحاصل من ذلك إخراج مـا فسـد مـن الأعضــاء البدنـية والمـواد الموجـودة مـثل إخـراج المـادة الفاسدة من بين السنين وكذلك إخراج المادة الفاسدة من الأذن ونزع الحجرة من الرنة وهلم جرا.

٥ـ سارفيان (Sarvyan) إفراز:

هـو نـوع مـن امـتحان الـرطوبة التـي توجـد فـي الأمـراض التالية:

- خروج الرطوبة من العضو المتأثر من الجسد.
- تأثر العضـو لمـرض أو جـرب وبذلـك يـتأثر العضـو المهاجم عليه.

- سمية الدماء
- فيال
- حمرة

وغيرها من الأمراض الطارئة على أعضاء جسد الإنسان.

٦- سيفيان (Seevyan) تقطر الدم :

هي طريقة يتم استخدامها في القرحة الخارجية

الأشياء المهمة المذكورة عن الجراحة

خيوط جراحية (Ligature and suture)

يأتي ذكر خيوط جراحية عديدة لخيط القروح والجروح التي تقع بسبب مختلف الأحداث والضروب وهذه الخيوط منها نباتية ومنها حيوانية تصنع من هذه الأشياء الحية والميتة ونذكر على سبيل المثال أعصاب نبات القنب.

ترقيع الجلود (Skin-grafting)

ترقيع الجلود يعتبر أحدث معجزات فن الجراحة ولكن من العجيب جداً أنه موجود في كتاب سوشوراتا فهو يذكر ترقيع الأذن المقطوعة والأنف الناقص والشفة المقطوعة.

حجر المثانة (Cystic Calculus)

لـه ذكـر مفصـل فـي هذا الكتـاب القيم فيوجد فيه أنـواع هذا المرض وطرق جراحتها.

الفتق (Hernia)

وكذلك يوجد ذكر مفصل للفتق وأنواعه وطرق جراحته.

نزول الماء (Cataract)

ذكـر سوشـوراتا هـذا المـرض بشـيء مـن التفصـيل وطـريقة جراحته بواسطة العدسة (Lens).

قطع العضو (Amputation)

قطـع العضـو المسـموم والفاسـد مـن جسـد البشـر عملٌ عام في هذا المجال.

التوليد بالجراحة (Casarean Section)

وهكذا جاء ذكر مفصل لطريقة شق البطن ونزع الطفل منه.

مارما (Marma)

هـي فكـرة عجيبـة مـن الطـب الـهنـدي. ذكـر فيـهـا المؤلـف بـعـض الأعضـاء التـي يصيبهـا المـرض القاتـل لأجـل الضـرب أو الجـرح.

وهذا وقد ثبت من البحث السابق الموجز أن سوشوراتا يجدر بأن يُسمَّى "أبو الجراحة الهندية" وهو الذي ملأ الطب الهندي بذخائر أفكاره القيمة وتجاربه الرائعة المفيدة للبشر.

المراجع والمصادر:

1. الحكيم أشهر قدير: تاريخ الطب وأخلاقه (الإنجليزية)
2. ك.ك. بيشا غارانت: ترجمة انجليزية لسوشوراتا سمهتا
3. حسان النغرامي: تاريخ الطب (الأردية)
4. عبد اللطيف الفلسفي: مساهمة الهندوس في طبنا
5. الحكيم غلام الجيلاني: تاريخ الأطباء
6. ب.ك. كرومبهار: تاريخ الطب (الإنجليزية)
7. تكملة ويديك



شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم

- د. أشفاق

شمال شرق الهند تتضمن سبع ولايات هندية وهي آسام (Assam) وأروناتشال براديش(Arunachal Pradesh) ومانيبور (Manipur) وميغالايا (Meghalaya) وميزاروم (Mizarom) وناغالاند (Nagaland) وتريبورا(Tripura). وهي منطقة ذات مساحة شاسعة وذات أهمية تاريخية واستراتيجية، فتحتضنت شعوبا وقبائل مختلف الأعراق والثقافات والحضارات والديانات واللغات والآداب والعادات والتقاليد، كما تزخر بمختلف المصادر الطبيعية والمناظر البهيجة، وتتنوع فيها حيوانات وطيور ومعادن. تمتاز هذه المنطقة بتنوّعها الثقافي والحضاري من سائر الهند من حيث يمكن أن يسمّى "الهند المصغرة"، وطوبوغرافيتها وعواملها التاريخية لم تجعلها ممتازة

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آسام، سليتشار (آسام).

بالعناصر المتغايرة، فحسب بل أصبحت سببا لمنع ظهور الثقافة المتجانسة.

إن القبائل والشعوب المختلفة التي لا تزال تسكن هذه المنطقة، وخاصة المناطق الهضبية، منذ عهد قديم، كانت قد تعوّدت على نظام الحكم الذاتي، كما كان لها شعور قوي وشكوك متزايدة ضدّ السكان المهاجرين من أصقاع الهند المختلفة، وظلت القبائل تخاف من أن تفقد هويتها الثقافية واللغوية من جرّاء الثقافات واللغات الداخلية. ازدادت هذه الشكوك وتفاقمت الشبهات ضد الأجانب من أجل محاولات الإرساليات التبشيرية في تنصير القبائل جميعا منذ العهد الإنجليزي.

ورغم المصادر الطبيعية الغنية والأهمية الاستراتيجية السياسية لا تزال شمال شرق الهند أكثر تخلفا في كل المجالات الاقتصادية والعلمية والتعليمية والتجارية والاجتماعية. والأسباب الرئيسية لهذا التخلف هي عدم توافر تسهيلات النقل والمواصلات وفعالية الحركات المتمردة وأنشطة المجموعات الانفصالية.

ونظرا للأهمية التاريخية والثقافية والاستراتيجية والسياحية أردنا القيام بتعريف شمال شرق الهند بالقرّاء العرب، وقد يستطيع المقال أن يلفت انتباه العرب إلى هذه المنطقة التي لا تزال مجهولة عن العالم العربي.

(١). أرونانتشال براديش: عاصمتها: إيتانجار، مساحتها: ٣١٤٣٩ ميلا مربعا. عدد سكانها: ٦٨٨٠٥٠ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م.

هي ولاية في أقصى شمال شرق الهند تقع في حدود الهند مع مايانمار والصين. تستوطن هذه الولاية الهندية عدد من القبائل وأشهرها "آبور" و"آكار" و"بوتيار" و"دافالا"، و"كاميتي"، و"ميري" و"ميشمي"، و"سنغبو" وكل القبائل تمتاز باللهجات والعادات والتقاليد والقوانين والنظام السياسي الخاص لها. يتدين عدد من القبائل بديانة بوذية أو هندوسية بينما يتدين عدد آخر بديانات قبائلية محلية. وكانت من مميزات هذه الولاية السياسية سيادة رئيس كل قبيلة على منطقته أو قريته. ولم تقبل القبائل أبدا الحكم الخارجي، إلا في العهد الإنجليزي وذلك عندما احتلها الحكام الإنجليز في عام ١٨٣٨م بزعمهم أنها جزء لولاية آسام. وبعد استقلال الهند في عام ١٩٤٨م أصبحت المنطقة ولاية هندية مستقلة.

بدأت عجلة التنمية تدفع في الولاية منذ ١٩٥٠م وذلك عند ما اتخذت الحكومة الهندية إجراءات وقامت بخطوات عديدة لتطويرها وترقيتها. ففي مجال التعليم والصحة، مثلا، قامت الحكومة بتأسيس عدد من المدارس والمستشفيات. فكانت في عام ١٩٤٨م أربع مدارس ابتدائية فحسب والآن قد بلغ عدد المدارس الابتدائية والثانوية إلى عشرات إلى جانب عدد ملحوظ من الكليات والجامعات ومراكز التعليم المهنية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإرساليات التبشرية بدأت تكثف جهودها منذ منتصف القرن العشرين لتغيير المنطقة بأسرها إلى منطقة سيخية، من حيث أنه لم يكن يوجد أي مسيحي في الولاية في عام ١٩٥٠م ولكن بلغ عدد المسيحيين إلى ٢٥٩٣ بحلول عام ١٩٧١م. ونظراً لذلك أخذ السكان القبائليون يحسون بأن دياناتهم وثقافاتهم قد أصبحت عرضة للخطر وبدأوا يبذلون أقصى جهدهم ضد تغيير الديانة وتكللت جهودهم بالنجاح إلى حد كبير عندما أصدرت الحكومة الهندية قانوناً في عام ١٩٧٨م يمنع تغيير الديانة بالقوة أو التزوير أو بتقديم معونة مالية.

(٢) مانيبور: عاصمتها : إمفال: مساحتها ٨٦٢٨ ميلا مربعا: عدد سكانها: ١٤١١٣٧٥ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. تحدها مايانمار من الشرق وميزورام من الجنوب وآسام من الغرب وناغالاند من الشمال. حوالي ثلثين من السكان هم من قبيلة "الميثي" (Meithei) والباقي من قبيلتي "الكوكي" و"الناغا". يسكن الميثيون في وادي مانيبور ويتدينون بديانة هندوسية بينما تسكن القبيلتان الكوكي والناغا في المناطق الهضبية وتتديان بديانات قبائلية مختلفة.

ظل تاريخ مانيبور مجهولا عن العالم حتى تأسست هناك حكومة محلية في عام ١٧٦٢م، إلا أن المايانماريين أخذوا يسيطرون على مانيبور في حين لآخر حتى احلتها الإنجليز في عام ١٨٢٦م، إن المانيبوريين لم يقبلوا الحكم الإنجليزي أيضا وظلوا

يقومون بالثورات ضد الحكومة الأجنبية طوال عهدها حتى نالت الهند استقلالها في عام ١٩٤٧ م وأصبحت مانيبور ولاية هندية مستقلة في عام ١٩٧٢م.

وصلت الهندوسية إلى مانيبور بمحاولة أحد رجال الديانة الهندوسية "شانتي داس غوسوامي" الذي قدم إلى هذه المنطقة من ولاية بنغال قبل حوالي قرنين وبذل جهده المستطاع لنشر الثقافة الهندوسية، وتكلل جهده بالنجاح عندما اعتنق حاكم المنطقة الديانة الهندوسية وأجبر رعيته أيضا على اعتناق الهندوسية. وبذلك بدأت الثقافة الهندوسية في مانيبور وتركت بصمات عميقة وتأثيرا كبيرا في كل النواحي الاجتماعية المانيبورية. فالرقص والموسيقى، على سبيل المثال، بدأ تطورهما في مانيبور مستمدا مواضيعهما من أحد الآلهة الهندوس "كريشنا" واشتهر الرقص المانيبوري كأحد أنواع الرقص الأربعة الكلاسيكية الهندية. وقد روّجه طاغور في سائر الهند.

قضية اللغة:

إن اللغة الرائجة في الولاية هي "ميتي لون" (Meiteilon) ولكن رغم رواجها السائد لم يعتر فربها الدستور الهندي في بداية الأمر بدعوى أنها لا ينطق بها إلا عدد قليل من الناس، ففي عام ١٩٥٨ م صرح رئيس الوزراء الهندي الأول جواهر لال نهرو بأن

اللغة المانيبورية لا تستحق أن يعترف بها الدستور وذلك أثار ضجة كبرى في المجتمع المانيبوري وبدأ الاستياء العام ضد الحكومة الهندية، إدعى المانيبوريون أن لغتهم تنطق في منطقة واسعة تشمل كاتشار وتريبورا وأوترابراديش وبنغال الغربية ومانيبور إلى جانب مايانمار وبنغلاديش. كما ادعوا بأن الذين ينطقون بهذه اللغة في الهند فيبلغ عددهم حوالي مليون نسمة وفي الخارج حوالي نصف مليون نسمة. ورغم أنه لا توجد في الهند قرية تنطق باللغة السندية ولا يزيد عدد سكانها على مليون نسمة، أدخلت اللغة السندية في قائمة الدستور الثامنة، وصرحوا أيضا بأن اللغة المانيبورية لها خط مستقل بذاته منذ حوالي مائة عام، وقد أصبح الأدب المانيبوري غنيا من حيث استطاع أن يحتل مكانة سامية، ونظرا لحركة المانيبوريين المتواصلة في صالح لغتهم قامت الحكومة الهندية بإدخال اللغة المانيبورية في قائمة الدستور الثامنة في أواخر القرن العشرين.

ومن اللافت للنظر أن جماعة في مانيبور تريد استبدال الخط البنغالي الرائج بالخط المانيبوري المعروف بـ"ميتي ماياك" (Meitei Mayek) وللحصول على هذا الهدف تقوم الجماعة بأعمال العنف في حين لآخر حتى قامت بإحراق أقدم مكتبة وأكبرها في إمفال في الآونة الأخيرة والذي يعتبر خسارة علمية ثقافية كبرى.

إن أوضاع وسائل النقل والمواصلات في الولاية سيئة للغاية من حيث أصبحت من العقبات الرئيسية في طريق تنميتها وتطورها

إلى جانب التمرد والحركة الانفصالية، لا توجد في الولاية صناعات كبرى، وأحوال الكهرباء أيضا سيئة، والتجارة والمقاولات الرئيسية كلها في أيدي الراجستانيين والبنجابيين، ومعظم المسؤولين والبيروقراطيين الكبار هم غير المانيبوريين وذلك رغم تواجد المتعلمين في الولاية في عدد ملحوظ. وحسب بعض الإحصاءات يسكن في الولاية حوالي ثلاثمائة ألف أجنبي الذين إنسلوا إليها قادمين من بنغلاديش ونيبال ومايانمار.

وفيما يتعلق بمجال التعليم فقد تحسنت أوضاعه إلى حد كبير، وذلك من أجل الجهود المستمرة من جانب الحكومة الهندية، كانت ١٢ مدرسة ثانوية وكلية واحدة في الولاية في عام ١٩٥١م، وازداد عددها الآن ليبلغ ٢٥ كلية و٣٢ مدرسة للتعليم المهني إلى جانب مئات من المدارس الابتدائية والثانوية وجامعة مركزية.

(٣) ميغالايا: ولاية ميغالايا (بيت الأمطار) تقع على نجاد جبلية حيث تتوافر مناظر بهيجة للغاية، تحيط بها بنغلاديش من الجنوب وولاية آسام الهندية من الشمال والشرق. مساحتها ٨٦٦٦ ميلا مربعا وعدد سكانها ١٣٢٨٣٤٣ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. استقلت ميغالايا كولاية من آسام في عام ١٩٧٢م واتخذت مدينة شيلونغ كعاصمة لها.

معظم سكان الولاية هم القبائليون الذين لا يزالون يسكنون هناك من قبل قدوم الآرايين إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل

الميلاد، وعددهم الأكبر ينتمي إلى قبيلتين هما الغار والخاصي أولاهما التبتية البورمية أصلا وأخراهما مون – كومار (Mon-Khomers). تتعدد لغات التكلم ولهجاتها في الولاية ولكن أشهرها هي "الخاصي" والغار" و"سينتانغ" "وجانتيا" و"هايجونغ". إن ميغالايا غنية بالثقافة القبائلية والفولكلورية، ومن ميزات الولاية هي أنها المجتمع الأموي.

مدينة شيلونغ ظلت عاصمة ولاية آسام من ١٨٧٤م إلى ١٩٧٢م، وأصبحت منذ مدة طويلة من أشهر المحطات الهضبية الهندية حيث تتوافر المتنزهات السياحية والتسهيلات التعليمية والتجارية وبصفتها مركز الإدارة الحكومية ومقر القوات المسلحة. وقدم إلى شيلونغ عدد كبير من الناس من الأصقاع المختلفة للهند وظل يزداد عدد المهاجرين حتى أصبحوا أغلبية في كلتا المدينتين شيلونغ وثورا. ورغم أن معظم سكان هاتين المدينتين اعتنقوا النصرانية ويفضلون الموسيقى الغربية واللباس الغربي وأخذوا "روم" (Rom) كالخط أنهم يحسون بأن تراثهم الثقافي القبائلي في خطر والأجانب يستغلونهم من نواح مختلفة.

(٤). ميزورام: عاصمتها: أيزول. مساحتها: ٨١٣٤ ميلا مربعا. وعدد سكانها: ٤٨٧٧٧٤ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. استقلت ميزورام كولاية من آسام في عام ١٩٧٤م. إن شعوب وقبائل ميزورام تنتشر في أشتات الدول والمناطق الهندية، يسكن

البعض (حوالي ٤٠٠٠٠) في مايانمار والبعض الآخر في بنغلاديش، بينما يسكن عدد كبير في ولايتي مانيبور وتريبورا الهنديتين. تحيط بالولاية مايانمار وبنغلاديش.

إن شعب ميزو هم منغوليو الأصل، هاجروا من مايانمار في أواخر القرن الثامن عشر. والأغلبية الساحقة من السكان هناك هم القبائليون، أشهرها اللوشى وتشكما واللوكار والكوكي والريانغ والباوي والهومار، كانوا يتدينون بديانات قبائلية مختلفة. ولكن منذ العهد الإنجليزي بدأت الإرساليات التبشيرية المسيحية تبذل قصارى جهدها لتتصير المنطقة بأسرها، وقد نجحت بالفعل من حيث اعتنق أكثرهم الديانة المسيحية.

بيد أن بفضل المسحيين بدأ التعليم في المنطقة لأول مرة في التاريخ، وذلك منذ عام ١٨٩٤م. انتشر التعليم بسرعة من حيث أصبح حوالي ٦٠% من المواطنين متعلمين بحلول عام ١٩٨١م. وقد بلغ عدد المتعلمين اليوم أكثر من ٩٠%.

وفيما يتعلق بالسياسة فكانت كل قرية مستقلة بذاتها يرأسها "لال" (الرئيس). وكان "لال" يستشير ويأخذ مساعدة كبار القرية (Upas) في الأمور الإدارية. وكان "لال" يستشير الشباب(Tlangwags) أيضا، وهم كانوا يشتغلون بزراعة النقل.

إن الحكومة البريطانية قامت بإدارة هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدأت تحصل الضرائب منذ عام ٩٢-١٨٩١م،

وحتى الآن تفقد الندوات العلمية والمجالس في موضوعات رفاهية مختلفة بأسلوب إقطاعي لا يسع مشاركة النساء إلا نزراً يسيراً ولو أننا نتخذ أحكاماً وأموراً عديدة لتوسيع نطاق الديموقراطية الهندية ولكن مجرد ١٠ في المائة من التذاكر تقسم بين النساء في الانتخابات ونظام الهندوس الطبقي نظري إلى حد يرعى الشؤون الاجتماعية ولذلك فالوارثة تبقى مركزية في عقول عامة الهندوس ونذكر في سبيل المثال الفرق بين الكبير والصغير والغني والفقير والأهم والعادي والطاهر والفاجر والعالي والسافل والرجل والمرأة وفوق ذلك حينما يثور السؤال المهم الذي تتم إثارته باستمرار وهو ما هو جنس هذه الشخصية؟ فهو يحتوي على مستواها وولادتها وأسرتها وعلاقاتها وحقها للتحدث والوجود وأما الجدارة والمرتبة فهما من الخصائص الرديئة للمرأة المنافسة ولذلك فتبقى عقولنا وأذهاننا مضادة للديموقراطية بعد مرور القرون المتعددة للانتخابات التي تم فيها إدلاء الأصوات.

وبالجملة فالندوات العلمية حول "تحكيم المرأة" هي مثل الندوات العلمية حول العلمانية والمنع عن الجنس في الندوات العلمية التي تعقد بمناسبات أيام وأسابيع النساء بإشراف ونفقة الحكومة يلزم أن النساء مستعدات لمواجهة أي نوع من الاستحصال وبمجرد هذا تجدر نساء الهند بقيامهن على ساق وقدم في العصر الجديد للعولمة.



سوشوراتا: جراح هندوسي شهير

ـ الحكيم نازش احتشام الأعظمي*

ـ ترجمة: د. شبلي عالم**

يبتدئ فن الطب الهندي بعقائد الهندوس ويبنى عليها فالمزعوم أن الإله برهما هو الذي أوجد الطب ومن ثم انتقل هذا الفن إلى داكشين برجاباتي (Dakshin Prajapati) الذي تلمذ عليه اشفني كومار (Ashvini Kumar) وعلى الآخر تلقى الإله إنديرا (Indira) هذا الفن الشريف. قسم الإله إنديرا هذا الفن في قسمين (١) فن الجراحة (٢) وفن التطبب. اختار الفنّ الأول الإلهُ دهانفانتاري (Dhan Vantari) وأما الفن الآخر فقد ورثه الإله بهارادفاج (Bhardawaj) . علم الإله دهانفانتاري هذا الفن تلميذه الرشيد سوشوراتا (Shushurata) وبهارادفاج نقل عمله إلى تلميذه الكريم أتريا (Atriya) ومن هنا عم هذا الفن (فن الطب) كافة أرجاء الهند.

* مدير تحرير "ماهنامه إصلاحي" الأردية الشهرية الصادرة من مومباي

** ـ طبيب، مستشفى مجيدية، جامعة همدرد، نيودلهي

أعلام الطب الهندي:

عهد ١٠٠٠ ق. م. يسمَّى في التاريخ الهندي بـ "عهد البراهمة" (Brahmin Period) هذا هو العهد الذي بلغ فيه طب أيورويدا أوجه والذي مضى فيه أعلام الطب الهندي أمثال تشاراكا (Charaka) وسوشوراتا (Sushurata) وفاغابتا (Vaga Bhatta) وناغا أرجونا (Naga Arjuna). وفيما يلي عرض وجيز عن الطبيب الجراح الهندي الشهير "سوشوراتا"

سوشوراتا: حياته وأعماله

يُعدُّ سوشوراتا أقدم وأكبر أعلام الطب الهندي فقد اعتبره المؤرخون الهندوس قديما للغاية. ولكن المؤرخين الغرب قرروا عصره القرن الخامس المسيحي ويكفي تقديرا لهذا الجراح الهندي كتابه سوشوراتا سمهيتا (Sushrata Samhita) ولو أن هذا الكتاب يحيط بكافة شؤون الطب ولكن أسلوب إحاطته بالجراحة وتفصيله لها قد أثبته كـ "أبو الجراحة" (Father of Surgery) وخلَّد ذكره في هذا المجال. هو يقول:

"لا بد لطبيب أن يبرع في الجراحة وإن لم يستطع ذلك فهو كطائر كسر أحد جناحيه ولعل هذا هو الباعث على تفصيل شؤون الجراحة وقضاياها في كتابه هذا".

وفيما يلي عرض مفصل لهذا الكتاب القيم:

هذا أحد أمهات الكتب في طب أيورويدا ولو أن هذا الكتاب يبحث عن كافة أصول الطب وقضاياه مثل وجهات النظر العديدة وأصول المعالجة والمداواة واختلاف الأدوية ولكنها موجودة في كتاب "تشارك سمهتا" للطبيب الشهير "تشارك" وأما ميزة هذا الكتاب فهي قضايا علم الجراحة التي تناولها المؤلف بشيء من التفصيل والتطويل.

فالمستوى الذي اختاره سوشوراتا في هذا الكتاب القيم يفقد نظيره لدى غيره من الأطباء المؤلفين فيجدر بنا أن نعرض ذاك الجزء بشيء من التفصيل كذلك.

سوشوراتا سمهتا وعلم الجراحة

وضع المؤلف باباً في هذا الكتاب القيم بـ"شاليا تانتارا" (Shalya Tantara) وهذا يعني "الجراحة" (Surgery). هذا الباب يحتوي على خمسة فصول تالية:

١. سوترا استهانا (Sutra Sthana)

٢. ندانا استهانا (Nidana Sthana)

٣. سريرا استهانا (Sarira Sthana)

٤. تشتيكسا استهانا (Chititksa Sthana)

٥. كالبااستهانا (Kalpa Sthana)

وما جاء من ذكر الجراحة وشؤونها وقضاياها نذكره فيما يلي:

ولا يمكن لنا – كما هو المعلوم – أن نجري عمل الجراحة بدون آلاتها وأسبابها ونظراً لذلك فقد تمَّ تصنيع عديد من آلات الجراحة وأسبابها، يزهو عددها على المائة. تنقسم هذه الآلات في زمرات تالية:

١. سوفا ستيكا Suvastika
٢. ساندانشا Sandansha
٣. تالا يانترا Tala Yantra
٤. نادي يانترا Nadi Yantara
٥. شالا كاس Shalakas
٦. أوبا يانترا Upa Yantra

وتفصيل هذه الزمر فيما يلي:

١. سوفاستيكا Suvastika

هو فوريسب منحرف وينقسم في ستة وستين قسماً.

٢ – ساندانشا Sandansha

هي آلة من آلات الجراحة تستخدم للإنسان. لها نوعان.

٣- تالا يانترا Tala Yantra

هي تنقسم في قسمين.

٤- نادي يانترا Nadi Yantra

هي تشبه الأنبوب. لها عشرون قسماً.

٥- شالا كاس Shalakas

هي تشبه فروع الشجرة. لها ثمانية عشرون قسماً.

٦ – أوبا يانترا Upa Yantra

هي تصنع من الحديد. لها خمسة أنواع تنقسم في عشرين قسما. هي تشبه الطيور.

عمليات جراحية لهذا الكتاب القيم

والعمليات الجراحية التي أجريت في عصره وبأعينه هي:

١. بيديان (Bhedyan) وهي تعني إستيصال.

٢. ليكيان (Lekhyan) وهي تعني شطب الجلد.

٣. فيدانان (Vyadhanan) وهي تعني شق.

٤. أشاريان (Asharyan) وهي تعني نزع.

٥. سار فيان (Saravyan) وهي تعني إفراز.

٦. سيفيان (Seevyan)

هذه العمليات الجراحية يوجد ذكرها لدى سوشوراتا بمختلف الأسماء في مختلف الأماكن وأما فوائدها ومنافعها فهي تأتي فيما يلي:

١. بيديان (Bedyan) استيصال.

هذه الطريقة تستخدم في قطع أمراض الاعضاء التالية:

الورم العام

- مرض الغدد الثديية
- مرض البثرة
- مرض عوق النمو الطبيعي وشبه العوق

٢. ليكيان (Lekhyan) شطب الجلد:

هي تكون لشطب الجلود وتفيد في نزع الشحم الذي ينقسم في ثلاثة :

١. روهيني (Rohini)
٢. كيلاسا (Kilasa)
٣. أوباجيهانا (Upajihana)

٣. فيدانان (Vyadhanan) الشق:

هي تكون لشق الجلود وعملية الجراحة. إنها تتعلق بالوريد و تكون في الآتي:

١– استسقاء جوفي

٢- مرض الأدرة

٣- مرض الجيب

٤- القرحة

٤- أشاريان (Asharyan) نزع:

هي تعني نزع الشيء وإخراجه والحاصل من ذلك إخراج ما فسد من الأعضاء البدنية والمواد الموجودة مثل إخراج المادة الفاسدة من بين السنين وكذلك إخراج المادة الفاسدة من الأذن ونزع الحجرة من الرئة وهلم جرا.

٥- سارفيان (Sarvyan) إفراز:

هو نوع من امتحان الرطوبة التي توجد في الأمراض التالية:

- خروج الرطوبة من العضو المتأثر من الجسد.
- تأثر العضو لمرض أو جرب وبذلك يتأثر العضو المهاجم عليه.

- سمية الدماء
- فيال
- حمرة

وغيرها من الأمراض الطارئة على أعضاء جسد الإنسان.

٦- سيفيان (Seevyan) تقطر الدم :

هي طريقة يتم استخدامها في القرحة الخارجية

الأشياء المهمة المذكورة عن الجراحة

خيوط جراحية (Ligature and suture)

يأتي ذكر خيوط جراحية عديدة لخيط القروح والجروح التي تقع بسبب مختلف الأحداث والضروب وهذه الخيوط منها نباتية ومنها حيوانية تصنع من هذه الأشياء الحية والميتة ونذكر على سبيل المثال أعصاب نبات القنب.

ترقيع الجلود (Skin-grafting)

ترقيع الجلود يعتبر أحدث معجزات فن الجراحة ولكن من العجيب جداً أنه موجود في كتاب سوشوراتا فهو يذكر ترقيع الأذن المقطوعة والأنف الناقص والشفة المقطوعة.

حجر المثانة (Cystic Calculus)

لـه ذكـر مفصـل فـي هذا الكتاب القيم فيوجد فيه أنـواع هذا المرض وطرق جراحتها.

الفتق (Hernia)

وكذلك يوجد ذكر مفصل للفتق وأنواعه وطرق جراحته.

نزول الماء (Cataract)

ذكـر سوشـوراتا هـذا المـرض بشـيء مـن التفصـيل وطـريقة جراحته بواسطة العدسة (Lens).

قطع العضو (Amputation)

قطـع العضـو المسـموم والفاسـد مـن جسد البشر عملٌ عام في هذا المجال.

التوليد بالجراحة (Casarean Section)

وهكذا جاء ذكر مفصل لطريقة شق البطن ونزع الطفل منه.

مارما (Marma)

هـي فكـرة عجيبة من الطب الهندي. ذكر فيها المؤلـف بعض الأعضاء التي يصيبها المرض القاتل لأجل الضرب أو الجرح.

وهذا وقد ثبت من البحث السابق الموجز أن سوشوراتا يجدر بأن يُسمَّى "أبو الجراحة الهندية" وهو الذي ملأ الطب الهندي بذخائر أفكاره القيمة وتجاربه الرائعة المفيدة للبشر.

المراجع والمصادر:

١. الحكيم أشهر قدير: تاريخ الطب وأخلاقه (الإنجليزية)
٢. ك.ك. بيشا غارانت: ترجمة انجليزية لسوشوراتا سمهتا
٣. حسان النغرامي: تاريخ الطب (الأردية)
٤. عبد اللطيف الفلسفي: مساهمة الهندوس في طبنا
٥. الحكيم غلام الجيلاني: تاريخ الأطباء
٦. ب.ك. كرومبهار: تاريخ الطب (الإنجليزية)
٧. تكملة ويديك



شمال شرق الهند: منطقة ثقافية متنوعة موغلة في القدم

- د. أشفاق أحمد *

شمال شرق الهند تتضمن سبع ولايات هندية وهي آسام (Assam) وأروناتشال براديش(Arunachal Pradesh) ومانيبور (Manipur) وميغالايا (Meghalaya) وميزاروم (Mizarom) وناغالاند (Nagaland) وتريبورا(Tripura). وهي منطقة ذات مساحة شاسعة وذات أهمية تاريخية واستراتيجية، فتحتضنت شعوبا وقبائل مختلف الأعراق والثقافات والحضارات والديانات واللغات والآداب والعادات والتقاليد، كما تزخر بمختلف المصادر الطبيعية والمناظر البهيجة، وتتنوع فيها حيوانات وطيور ومعادن. تمتاز هذه المنطقة بتنوّعها الثقافي والحضاري من سائر الهند من حيث يمكن أن يسمّى "الهند المصغّرة"، وطوبوغرافيتها وعواملها التاريخية لم تجعلها ممتازة

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آسام، سليتشار (آسام).

بالعناصر المتغايرة فحسب بل أصبحت سببا لمنع ظهور الثقافة المتجانسة.

إن القبائل والشعوب المختلفة التي لا تزال تسكن هذه المنطقة، وخاصة المناطق الهضبية، منذ عهد قديم، كانت قد تعوّدت على نظام الحكم الذاتي، كما كان لها شعور قوي وشكوك متزايدة ضدّ السكان المهاجرين من أصقاع الهند المختلفة، وظلت القبائل تخاف من أن تفقد هويتها الثقافية واللغوية من جرّاء الثقافات واللغات الداخلية. ازدادت هذه الشكوك وتفاقمت الشبهات ضد الأجانب من أجل محاولات الإرساليات التبشيرية في تنصير القبائل جميعا منذ العهد الإنجليزي.

ورغم المصادر الطبيعية الغنية والأهمية الاستراتيجية السياسية لا تزال شمال شرق الهند أكثر تخلفا في كل المجالات الاقتصادية والعلمية والتعليمية والتجارية والاجتماعية. والأسباب الرئيسية لهذا التخلف هي عدم توافر تسهيلات النقل والمواصلات وفعالية الحركات المتمردة وأنشطة المجموعات الانفصالية.

ونظرا للأهمية التاريخية والثقافية والاستراتيجية والسياحية أردنا القيام بتعريف شمال شرق الهند بالقرّاء العرب، وقد يستطيع المقال أن يلفت انتباه العرب إلى هذه المنطقة التي لا تزال مجهولة عن العالم العربي.

(١). أرونانتشـال بـراديش: عاصـمتها: إيـتانجار، مسـاحتها: ٣١٤٣٩ مــيلا مــربعا. عــدد ســكانها: ٦٨٨٠٥٠ نســمة حســب إحصاءات ١٩٨١م.

هي ولايـة فـي أقصـى شمال شرق الهند تقع في حدود الهند مـع مايانمـار والصين. تستوطن هذه الولايـة الهندية عدد من القبائل وأشــهرها "آبـور" و"آكــار" و"بوتــيار" و"دافـالا"، و"كاميتــي"، و"مـيري" و"ميشـمي"، و"سـنغبو" وكـل.القـبائل تمـتاز باللهجـات والعـادات والتقالـيد والقوانيـن والـنظام السياسـي الخـاص لهـا. يتديـن عـدد مـن القـبائل بديانــة بوذيـة أو هندوسـية بيـنما يتديـن عـدد آخـر بديانـات قبائلـية محلـية. وكانـت مـن مميزات هـذه الولايـة السياسـية سيادة رئيس كل قبيلة علـى منطقته أو قريته. ولـم تقبل القبائل أبدا الحكم الخارجي، إلا فـي العهد الإنجليزي وذلك عندما احتلها الحكام الإنجلـيز فــي عـام ١٨٣٨م بـزعمهم أنهـا جـزء لولايـة آسـام. وبعـد استقلال الهند في عام ١٩٤٨م أصبحت المنطقة ولاية هندية مستقلة.

بـدأت عجلـة التنمية تدفـع فـي الولايـة منذ ١٩٥٠م وذلك عند مــا اتخـذت الحكومــة الهـندية إجـراءات وقامـت بخطـوات عديـدة لـتطويرها وترقيـتها. ففــي مجــال التعلـيم والصــحة، مـثلا، قامـت الحكومـة بتأسيس عدد مـن المدارس والمستشفيات. فكانـت فـي عام ١٩٤٨م أربـع مـدارس ابتدائـية فحسـب والآن قـد بلـغ عـدد المـدارس الابتدائـية والـثانوية إلـى عشـرات إلى جانب عدد ملحوظ من الكليات والجامعات ومراكز التعليم المهنية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإرساليات التبشرية بدأت تكثف جهودها منذ منتصف القرن العشرين لتغيير المنطقة بأسرها إلى منطقة سيخية، من حيث أنه لم يكن يوجد أي مسيحي في الولاية في عام ١٩٥٠م ولكن بلغ عدد المسيحيين إلى ٢٥٩٣ بحلول عام ١٩٧١م. ونظرا لذلك أخذ السكان القبانليون يحسون بأن دياناتهم وثقافاتهم قد أصبحت عرضة للخطر وبدأوا يبذلون أقصى جهدهم ضد تغيير الديانة وتكللت جهودهم بالنجاح إلى حد كبير عندما أصدرت الحكومة الهندية قانوناً في عام ١٩٧٨م يمنع تغيير الديانة بالقوة أو التزوير أو بتقديم معونة مالية.

(٢) مانيبور: عاصمتها : إمفال: مساحتها ٨٦٢٨ ميلا مربعا: عدد سكانها: ١٤١١٣٧٥ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. تحدها مايانمار من الشرق وميزورام من الجنوب وآسام من الغرب وناغالاند من الشمال. حوالي ثلثين من السكان هم من قبيلة "الميثي" (Meithei) والباقي من قبيلتي "الكوكي" و"الناغا". يسكن الميثيون في وادي مانيبور ويتدينون بديانة هندوسية بينما تسكن القبيلتان الكوكي والناغا في المناطق الهضبية وتتديان بديانات قبانلية مختلفة.

ظل تاريخ مانيبور مجهولا عن العالم حتى تأسست هناك حكومة محلية في عام ١٧٦٢م، إلا أن المايانماريين أخذوا يسيطرون على مانيبور في حين لآخر حتى احلتها الإنجليز في عام ١٨٢٦م، إن المانيبوريين لم يقبلوا الحكم الإنجليزي أيضا وظلوا

يقومون بالثورات ضد الحكومـة الأجنبية طوال عهدها حتى نالت الهند استقلالها فـي عـام ١٩٤٧ م وأصبحت مانيبور ولايـة هندية مستقلة في عام ١٩٧٢م.

وصلت الهندوسية إلى مانيبور بمحاولة أحد رجال الديانة الهندوسية "شانتي داس غوسوامي" الذي قدم إلى هذه المنطقة من ولاية بنغال قبل حوالي قرنين وبذل جهده المستطاع لنشر الثقافة الهندوسية، وتكلل جهده بالنجاح عندما اعتنق حاكم المنطقة الديانة الهندوسية وأجبر رعيته أيضا على اعتناق الهندوسية. وبذلك بدأت الثقافة الهندوسية في مانيبور وتركت بصمات عميقة وتأثيرا كبيرا في كل النواحي الاجتماعية المانيبورية. فالرقص والموسيقى، على سبيل المثال، بدأ تطورهما في مانيبور مستمدا مواضيعهما من أحد الآلهة الهندوس "كريشنا" واشتهر الرقص المانيبوري كأحد أنواع الرقص الأربعة الكلاسيكية الهندية. وقد روّجه طاغور في سائر الهند.

قضية اللغة:

إن اللغة الرائجة في الولاية هي "ميتي لون" (Meitcilon) ولكن رغم رواجها السائد لم يعتر فربها الدستور الهندي في بداية الأمر بدعوى أنها لا ينطق بها إلا عدد قليل من الناس، ففي عام ١٩٥٨ م صرح رئيس الوزراء الهندي الأول جواهر لال نهرو بأن

اللغة المانيبورية لا تستحق أن يعترف بها الدستور وذلك أثار ضجة كبرى في المجتمع المانيبوري وبدأ الاستياء العام ضد الحكومة الهندية، إدعى المانيبوريون أن لغتهم تنطق في منطقة واسعة تشمل كاتشار وتريبورا وأوترابراديش وبنغال الغربية ومانيبور إلى جانب ميانمار وبنغلاديش. كما ادعوا بأن الذين ينطقون بهذه اللغة في الهند فيبلغ عددهم حوالي مليون نسمة وفي الخارج حوالي نصف مليون نسمة. ورغم أنه لا توجد في الهند قرية تنطق باللغة السندية ولا يزيد عدد سكانها على مليون نسمة، أدخلت اللغة السندية في قائمة الدستور الثامنة، وصرحوا أيضا بأن اللغة المانيبورية لها خط مستقل بذاته منذ حوالي مائة عام، وقد أصبح الأدب المانيبوري غنياً من حيث استطاع أن يحتل مكانة سامية، ونظرا لحركة المانيبوريين المتواصلة في صالح لغتهم قامت الحكومة الهندية بإدخال اللغة المانيبورية في قائمة الدستور الثامنة في أواخر القرن العشرين.

ومن اللافت للنظر أن جماعة في مانيبور تريد استبدال الخط البنغالي الرائج بالخط المانيبوري المعروف بـ"ميتي ماياك" (Meitei Mayek) وللحصول على هذا الهدف تقوم الجماعة بأعمال العنف في حين لآخر حتى قامت بإحراق أقدم مكتبة وأكبرها في إمفال في الآونة الأخيرة والذي يعتبر خسارة علمية ثقافية كبرى.

إن أوضاع وسائل النقل والمواصلات في الولاية سيئة للغاية من حيث أصبحت من العقبات الرئيسية في طريق تنميتها وتطورها

إلى جانب التمرد والحركة الانفصالية، لا توجد في الولاية صناعات كبرى، وأحوال الكهرباء أيضا سيئة، والتجارة والمقاولات الرئيسية كلها في أيدي الراجستانيين والبنجابيين، ومعظم المسؤولين والبيروقراطيين الكبار هم غير المانيبوريين وذلك رغم تواجد المتعلمين في الولاية في عدد ملحوظ. وحسب بعض الإحصاءات يسكن في الولاية حوالي ثلاثمائة ألف أجنبي الذين إنسلوا إليها قادمين من بنغلاديش ونيبال وماياندمار.

وفيما يتعلق بمجال التعليم فقد تحسنت أوضاعه إلى حد كبير، وذلك من أجل الجهود المستمرة من جانب الحكومة الهندية، كانت ١٢ مدرسة ثانوية وكلية واحدة في الولاية في عام ١٩٥١م، وازداد عددها الآن ليبلغ ٢٥ كلية و٣٢ مدرسة للتعليم المهني إلى جانب مئات من المدارس الابتدائية والثانوية وجامعة مركزية.

(٣) ميغالايا: ولاية ميغالايا (بيت الأمطار) تقع على نجاد جبلية حيث تتوافر مناظر بهيجة للغاية، تحيط بها بنغلاديش من الجنوب وولاية آسام الهندية من الشمال والشرق. مساحتها ٨٦٦٦ ميلا مربعا وعدد سكانها ١٣٢٨٣٤٣ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. استقلت ميغالايا كولاية من آسام في عام ١٩٧٢م واتخذت مدينة شيلونغ كعاصمة لها.

معظم سكان الولاية هم القبانليون الذين لا يزالون يسكنون هناك من قبل قدوم الآرايين إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل

الميلاد، وعددهم الأكبر ينتمي إلى قبيلتين هما الغار والخاصي أولاهما التبتية البورمية أصلا وأخراهما مون – كومار (Mon-Khomers). تتعدد لغات التكلم ولهجاتها في الولاية ولكن أشهرها هي "الخاصي" والغار" و"سينتانغ" "وجانتيا" و"هايجونغ". إن ميغالايا غنية بالثقافة القبائلية والفولكلورية، ومن ميزات الولاية هي أنها المجتمع الأموي.

مدينة شيلونغ ظلت عاصمة ولاية آسام من ١٨٧٤م إلى ١٩٧٢م، وأصبحت منذ مدة طويلة من أشهر المحطات الهضبية الهندية حيث تتوافر المتنزهات السياحية والتسهيلات التعليمية والتجارية وبصفتها مركز الإدارة الحكومية ومقر القوات المسلحة. وقدم إلى شيلونغ عدد كبير من الناس من الأصقاع المختلفة للهند وظل يزداد عدد المهاجرين حتى أصبحوا أغلبية في كلتا المدينتين شيلونغ وثورا. ورغم أن معظم سكان هاتين المدينتين اعتنقوا النصرانية ويفضلون الموسيقى الغربية واللباس الغربي وأخذوا "روم" (Rom) كالخط أنهم يحسون بأن تراثهم الثقافي القبائلي في خطر والأجانب يستغلونهم من نواح مختلفة.

(٤). ميزورام: عاصمتها: أيزول. مساحتها: ٨١٣٤ ميلا مربعا. وعدد سكانها: ٤٨٧٧٧٤ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م. استقلت ميزورام كولاية من آسام في عام ١٩٧٤م. إن شعوب وقبائل ميزورام تنتشر في أشتات الدول والمناطق الهندية، يسكن

الـبعض (حوالـــي ٤٠٠٠٠) فـــي مايانمـــار والـــبعض الآخـــر فـــي بـنغلاديش، بينما يسكن عدد كبير في ولايتي مانيبور وتريبورا الهنديتين. تحيط بالولاية مايانمار وبنغلاديش.

إن شعب ميزو هم منغوليو الأصل، هاجروا من مايانمار في أواخر القرن الثامن عشر. والأغلبية الساحقة من السكان هناك هم القبائليون، أشهرها اللوشى وتشكما واللوكار والكوكي والريانغ والباوي والهومار، كانوا يتدينون بديانات قبائلية مختلفة. ولكن منذ العهد الإنجليزي بدأت الإرساليات التبشيرية المسيحية تبذل قصارى جهدها لتنصير المنطقة بأسرها، وقد نجحت بالفعل من حيث اعتنق أكثرهم الديانة المسيحية.

بيد أن بفضل المسحيين بدأ التعليم في المنطقة لأول مرة في التاريخ، وذلك منذ عام ١٨٩٤م. انتشر التعليم بسرعة من حيث أصبح حوالي ٦٠% من المواطنين متعلمين بحلول عام ١٩٨١م. وقد بلغ عدد المتعلمين اليوم أكثر من ٩٠%.

وفيما يتعلق بالسياسة فكانت كل قرية مستقلة بذاتها يرأسها "لال" (الرئيس). وكان "لال" يستشير ويأخذ مساعدة كبار القرية (Upas) في الأمور الإدارية. وكان "لال" يستشير الشباب(Tlangwags) أيضا، وهم كانوا يشتغلون بزراعة النقل.

إن الحكومة البريطانية قامت بإدارة هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدأت تحصل الضرائب منذ عام ٩٢-١٨٩١م،

وأعطت كل رئيس القرية منطقة خاصة ليقوم هو ورعيته بزراعة النقل(Jhum). وحسب التقاليد الرائجة كان يتم تقسيم المنطقة بين أبناء الرئيس بعد موته. ولكن الحكومة الإنجليزية قضت على هذه التقاليد وأصدرت القانون الجديد. وحسب هذا القانون لا تقسم المنطقة بين أبناء الرئيس بل يصبح ابنه الأكبر رئيس المنطقة. هذا وقد قامت الحكومة بتشكيل المجلس للرؤساء يتضمن ٢٢ رئيسا. ورغم أن ميزورام ما زالت جزء الولاية آسام حتى عام ١٩٧٤م، كانت تعتبر ولاية مستقلة في الشؤون الإدارية.

والجدير بالذكر أن جماعة في ميزورام بدأت منذ بضعة أعوام تدعي بأنها طائفة يهودية ضالة وصلت إلى المنطقة قبل قرون وأقامت بأيزول وضواحيها. وقد قام وفد بزيارة "تل أبيب" لتقديم دعواهم أمام المسؤولين الإسرائيليين لتعترف بها إسرائيل كإحدى الطوائف اليهودية الضالة.

(٥). ناغالاند: عاصمتها: كوهيما. مساحتها: ١٦٤٨٨ ميلا مربعا. عدد سكانها: ٧٧٣٢٨١ نسمة حسب إحصاءات ١٩٨١م.

استقلت ناغالاند كولاية من آسام في عام ١٩٦٣م. تحدها مايانمار من الشرق وآسام من الغرب وأروناتشال براديش من الشمال ومانيبور من الجنوب. تسكن فيها ١٤ قبيلة مختلفة وهي:

"أنغامى" و"آو" و"تشاكيسانغ" و"تشانغ" و"كونياك" و"لوثا" و"ماؤ" و"فام" و"رينغما" و"سانغتام" و"سيما" و"تانكول" و"ياماتشونغار"، و"زيلانغ"، وكلها تعرف بـ"ناغا".

يعتقد بوصف الناس أن هذه القبائل سميت "الناغا" لأن الناغالانديين كانوا يعبدون "الناغ" (الحية)، أحد آلهة الهندوس الشهيرة، في الزمن القديم.

إن العلاقات بين الناغالانديين ومملكة آهوم (آسام) التي تأسست في القرن الثالث عشر واستمرت حتى الاحتلال الإنجليزي، ظلت ودية في معظم الأحايين، وذلك لأن الغابات الكثيفة والشعاب والمناطق المرتفعة لم تشجع ملوك آسام أبدأ علىالقيام باحتلال ناغالاند. والشواهد التاريخية والاجتماعية تشير إلى وجود علاقات الزواج بين الشعبيين الأسامي والناغالاندي. والفولكلور الذي يتعلق بالرومانس الذي جرى بين أحد أمراء آسام الشارد "غادباني" وإحدى البنات الناغالانديات "داليمى" يحتل مكانة مرموقة في الأدب الأسامي والأغنية الأسامية.

سكان ناغالاند يسكنون في القرى المحصونة وذلك ربما للصيانة من عملية احتزاز رؤوس الأعداء. وحسب التقاليد لن يكون شخص مؤهلا للزواج حتى أن يقوم باحتزاز بعض رؤوس الأعداء. وكان هذا التقليد أحيانا يقود القبائل إلى المشاجرة والمحاربة ولحسن الحظ قد توقف هذا التقليد الوحشي منذ زمان.

إن الناغالانديين أناس أحرار طبيعيا، يهتمون كثيرا باليمين. ورثة قبيلتي "كونياك" و"سيما" يحتلون مكانة إقطاعية. ومجالس

القرى في قبيلتي "أو" و"تانكول" تتمتع بالنفوذ الحقيقي في شؤون الحياة السياسية والاجتماعية،بينما لا يزال النظام الإداري الديموقراطي يستمر في قبائل "الأنغامي" و"تشاكيسانغ" و"ماو" و"رينغما". وقبيلة "سيما" اشتهر في صناعة الملح والتجارة.

كل قبيلة لها لغة أو لهجة محلية خاصة، وجميع اللهجات متفرعة من أسرة اللغات التبتية- البورمية إلا أن القبائل الناغالاندية تستخدم اللغة الأسامية للتكلم والتحدث وتسمي لهجاتها المخلوطة " باللغة الناغامية"، بينما تستخدم الإنجليزية كلغة رسمية.

وفي مجال الديانة ظلت القبائل تتدين بمختلف الديانات المحلية منذ قرون. ولكن الحال بدأت تتغير منذ أوائل القرن العشرين بسرعة. فالقبائليون يعتنقون المسيحية بعدد كبير على أيدي المبشرين الذين يستخدمون طرفا شتى لهذا الهدف. فحسب إحصاءات ١٩٠١م كانت نسبة المسيحيين في ناغالاند ٤% فقط ولكن بحلول عام ١٩٧١م بلغت نسبتهم ٥٧%.

(٦). تريبورا: تمتد ولاية تريبورا على ٤١١٦ ميلا مربعا، وكان عدد سكانها ٢٠٤٧٣٥١ نسمة في عام ١٩٨١م. وعاصمتها: أغارتالا.

تقع بنغلاديش في جوانبها الثلاثة بينما تحيط بها .آسام وميزورام من الجانب الشرقي. تغطي الهضبات حوالي ند أراضي الولاية وحوالي ٦٠% من الأراضي قد غطتها الغابات.

استمرت مملكة تريبورا القديمة لأكثر من ألف عام، ثم احتلتها الامبراطورية المغولية في القرن الثامن عشر والحكومة البريطانية في القرن التاسع عشر. تسكن في تريبورا الجديدة ١٩ قبيلة مختلفة. وهي "تشاكما" و"تشين" و"هالام" و"هيل تيرا"، و"جماتيا" و"كوكي" و"لوشائي" و"مراة" و"رينغ" و"تريبوري" إلى جانب تسع قبائل أخرى.

تعتبر قبيلتا رينغ وتريبوري أكبرا القبائل عددا وأقدمها عهدا. وفيما يتعلق بالقبائل الأخرى فإنها هاجرت إلى الولاية من مايانمار قبل قرون، وأكثرها تتمتع بنفس المميزات العرقية والثقافية والاجتماعية، وتقوم بزراعة النقل(Jhum).

كانت القبائل في قديم الزمان تعبد عناصر الطبيعة المختلفة، ولكن منذ القرن الثالث عشر بدأت تتأثر بالديانة الهندوسية، وذلك عند ما قام أحد ملوك تريبورا بتوطين حوالي عشرة آلاف من البنغاليين الهندوس في مملكته في أواخر القرن الثالث عشر. وفي القرن الخامس عشر قام ملك آخر بتغيير ديانة رعيته إلى الهندوسية، كما جعل اللغة البنجالية لغة رسمية. ورغم هذه المحاولات كلها لا تزال بعض الديانات القبائلية التقليدية مستمرة في الولاية. ومن القضايا المثيرة في الولاية هي شلل ومهاجرة عدد كبير من مواطني بنغلاديش إلى الولاية، فقد ازداد عدد سكان الولاية من ٦٤٦٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٧م كانت نسبة السكان

القبائليين ٩٣%، ولكن بحلول عام ١٩٨٠م انكمش عددهم إلى ٢٨,٥%. وقد بلغ عدد السكان الأجانب اليوم أكثر من مليون نسمة.

تتخلف ولاية تريبورا في مجالات النقل والمواصلات وتطوير الصناعات والزراعة والتعليم والخدمات الاجتماعية وتوليد الكهرباء. ولكن الأوضاع بدأت تتحسن حاليا وذلك أساسا بجهود الحكومة الهندية التي تقدم مساعدتها المالية والإدارية إلى حكومة الولاية. ففي مجال التعليم قامت "أغارتالا" بمساعدة الحكومة الهندية بتأسيس عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية إلى جانب العديد من الكليات والجامعات.

(٧) آسام: هي أكبر ولاية في شمال شرق الهند حجما وثقافة. فإنها غنية بالموارد الطبيعية ولا تكاد تضارعها ولاية هندية أخرى فيما يتعلق بالمناظر الطبيعية والغناء الثقافي والثروة الإنسانية. تستوطنها السلالات الاسترالية والمنغولية والدارفيدية والآرية من عهد عتيق. إن آسام، كما يرى البعض، كلمة سنسكريتية (Asoma) معناها الفريد.

أقدم الشواهد الابيغرافية التي تشير إلى وجود مملكة كامبروب(Comrupa) هو عمود إله آباد التذكاري المنقوش الذي أقامه الإمبراطور سامودرا غوبتا"، ومن الملاحظ هنا أن آسام لم تكن أبدا جزءا لأمبراطورية غوبتا، إن إقامة مملكة أهوم في عام ١٢٢٨م، والتي استمرت لحوالي ستة قرون، أصبحت نقطة تحول في تاريخ

أسام، ظلت آسام لبعض الوقت تحت الاحتلال المايانماري ثم حكمت عليها الحكومـة البريطانية منذ عـام ١٨٢٦م إلـى استقلال الهند في عام ١٩٤٧م.

تحـيط الصـين ومايانمـار وبوتـان وبـنغلاديش بأسـام مـن الخـارج بينما تحيط من الداخل ولاية أورنـاتشـال براديش من الشمال ومانيـبور، وناغـالاند وأروناتشـال بـراديش مـن الشـرق وميـنغالايا وتريبورا وميزورام من الجنوب.

آسـام هـي ولايـة زراعـية والـزراعة لهـا دور رئيسـي فـي التنمية الاقتصـادية للولايـة. إن الغلة الغذائية الرئيسية هنا هي الأرز وأمـا المحصـولات الـنقدية فهـي الجوتـة والشـائي والقطـن وبـزور الزيت وقصب السكر والبطاطة. وأهم المواد البستنة هي البرتقال والليمون والموز والأنـناس وجـوز الهند والغوافـة والمـانجو، وأهم الصـناعة الزراعية هي الشاي وتشتهر الولاية أيضا بصناعة الكوخ والحرير. وتجدر الإشـارة هنا إلى أنه يوجد في آسام قسم خاص من الحرير يسمى "موغـا" (Moga) وهـذا الحريـر وحـيد مـن نوعـه فـي العالم.

احتفالات:

يحـتفل الأسـاميون بأعـياد مخـتلفة فـي مناسـبات شـتى وأمـا "بيهو" (Bihu) فيعتبر أهم الاحـتفالات قاطـبة، يحتفل بـه المواطـنون فـي ثـلاث مناسبات (١) رنغانـي أو بومـاغ ببـيهو: تـبدأ بـه مواسـم

الزراعة، كما يبدأ به عام آسام الجديد (٢) "بهو غالي" أو "ماغ بيهو": وهو الاحتفال يبدأ بمواسم الحصاد. (٣) و"كانتي" أو "كانغالي بيهو": وهو الاحتفال البسيط في مواسم الخريف وإلى جانب ذلك يحتفل في الأرجاء المختلفة لآسام بعدد كبير من الأعياد المتعلقة بالديانات القبائلية والهندوسية والإسلامية والمسيحية.

مراكز السياحة:

المتنزهات السياحية كثيرة في ولاية آسام، وهي تلتفت انتباه عدد كبير من السياح الهنود كما تستطيع أن تجتذب اهتمام السياح الأجانب إن تحسنت الأوضاع السياسية والأمنية، وقد نالت الولاية صيتا ذاعا في العالم لبعض المحميات والمعادن والصناعة الزراعية.

أهم مراكز السياحة تقع في غوهاتي وضواحيها ومنها: معابد كاماكيا وأومانآندا (جزيرة الطاؤس)، وناوغارها (المعبد ذو سبعة كواكب) وباسيستا أشرام، دولغو بيندا، وغاندي مانداب، وحديقة الحيوانات والمتحف القومي، ومعبد سوكرايسوار وغيتا مانديرر (معبد غيتا)، ومادان كامديف، اشتهرت آسام كذلك بالمحمية القومية في قاضي رانغا وذلك خصوصا لوجود كركدن "ذي قرن واحد" ويوجد أيضا عدد آخر من الأماكن السياحية كمحميات ماناس (مشروع الأسد) وبوبي تورا وأورانغ، بالإضافة إلى شيبا ساغار

(معبد شيفا)، ومدينة تيزبور التي اشتهرت بالمعابد الهندوسية والمناظر الطبيعية البهيجة، ومدينة هاف لانغ (وهي المنتجع الصحي مع هضبات جاتينغا)، وماجولي (أكبر جزيرة النهر في العالم)، وبحيرة تشاوندي (إحدى المتنزهات السياحية الكبرى)، وهاجو (اشتهرت كمركز الديانات البوذية والهندوسية والإسلام) وسوال كوتشي التي اشتهرت لصناعة الحرير.

الإسلام في آسام:

بدأت مهاجرة المسلمين إلى آسام منذ أوائل القرن الثالث عشر (١٢٠٢) كالغزاة، وذلك عندما قام محمد بن بختيار الخلجي (اختيار الدين بختيار)، حاكم بيهار حينذاك، بغزو ناديا، عاصمة البنغال، وهزم حاكمها لاكشمان سين، وأسس حكومة إسلامية في لاكناواتي وهي مدينة تاريخية قديمة في بنغال، كانت في تلك الأيام تحيطها من الشرق بورنيا وديف كوت ورانغبور، ومن الشرق – الجنوب نهرا تيستا وكاراثوريار، ومن الجنوب نهر غنغا ومن الغرب كوسي.

والجدير بالملاحظة هناك أن آسام تشتمل على واديين "براهما بوترا" "وباراك" (قبل استقلال الهند كان يعرف وادي باراك بوادي سورما). معظم سكان براهما بوترا يتكلمون باللغة الاسامية بينما يتكلم سكان وادي باراك باللغة البنجالية.

بدأت هجرة المسلمين إلى وادي براهما بوترا منذ أوائل القرن الثالث عشر، بينما بدأ توافدهم إلى وادي سورما منذ غزو شاه جلال وسكندر خان غازي لمملكة سيلمات في عام ١٣٨٤م.

وبعد غزو محمد بن بختيار الخلجي لوادي براهما بوترا، توالت غزوات المسلمين الأخرى هناك في فترات مختلفة، أخذ الجنود المسلمون يستوطنون هذه المنطقة منذ القرن الثالث عشر، كما تزوجوا من النساء المحليات. وحسب الشواهد التاريخية الموثوق بها أسست أول جالية إسلامية في "هاجو" في مقاطعة كامبروب الحالية وذلك عقب الاحتلال الإسلامي الذي قام به علاء الدين حسين شاه في عام ١٤٩٨م، وبنى هناك غياث الدين أولياء أول مسجد. ومع مضي الوقت ظل يزداد عدد المسلمين هناك بشكل تدريجي، فقد دخل عدد ملحوظ من الناس في الإسلام كما هاجر المسلمون إليها من بنغال الشرقية (بنغلاديش حاليا) والمناطق المجاورة الأخرى كولايتي بيهار وأوترابراديش.

ومن اللافت للنظر هناك أن المسلمين الذين قدموا من "غور"، عاصمة البنغال القديمة، يدعون غاريا (Garia)، وهم يتثقفون ثقافة أسامية، وبعض المسلمين يسمون "ماريا" (Maria)، لأنهم كما يعتقد بعض المؤرخين، من سلالة الأسرى المسلمين الذين حاربوا ملك أسام في عام ١٥٣٢ م بقيادة جنرال أفغاني "توربك" وهزموا في الساحة الحربية فقبض عليهم الأعداء وألقوهم في السجن وبعد

إطـلاق سـراحهم أخـذوا يسـتوطنون وادي بـراهما بوتـرا وتـزوجوا النسـاء المحلـيات، وممـا يجـب الإشـارة إلـيه أن هـولاء الماريـين يعتبرون طائفة مسلمة وضيعة وحقيرة في المرتبة، وهناك طائفة ثالثة من المسلمين يسمون "سيد" وهم من نسل أحد كبار الصوفية الذي اشتهر بين الناس باسم "آذان فقير" والذي أقام بأسام قادما من بغداد، وكـان آذان فقير يزعم أن ينتمي إلى سلالة النبي الخاتم محمد بن عبد الله مباشرة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأغلبية السـاحقة من المسلمين الأساميين هم المحليون قد دخل آباؤهم وأجدادهم فـي الإسلام قبل قـرون أو المهاجـرون أقـاموا بالمـنطقة بشـكل مسـتدام، وتـزوجوا بالنساء المحليات.

وفـيما يـتعلق بـوادي بـاراك فبدأ قـدوم المسـلمين إلـيه بغـزو سكندر خان غازي وشاه جلال مجرد لمملكة سليهات (في بنغلاديش حاليا) فـي القـرن الـرابع عشر، وللصـوفي شـاه جـلال مجـرد الـذي هاجر من اليمن إلـى دلهـي ثم صـاحب سكندر غازي إلى سيلهات، مساهمة كبيرة جدا فـي نشـر الإسـلام وتعاليمه في وادي سورما بما فيه مقاطعـات كـريم غنج وهـائلا كـاندي وكاتشـار لولايـة آسـام، شاه جـلال وأصـحابه (بلـغ عددهـم ٣٦٠) أصـبحوا مشـهورين فـي هـذه المنطقة ونـالوا شـهرة واسـعة الـنطاق بين المسلمين والهندوس معا. وبفضـل جهدهـم المتواصـل دخـل عدد كبير من الهندوس والقبائليين

في الإسلام. وفي قرون تالية ظل يزداد عدد المسلمين يوما فيوما بسبب المهاجرة الكبيرة من المناطق المجاورة بوجه عام ومن بنغال الشرقية بوجه خاص وبلغ عددهم اليوم أكثر من ٤٠%.

ومن ألقاب المسلمين الشهيرة هنا هي: بهويا (Bhuia) وباربهويا، ومزار بهويا، وتشودهري، وتابادار، مازومدار، ولشكر.

وملخص القول أن شمال شرق الهند هي ربما منطقة جغرافية أكثر تعدد الجوانب والأبعاد فيما يتعلق بنشوء العرق واللغة والدين والثقافة، ولا يكاد سكان هذه المنطقة يتحدون إلا في جهودهم للحصول على بعض الحقوق السياسية والاقتصادية والوظيفية من الحكومة الهندية، وهناك جماعات ورطت في النشاطات المتمردة كما توجد فيها حركات انفصالية مختلفة وجماعات ارهابية لا تتمتع شمال شرقي الهند، كما يرى البعض، بالنفوذ الحقيقي في السياسة الهندية، ولا تزال تتخلف في مختلف المجالات بالنسبة للولايات الهندية الأخرى، وذلك خاصة لعدم توافر التسهيلات والفرص.

والأسباب الرئيسية الأخرى للتخلف هي أن سكان هذه المنطقة ظلوا مقتنعين بأراضيهم الزراعية الخصبة متغافلين عن الفرص الأخرى وذلك سبب في قلة الأيدي العاملة في مجالات مختلفة، فتوافد عليها الهنود من المناطق الهندية الأخرى وبوجه

خاص من ولاية بنغال الغربية وبيهار وأوترابرلاديش وأرويسة وراجستهان ليشتغلوا بأعمال بناء الشوارع وإقامة السدود وحدائق الشاي ومشاريع التطوير الأخرى كما أخذوا يعملون كالبنائيين والنجارين والغسالين والحلاقين واشتغلوا أيضا بجر الركشا والكارة والعتالة وما إلى ذلك من الأعمال، وذلك لأن المواطنين كانوا يعتبرون هذه الأعمال حقيرة غير مناسبة لهم، وظلت جهود المتعلمين مقتصرة على حصول المناصب الحكومية فحسب، ولكن الأوضاع قد بدأت تتغير فالمحليون بدأوا يعملون في مختلف مجالات التطوير والتنمية ويشتغلون بالتجارة والأنشطة الاقتصادية والمالية.

المراجع:

١- للتفصيل راجع: موسوعة شمال شرق الهند (بالإنجليزية) ، إيتش ام باره، نيودلهي، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠١ (الجزء الأول).

٢- نفس المصدر : الجزء الثالث

- نفس المصدر : الجزء الرابع

٤- نفس المصدر : الجزء الخامس

٥- نفس المصدر : الجزء السادس

٦- نفس المصدر : الجزء الثامن

٧- نفس المصدر : الجزء الثامن

٨- تـاريخ آسـام الوسـطى (بالإنـجلـيزيـة) ، إن إن أتشـاريـا، نيودلهي، طبعة عام ١٩٩٢، ص : ١٤

٩- المسـلمون فـي سياسـة آسـام (بالإنـجلـيزيـة)، إم كـار ، دلهي ، عام ١٩٩٧، ص:١

١٠- نفس المصدر : ص:٤

١١- قوميات شمال شرق الهند (بالإنجليزية)، فـريدة أحمد داس و إنديرا باروا، نيودلهي،عام ١٩٩٦،ص:٧٥-٧٦

١٢- نفس المصدر : ص ٨١-٨٢

١٣- موسـوعة شـمال شـرق الهـند (بالإنـجلـيزيـة)، إيـتش أم باره، عام ٢٠٠١، ص: ٥٢

تطور الصحافة الفارسية الهند

- د. سيد غلام نبي*
ترجمة: محمد أحمد خان**

لم تزل بلاد الهند منذ أول يومها ثابتة كملجأ للأفكار والآراء المختلفة ومركز للفلاسفة وأصحاب الوجهات المضادة ومهد للأديان والمذاهب وينبوع للأمم والملل ومقرٍ للصوفية والنساك ومحور للألسنة وآدابها فقد ثبتت أراضيها جذابة مؤثرة خلابة وملازمة إلى حدٍ قد توطنها كل من وطيئها أو قدم إليها فيشهد التاريخ على أن اللغة الفارسية حينما جاء بها الفاتحون من المسلمين رحّب بها الهنود وتقبلوها وتداولوها فيما بينهم حتى جاء وقت أصبحت فيه هذه اللغة الحديثة العهد بالبلاد لغة رسمية ومكتبية للهند وحكمت عليهم لقرون طويلة فقد قدّم أهاليها خدمات جليلة في تطورها وإذاعتها لا يتم بدون ذكرها تاريخ اللغة الفارسية وآدابها

* أستاذ مساعد، قسم اللغة الفارسية، جامعة لكناؤ، لكناؤ (اوتار براديش)
** كبير اطباء المستشفى الحكومي، مهرولي

فقد أنجبت هنا الشعراء المفلقين و والأدباء البارزين والكتاب المتميزين بأساليبهم وأصحاب التحقيق المشهورين والنقاد المعترف بهم وأصحاب المعاجم المعروفين والنحويين الأفاضل الذين سحروا بانجازاتهم الناطقين بها وبهتوهم كثيراً وقد برز بفضل مجهوداتهم أسلوب جديد يسمّى "سبك هندي" ولو صفحنا عن العصبية والجانبية لوجدنا أهل فارس ساجدين لِهذا الأسلوب الجديد.

وقد خلف الهنود آثاراً بارزة في الصحافة الفارسية كما فعلوا في غيرها من العلوم والفنون وتبتد هذه السلسلة منذ عهد سحيق. وُجِّه إهتمام خاص بتحرير التقارير والمحاضر في سلطنة دلهي وازدهر هذا الفن إزدهاراً كثيراً في عصر المغول فتم تعيين كتاب التراجم والمراسلين الصحفيين في كل مدينة وقصبة من قبل الحكام المغول لضبط الحوادث والوقائع وقد وضعت الحكومة المغولية، كما يقول المؤرخ الشهير جادو ناث سركار (Jadu Nath Sarkar)، أربعة أقسام لجمع الأخبار والمعلومات وهي:

الألف: مراسل صحفي   الباء: مترجم

الجيم: كاتب السر   الدال: ساعي البريد

كانت هذه الأقسام كلها تؤدي واجبها حق الأداء وعلاوة على ذلك فقد كانت الأخبار تدوَّن في صورة يوميات وبياضات في أبلطة الملوك والنوابين والأمراء و الحكام، بما فيها أحكام الملوك

والأوامر الرسمية وتقاليد وأعراف الأمراء وأهل البلاط وأخبار الزيارات والنزهات مثل "أخبار دربار معلّى" و"أخبار دار الخلافة، شاهجهان آباد" و"أخبار ديورهي" ولكن هيئة وشكل هذه المواضيع والمشتملات لم تكن تزيد على الأوضاع والأخبار البلاطية والمكتبية.

كانت الصحافة الفارسية مروَّجة في البلاد الهندية بشكل خطي منذ عهد سحيق ولكنها كانت تعتبر أحد أنواع ضبط الحسابات وجمع الأوضاع والأخبار البلاطية وأما الصحافة الفارسية المطبوعة فبديت بعد ورود الإنكليز لأرض الهند الخصبة وكما أقام الإنجليز سلطتهم على الهند فكذلك قاموا بتأسيس مراكز العلوم والفنون الجديدة لإحكام شمل حكومتهم كما قاموا بإقامة المطابع لنشر وإذاعة العلوم والأفكار. وضعت أول لبنة للصحافة الفارسية جنباً بجنب وجود المطابع وفي ذلك يجدر المصلح الإجتماعي الشهير راجه رام موهن روي (Raja Ram Mohan Roy) بضبط إسمه بالأحرف الواضحة وهو الذي أصدر صحيفة فارسية باسم "مرآة الأخبار" في ٢٠ أبريل عام ١٨٢٢م من كولكوتا. كانت هذه الصحيفة تهدف أول ما تهدف إلى الوعي السياسي والإجتماعي والإصلاح الحضاري والثقافي وهي أول جريدة فارسية لا في الهند بل في خارجها. إنها تجدر بأن يفتخر بها الهنود. ولو أن أصحاب التحقيق والنقد يختلفون في ذلك. فالجماعة الأولى ترى أن "مرآة

الأخبار" هي أول صحيفة فارسية صدرت من الهند بينما هناك جماعة أخرى تقول بأن "جام جهان نما" تحتل الأولية في هذه البلاد. ولكنه قد تحقق في ضوء الأوراق و الشهادات والمصادر والمراجع الأخيرة أن "مرآة الأخبار" التي أصدرها راجه رام موهن روي هي أول جريدة فارسية لا في الهند بل في كل عالم الفارسية وقد تبعها جرائد فارسية من الهند وخارجها، لعبت دوراً بارزاً في الوعي السياسي للهند وحركة الإستقلال والحرية.

وفيما يلي دراسة تحليلية لمساهمات الجرائد والصحف الفارسية الصادرة من الهند:

مرآة الأخبار:

وقد مضى آنفاً أن هذه أول جريدة فارسية صدرت تحت إدارة تحرير راجه رام موهن روي في ٢٠ أبريل عام ١٨٢٢م من أشهر ولايات الهند، كولكوتا. كانت هي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم الجمعة. لم تزل صادرة حتى ١٤ أبريل عام ١٨٢٣م بكل أبهة وعظمة. عرقل صدورها ورود جون إيدم (John Adem) الهند حاكم عام في ١٨٢٣م فإنه قام بتنفيذ قانون صعب للصحافة والطبع أمر، حسبه، كافة أرباب الجرائد ومديري تحريرها بأن يحصلوا على إجازة كتابية من قبل كبير أمناء المؤسسة الهندية الشرقية قبل أن يريدوا نشرها وطبعها فخالفه راجه رام موهن روي وغيره من

أصحاب الجرائد ومديري تحريرها واستأنفوا دعوى أمام المحكمة العليا، ثبتت هواء. رفضها القضاة الإنجليز الظالمون والمتعصبون ومتضايقاً من هذه الخطوة الظالمة العادية أغلق راجه رام موهن روي جريدته إظهاراً للإحتجاج قائلاً إن هذا القانون العادي الذي أصدرته الحكومة الإنجليزية عن الصحافة الهندية يثبت حاجزاً في سبيل نشر هذه الجريدة.[١]

وطبقاً للتحقيق الجديد لا توجد أي نسخة منها في أي مكتبة أو ذخيرة شخصية في كافة أنحاء العالم ولذلك فقد ظهرت آراء متعددة عن وجودها وعدمها معاً ولكن انكشف الضباب الكثيف عنها حينما وجدت كتابات عنها في "مجلة كولكوتا" (Kolkota Journal) التي كانت تصدر من كولكوتا تحت إشراف جيمس سلك بكنغم (James Silk Buckinghum) ومن أهم وأبرز مميزات هذه المجلة أنها تعتبر مصدراً مهماً لجرائد وصحف ذلك العصر لأنها كانت تنشر الترجمات الإنجليزية لما كان يطبع وينشر في غيرها من اللغات من المحتويات والمواضيع المهمة وبما أنها كانت متأثرة للغاية بجريدة راجه رام مون روي "مرآة الأخبار" فكانت تحتوي على ما كان ينشر فيها من المعلومات المهمة وقد كتب راجه رام موهن روي عن أهداف ومقاصد "مرآة الأخبار" في عددها الأول. نشرت مجلة كولكوتا ترجمتها الإنجليزية وفيما يلي ملخصه:

"هناك بعض الرجال الذين ينشرون أخبار الهند الداخلية والخارجية باللغة الإنجليزية لرقي عامة الهنود وإزدهارهم ولكنها لا يستطيع بالإستفادة منها إلا من لـه إلمام بالإنجليزية والمعلوم أن الصحف الإنجليزية لا يقرءها عوام كافة أنحاء الهند كما لا يفهمها معظمهم فمن لا يعرفها يجهلون عن الأخبار المهمة ولذلك فعزمت على نشر صحيفة باللغة الفارسية لكي يستفيد منها أصحاب الطبقة العليا الذين يعرفونها خير معرفة".[٢]

ثم تزيده مجلة كولكوتا قائلة:

"لا أريد باصدار الصحيفة ثناء الأمراء والطبقة الخاصة أو الأصدقاء كما لا أريد نيل الجاه والثروة وبالإيجاز إني أردت بعد تولي المسئولية عن هذه الصحيفة أن أقدّم إلى عامة الناس موضوعات ومحتويات تزيدهم علماً ومعرفة وتنير أذهانهم وعقولهم بجانب إصلاحهم السياسي والإجتماعي حتى الوسع. إني أودّ أن يعرف الحكام والأمراء عن تقاليد وعادات الهند خير معرفة وحقها. إن صحيفتي ستقيم علاقة بين الحكام ورعيتهم لكي تبلغ أخبار حاجات العوام مكتب الحكام والأمراء وتتوجه الحكومة إليهم وهكذا تنحل عقد كافة القضايا عن طريق التعاون والتناصر"[٣]

جام جهان نما: واللبنة الأخرى التي وضعت في بيت الصحافة الفارسية في الهند هي صحيفة "جام جهان نما" ولكن

أربـاب التحقيق و النقد يختلفون فيما بينهم فالجماعة الأولى التي تضم إليها سـانيال (Sanyal) وعبد العلـي ومارغريتا بـارنس (Mare Greata Barnes) وعبد السـلام خورشيد وإمداد صـابري، تعتبر صحيفة "جام جهان نمـا" أول لبنة فـي بنـاء الصحافة الفارسية فهي تـرى أن هذه الصحيفة تـم إصـدارها فـي ٢٨ مـارس عـام ١٨٢٢م وأمـا الجماعـة الأخـرى التـي تضم إليها محمد عتيق الصديقي وأسلم الصديقي فهي تخالفها فيقول أسلم الصديقي: "ابتدأ إصدار صحيفة "جام جهان نما" فـي ٢٨ مـارس عـام ١٨٢٢م من مبنـى تاجـر إنكليزي. كانـت هـي تصدر بلغـة هندوستانية خالصـة (الأردويـة) إلا أن اللغـة الفارسـية قد ألحقت بها كملحق في ١٦ مايو عام ١٨٢٢م".[٤]

وعـلاوة علـى ذلـك تؤيـد صحيفة "سنباد كمـودي" (Sinbad Kamudi) الأسـبوعية ومجلـة كولكوتـا أن هـذه الصـحيفة قـد ابـتدأ اصدارها فـي الأردويـة ثم ألحقت بهـا الفارسية بعددها الثامن لـ ١٦ مـايو عـام ١٨٢٢م حـتى أنهـا فاقت الأردويـة فيقول غـراهم بيلـي (Grahem Balley): نـال ملحق الفارسية صيتا ذائعاً حتى ١٠ أكتوبر عام ١٨٢٢م وبالتالي القسم الأردوي حتى ١٨٧٦م".[٥]

وبـالعكس من صـحيفة "مرآة الأخبار" فتوجد بعض أعدادها فـي أرشيف دلهـي الوطنـي. تبتدئ هـي من العدد ١٣٣ وهو لـ ٢٩ ديسمبر عـام ١٨٢٤م وهذا يعنـي أن ١٣٢ عدداً منها مفقودة. بادئ ذي بدء كانـت هي محتوية علـى ثمانـي صفحات ثم أضيف إليها ٤

صفحات. كانت تصدر يوم الأربعاء أسبوعياً ومما يلفت النظر أنها كانت تفقد ذكر المجلد والعدد حينما كانت تصدر بالأردوية ولكنه حينما أضيف إليها الفارسية جاء ضبط المجلد والعدد كليهما.[٦]

كان يكمن وراء نشرها إيجاد الرغبة في اللغة الهندية في قلوب الحكام والمسئولين الإنجليز الذين يسكنون كولكوتا وضواحيها ولذلك فقد امتلكها المبنى الإنجليز التجاري لمدة وصدرت تحت سياسته ولكن أسهبت المؤسسة الهندية الشرقية يديها عن هذه الصحيفة لما أنها نشرت مقالاً ضد مهاراجه رنجيت سنغ (Maharaja Ranjeet Singh).

شمس الأختبار: صدرت هذه الصحيفة الأسبوعية في ١٨٢٣م من كولكوتا تحت إدارة تحرير متورا موهن مترا (Mathura Mohan Mitra) ولكن إمداد صابري ذكر أن مدير تحريرها كان مني رام تاكور (Mani Ram Thakur).[٧] لم تستمر هذه الصحيفة في نشر أهدافها لأزمة مالية. فقد شكا مدير تحريرها ريب الدهر وصرفه وذكر عاطفته وحالته الداخلية في الشعر الفارسي التالي:

ز وزش ما بر کسے ظاہر نه شد چون چراغان شب مہتاب سیما سوختیم

ترجمة: أحترقنا ولكن لم يبدُ إحتراقنا لأحد من الناس ومثل إحتراقنا النواصي مثل سرج ليلة القمر.

ومن أهم خصائصها أنها كانت تنشر الأخبار الوطنية والخارجية كذلك.

أخبار سي رام فور (Ser Rampur): سي رامفور منطقة مهمة من غربي بنغال ولا يمكن لنا الإغفال عن خدماتها في الصحافة الفارسية الهندية. صدرت عن هذه المنطقة "أخبار سي رامفور" في مستهل ١٨٢٦م واستمرت في عملها حتى مايو ١٨٢٨م. نالت هي شهرة وقبولاً بين الناس لأنها كانت نشرة التبشير المسيحي حتى أن الحكومة الإنجليزية قد وعدت تدعيمها المالي لدى إعطاء الإجازة لها ولذلك فكانت تبيع ١٦٠ نسخة منها كل شهر. وعلاوة على هذا فكانت هذه الصحيفة ترسل إلى المدن الشهيرة من دلهي وآغره وكولكوتا وبنارس ومن خصائص هذه الصحيفة أنها كانت تنشر ترجمة فارسية للأحداث والوقائع المهمة المنشورة في جرائد وصحف بنغال وبما أنها كانت محصورة على التدعيم المالي الحكومي فقد تم إغلاقها حين انقطاع الدعم المالي الحكومي.

آئينه سكندر: هذه الصحيفة الأسبوعية المحتوية على ١٦ صفحة صدرت في فبراير ١٨٣١م من كولكوتا مركز للأدب والعلم في القرن التاسع عشر المسيحي. كانت هي تنشر كل أربعاء. كان هي أول صحيفة فارسية تهتم بالتجديد في كل أعدادها القادمة. كان شعر حافظ الشيرازي المذكور أدناه جعل يكتب على لوحه من العدد ١٢٧:

آئينه سكندر جام جم است بنگر تا بر تو عرضه دارد احوال ملک دارا

ترجمة: مرآة أسكندر مثل كأس جمشيد[٧] وانصت لكي يبلغك أخبار وأوضاع مملكة دارا.

ثم جعل يكتب الشعر التالي على اللوح الآخر من العدد ١٣٠:

ب صفا دلانست عكس وقايع ازوى روشن جهانست

ترجمة: مرآة أسكندر مثل قلب المتقين وتبدو بها وقائع وأحداث العالم واضحة.

لم يُذكر إسم مدير تحريرها في أي موضع منها ولكن إمداد صابري أنتج من دراسة رسائل الشاعر الأردوي الشهير ميرزا غالب أن الشيخ سراج الدين كان يدير تحريرها[٨] وبما أن غالب كان له علاقة ودية معه فكان يرسل غزلياته للنشر فيها وعلاوة على هذا فقد ذكر محمد عتيق الصديقي الشيخ سراج الدين كمدير تحريرها نقلاً عن الدكتور عبد الستار الصديقي.[٩]

من أهم خصائصها أنها تهتم بنشر أخبار فرنسا وروما وأمريكا وهولندا والصين وانجلترا واستانبول وسنغافور وروسيا ورنغون (Rangun) ويونان ومصر وقندهار ودمشق وكابل وبرتغال (Portugal) وبغداد وإيران بجانب نشر الأخبار المحلية، الأمر الذي

رفع شأنها ودرجتها بين الصحف الفارسية الهندية الأخرى وكذلك كانت تنشر الأشعار الأردية والفارسية.

آغره أخبار: هذه أول صحيفة فارسية من شمالي الهند. ابتدأ اصدارها في ١٨٣٣م من آغره تحت إدارة تحرير منشي واجد علي. يرى إمداد صابري أن اسمها تبدل بـ "زبدة الأخبار"[١٠] في ١٨٣٤م بينما يعتبرهما كيري (Carey) صحيفتين على حدة فقال أن هيندرسون (Hinderson) أصدر صحيفة "آغره أخبار" قبل صدور صحيفة "زبدة الأخبار" بسنة.[١١] يؤيده محمد عتيق الصديقي قائلاً إن صحيفة "آغره أخبار" قد قُطِعَ إصدارها حينما ابتدأ إصدار صحيفة "زبدة الأخبار."[١٢]

نالت هذه الصحيفة قبولاً واسعاً في بلاط النوابين والملوك الذين كانوا يدعمونها والسبب وراء قبولها إعلام مدير تحريرها واجد علي عامة الناس عن مساوي الحضارة والثقافة الغربية. وبما أن مدير تحريرها كان يبغضها ولا يحب فعاليات التبشير المسيحي فكان يسعى باستمرار أن يفحم هذه الفعاليات عن طريق كتاباته وصحيفته ويثبت علو الإسلام وتفوقه على المسيحية. تكللت الصحيفة بالنجاح في مرادها لكونها صحيفة مستقلة بنفسها.

ماه عالم افروز: بدأ الشيخ وهاج الدين إصدار هذه الصحيفة في ١٨٣٣م. كانت هذه الصحيفة تحتوي على ١٦ صفحة وتصدر

كل يوم الثلاثاء. كانت تنشر فيها أخبار كابل وقيصر الروم ودمشق وهرات (Harat) وبغداد وبخارا وخراسان وقندهار وإيرلندا وانجلترا وأمريكا وفرنسا ونيبال وروسيا بجانب نشر أخبار لاهور ومجلس دمدم ولدهيانه (Ludhiana) وأمرترسر (Amritsar) وبشاور (Peshawar) والسند وهريانه (Haryana) وحيدرآباد وناغبور (Nagpur) وجيفور (Jaipur) وآغره وبنارس ولكناؤ وبنغال وبيهار (Bihar). وعلاوة على هذه الأخبار كان يتم نشر الأخبار عن رقي العالم العلمي الأدبي.

سلطان الأخبار: أصدر رجب علي اللكناوي صحيفة أسبوعية باسم "سلطان الأخبار" في ١٢ أغسطس عام ١٨٣٥م من كولكوتا. كانت صفحاتها ١٤ صفحة وكانت تصدر كل يوم الأحد. إنها لعبت دوراً فعالاً في الحرب الأولى لإستقلال الهند. فهي كانت تجهر بالخلاف ضد الحكومة الإنجليزية حينما لم يكن لأي صحيفة أن تفعل فعلها. إنتقد رجب علي اللكناوي الحكومة الإنجليزية وسياساتها ونالت درجة كبرى بين الصحف الفارسية الصادرة آنذاك.

أخبار لدهيانه: صدرت هذه الصحيفة في يناير ١٨٣٥م من لدهيانه تحت إشراف المبشرين النصارى. بادئ ذي بدء كانت تنشر في ٤ صفحات ولكنها أضيف إليها أربع صفحات منذ ٦ يونيو ١٨٤٠م. كانت هذه الصحيفة تتكلم عن أفكار وآراء التبشير المسيحي وكلما مر الزمان أضيف إليها نشر الموضوعات

الجغرافية والعلمية والأدبية والتاريخية بجانب نقل الحوادث والوقائع من الصحف الأخرى. إنها كانت تهتم بنشر الأخبار الخارجية بجانب الإهتمام بنشر الأخبار الداخلية ومما تتفرد به هذه الصحيفة أنها كانت تبدأ بخبر لاهور وتنتهى بخبر لدهيانه وهي أيضاً نشرت المقالات الدينية بجانب المقالات العلمية والأدبية والتاريخية. توجد أعدادها من ١٨٣٦م حتى ١٨٤٠م في أرشيف دلهي الوطني.

سراج الأخبار: هذه الصحيفة محتوية على الأحداث والوقائع البلاطية للإمبراطور المغولي الأخير، بهادر شاه ظفر. أبتدأ إصدارها من دلهي في ١٨٤١م. كانت هي أسبوعية وكان مدير تحريرها السيد أولاد علي. كانت هي مثل اليومية البلاطية إلا أن الصفحات الثلاث النهائية كانت تهتم بنشر أخبار دلهي وغيرها من المناطق بجانب نشر شكاوى ومتطلبات العامة وعلاوة على الأخبار السياسية والإجتماعية فهي خصت بعض الصفحات بنشر المواد العلمية والأدبية بما فيها نشر غزليات الشعراء الكبار أمثال ميرزا غالب وذوق (Zauq) وبهارد شاه ظفر وبما أنها كانت ملحقة بالبلاط فكانت لغتها فصيحة وسلسة ومتكلفة للغاية.

مهر منير: هذه أول صحيفة فارسية هندية كانت تنشر من كولكوتا ثلاث مرات في أسبوع، السبت والثلاثاء والخميس. كان يدير تحريرها محمد علي وكانت تشتمل على ٤ صفحات. صدر

أول عددها في الواحد من شهر مايو عام ١٨٤١م. كانت تنشر فيها أخبار البلاد الأخرى مع الهند. ترجمت فيها أخبار الإنجليز إلى الفارسية كما تم نشر الأشعار. كتب على لوح الصحيفة الشعر التالي:

از عنايات كردگار قدير گشت مهر منير عالم كبير

ترجمة: أصبحت صحيفة "مهر منير" أعظم وأكبر صحف العالم بفضل الخالق القدير.

وكذا جعلوا ينشرون الشعر التالي من العدد ٥٤ (٣١ أغسطس ١٨٤١م):

ضيا بخش گرديد عكس وقانع ازين وجه گفتيم مهر منير است

ترجمة: صارت عكوس الأحداث جلية ولذلك فقلت: هذه بسبب صحيفة "مهر منير."

أحسن الأخبار: وبجانب الولايات الأخرى للهند لا يمكن أن ننكر خدمات مدينة مومبائي للصحافة الفارسية فأول صحيفة فارسية صدرت منها هي "أحسن الأخبار" لم نقف على معلومات كثيرة عن هذه الصحيفة إلا أنها أبتدأ إصدارها، كما يقول عتيق الصديقي نقلاً عن عبد الرزاق، في ٩ نوفمبر عام ١٨٤٤م[١٣] كانت معظم مشتملاتها أخبار دلهي والقلعة الملكية فلما تم القبض على ميرزا

غالب في جريمة المقامرة نشر هذا الخبر في هذه الصحيفة[١٤] وبناءً على هذا تزداد أهميتها التاريخية.

أعظم الأخبار: ولا يخفى على الكتّاب والمؤرخين ما قدّمه الهند الشمالية من خدمات جليلة في الصحافة الفارسية ولكن الهند الجنوبية لم تتخلف شيئاً عن ذلك ولو أنها لم تضاه بها في الأعداد ولكنها قدمت ما شاء الله أن تقدمها في هذا المجال. فأول صحيفة فارسية صدرت عن هذه المنطقة هي "أعظم الأخبار" التي صدرت في ١٢٥٦ه/١٨٤٨م من تشنائي[١٥] كانت هذه الصحيفة تنشر كل يوم الخميس مرة في ٨ صفحات وأخرى في ١٠ صفحات. يلائم إسم هذه الصحيفة بالإسم الشعرى لنواب كرناتكا محمد غوث أعظم ولهذا فقد نصبت علامة حكومة النواب على لوحها كما كانت تكتب الأشعار التالية:

مہربان امیدواروں پر کیوں نہ سرکار ہو　　کیوں نہ رحمت کی نظر اس کی ہمیں درکار ہو
اسم اعظم کا وظیفہ مطبع أعظم میں ہو　　نام سے جس کے یہ کاغذ أعظم الأخبار ہو

ترجمة: لم لا ترحم الحكومة على من يعلق الأماني عليها ولم لا تلفت إلينا أنظار الشفقة بنا؟

ينبغي لنا أن نكرّر ورد الإسم الأعظم الذي تسمى عليه هذه الصحيفة بـ "أعظم الأخبار".

يرى الدكتور محمد أفضل الدين إقبال أنها تم تدشينها في ٤ شعبان ١٢٦٤ه/٦ يوليو ١٨٤٨م.[١٦]

والواقع أنها كانت أسبوعية أردوية ولكن صفحتيها كانتا خاصتين بنشر الأخبار باللغة الفارسية.[١٧] فكأنها كانت صحيفة ثنوية اللغة ولكن القسم الفارسي قد تم القضاء عليه منذ ١١ مارس ١٨٥٢م.[١٨] كانت تنشر الأخبار نقلاً عن "غلشن نو بهار" و"سلطان الأخبار" و"قران السعدين" و"مجمع الأخبار" وأما القسم الفارسي فكان يشتمل على غزليات عبد الغفور مهجور ومحمد مهدي علي خان بهادر المرشد آبادي وحشمت وحيدري وفرحت بجانب الأخبار والأحداث.

غلشن نوبهار: صدرت هذه الصحيفة تحت إدارة تحرير عبد القادر في الواحد من فبراير ١٨٥١م من كولكوتا واستمرت حتى ١٨٥٧م وقد وفر إمداد صابري معلومات جمة عن هذه الصحيفة[١٩] ومن خصائصها أنها كانت تفضل الصدق والجرأة في الإعلام والإخبار فكانت تلقي الضوء على ظلم الإنجليز وسياساتهم المخالفة للعوام. إنها لم تأل أي جهد في تشجيع مجاهدي حرب الإستقلال ولذلك فقد قبضت عليها الحكومة. كانت هي تنشر المقالات الأدبية والعلمية بجانب إذاعة الأخبار السياسية. كانت لغتها سانجة سلسلة حلوة.

مفرح القلوب: أبتدأ صدور هذه الصحيفة في ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٥م من كراتشي واستمرت حتى ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م. كانت أسبوعية. تولى مسئولية إدارة تحريرها العديد من الصحفيين أمثال

محمد شفيع وميرزا أحمد جعفري وميرزا محمد صادق مشهدي.
كانت تكتب الأشعار التالية على لوح الصحيفة:

اے نـام تـو راحـت دل و جـان   سـرمـايـه فـرحـت فـراوان
بـر سبـزه کـه از زميـن بـرآيـد   بـر وحـدت زبـان گـشـايـد
نـامـت چـون مـفـرح الـقـلوب است   فـرخـنـده کسـے کـه دل بتـوبسـت
کـاريـکـه بـر تـوکـل تـو کـردم ابتـدا   يـا رب بـفـضـل خويـش رسـانـش بـانتـهـا

ترجمة: يا من اسمه راحة القلب والروح وذخيرة السرور الوافر!

فكل نبات يبدو من الأرض ينطق عن وحدتك

وبما أن اسمك "مفرح القلوب" فالقلب مسرور بك

والعمل الذي بدأت به متوكلاً عليك، اللهم أبلغه النهاية بفضلك الخاص.

وبجانب نشر الأخبار السياسية والإجتماعية من الهند وخارجها فكانت هذه الصحيفة المحتوية على ١٢ صفحة تهتم بنشر المقالات على المواضيع العديدة وأشعار الفارسية ونظراً للنماذج نذكر محتويات العدد الخامس من المجلد الرابع والعشرين لكي يسهل لنا تقدير أهميتها في ضوءها:

"طلب قُدم إلى المشتركين في هذه الصحيفة/كتاب رقوم المسالك/ناصر الملك محمود خان وزير إيران/حسين حامد بيغ

الآفـندي/آراء إنجلـترا عـن مصـطلحات أنـا طولـي/خـرج حـرب افغانستان/شائعة العامة/روسيا وروما/جلال اباد/موجز عن حضارة وثقافة روسيا/ إدارة الحكومـة/نسبة المسلمين والهندوس/تقرير عن قندهار/شكارفور"[٢٠]

آزاد: تم إصدار هذه الصحيفة في ١٨٨٥م من دلهي وبما أن كافـة أعدادهـا مفقـودة فلـم نقـف علـى تفاصـيل مقـنعة عـنها إلا أن صـحيفة "سـيد الأخـبار" تشـهد بوجودهـا فيقول صـدر الهاشـمي: لـم يزل يقع نزاع علمي وأدبي بين "آزاد" و"سيد الأخبار".[٢١]

سيد الأخبار: صدرت هذه الصـحيفة تحت إدارة تحرير آقا سيد الشـيرازي فـي ١٨٨٨م مـن حيدر آبـاد. صـفحاتها كانـت ثمانـي وكانـت تصـدر كل يـوم السبت. كتـب السـيد إيـدورد بـراون (Adward Brown): إن ٣٥ عـدداً لهـذه الصـحيفة توجـد فـي المـتحف البريطانـي بليدن. عددها الأول صدر في ٨ ديسمبر ١٨٨٨م وأما العدد الخامس والثلاثون فهو صدر في ١٢ أغسطس ١٨٨٩م.

كانـت تنشـر صـورتا الأسـد والشمس على لوح هذه الصحيفة مثلما وقـع مـع غيرهـا مـن الصـحف الإيرانـية وكانـت تكتـب الأشعار الفارسـية والعربـية تحـت هاتيـن الصـورتين. كانـت هـذه الصـحيفة محشـوة بالأخـبار وحـافلـة بالمعلومـات. كانـت هـذه الصـحيفة تولـي إهتمامـاً خاصـاً بنشر المقالات المتعلقة بالعلاقات السياسية بين روسيا وإيران وكذلك كانت تنشر فيها ترجمات الأخبار الإنـجليزية.

كوكب ناصرى: صدرت هذه الصحيفة تحت إدارة تحرير مصطفى شيخ الإسلام البهبهاني والدكتور سبلوشتر في ١٨٩١م من مدينة مومبائي. كانت هي تنشر على الطبع الحجري وفي خط النستعليق. حجمها كان ١٧٠٥×١١٠٥ بوصة. إشتراكها السنوي كان ١٥ قراناً لمدينة مومبائي و ٢٠ قراناً لغيرها من المناطق الهندية وخليج فارس وجزيرة العرب و ٢٥ قراناً لإيرانِ وتركيا وأوربا وغيرها من البلاد الأجنبية.

حبل المتين: تعتبر هذه الصحيفة أهم وأروع الصحف الفارسية فهي صدرت تحت إشراف وإدارة تحرير السيد جلال الدين الكاشاني الملقب بـ "مؤيد الإسلام" في ١٨٩٣م من كولكوتا. صدرت على الطبع الحجري حتى ١٩٠٥م ثم تبدل هذا الطبع بالطبع السربي. صفحاتها كانت ٢٤ صفحة ولكن المفكر الكبير براون كتب أن الطبع الحجري كان محتوياً على ١٢ صفحة ثم أضيف مزيد الصفحات إلى الطبع السربي.

لم تزل هذه الصحيفة تصدر من الهند لفترة طويلة من الزمن وبما أنها كانت ترجماناً للمهاجرين من إيران المحبين لإستقلالها فكانت تنشر أخبار إيران السياسية والإجتماعية بشيء من التفصيل بجانب نشر أخبار الهند ومصر والعراق وروسيا وتركيا. كانت ٥٠٠٠ عدد منها ترسل إلى علماء وأدباء نجف وإيران كل أسبوع مجاناً ونظراً لقبول الصحيفة وشهرتها بين الناس، إعتبرها البروفيسور براون بطل إتحاد المسلمين.[٢٢]

قامت صحيفة "حبل المتين" بدور فعال ريادي في إعادة الديموقراطية في إيران ورفعت صوتها ضد حكومتها المستبدة حتى وقع الحجز عن ورودها في إيران. ملقياً الضوء على أهمية هذه الصحيفة ودرجتها، يقول أحمد الكسروي:

"كانت هذه الصحيفة الأسبوعية أفضل وأروع صحيفة في ذلك الزمان وعلى أنها صدرت من الهند رفعت لواءها لإستقلال إيران. إن هذه الصحيفة أظهرت السباق في التحرير ضد القبض على مجاهدي إستقلال إيران وسعت سعيها لإقامة الحكومة الديموقراطية ولذلك نالت قبولاً واسعاً فيما بين العامة."[٢٣]

توجد أعدادها من ١٨ أكتوبر ١٩٠٠ حتى سبتمبر ١٩٠١م ومن ١٣ أغسطس ١٩٠٦م ومن ١٩١٤ حتى ١٩١٦م في مكتبة خدا بخش في بتنه، بيهار.

مفتاح الظفر: هذه الصحيفة صدرت أيضاً تحت إدارة تحرير جلال الدين الكاشاني وأخيه السيد حسن الكاشاني في الواحد من سبتمبر ١٨٩٧م من كولكوتا. كانت تكتب كلمة "بنام خسرو غيتي" (مظفر الدين شاه) تحت عنوان الصحيفة ويقابلها إسما مدير التحرير والمشرف وعنوان الصحيفة هكذا:

"سربرستي مدير محترم حبل المتين جلال الدين الحسيني مدير كل ميرزا سيد حسن كاشاني محل إدارة كلكته فوجداري

بالاخانه شيشه كلي نمبر ٣٥، يكم وهشتم وبانزدهم وبست ودوم هر ماه طبع وتوزيع مي شود".

كما تنشر العبارة التالية للتعريف بالصحيفة في كل عدد منها:

"هذه الصحيفة العلمية الصادرة من كولكوتا يحتوي عددها على مقالة في السياسة وبعض الأخبار المفيدة من الأدب والمقالات العلمية والمواضيع الحكمية وفي بعض الأحيان تفصيل الإمتلاك".

والإفتتاحية التي تم نشرها في أول عدد "مفتاح الظفر" تلقي ضوءً كاملاً على أهداف الصحيفة ودوافعها. كانت هي مشتملة على خبر سياسي وأما البقية فكانت تختص بذكر المحتويات عن العلم والأدب والجغرافيا والتاريخ والطب.

آزاد: صدرت هذه الصحيفة تحت إدارة تحرير ميرزا السيد حسن الكاشاني أخي السيد جلال الدين الكاشاني مدير تحرير صحيفة "حبل المتين" في ١٥ أغسطس ١٨٩٩م من كولكوتا. صفحاتها كانت ٨ صفحات والواقع أنها كانت ملحقة بصحيفة "مفتاح الظفر" فالإعلانات التي تم نشرها عن هذه الصحيفة هي فيما يلي:

"وبما أن المشتركين الكرام في صحيفة "مفتاح الظفر" يتطلبون أن تختص ٨ صفحات منها بنفس الموضوع بينما

الصفحات الثماني الأخرى تتعلق بالأمور السياسية والملية لكي لا يجهل القراء الكرام عن الأحداث والوقائع الجديدة اليومية ولو أن ١٦ صفحة ترسل إلى القراء في مجلد واحد وبما أن معرفة الأمة عن الأخبار الملية والسياسية ضرورية وأن رقي وتطور الصحيفة لازمة فاضطر صاحب الصحيفة إلى قسمتها في جزئين؛ جزء يبقى على إسمه الأول بينما الجزء الآخر يتشرف باسم "آزاد" وبما أن زيادة معرفة الأخبار العلمية لازمة فترسل "آزاد" مجاناً إلى المشتركين في صحيفة "مفتاح الظفر" ومن يرد شرائها على حدة فعليه أداء ٣ تومانات ونصف والمرجو من القراء قبول هذا الإقتراح وأما متعهدوهما فسواء...".[٢٤]

يبدو من العنوان المذكور أعلاه أن صحيفة "مفتاح الظفر" قد تم تقسيمها إلى جزئين؛ جزء خاص باسم "مفتاح الظفر" ومحتو على الأشياء عن العلوم البحتة والفنون الحديثة والجزء الثاني كان باسم "آزاد" ويتحدث عن القضايا السياسية والأمور الإجتماعية.

مجمع الأخبار: كانت هذه الصحيفة الأسبوعية تصدر من مومباني ولا يوجد أي عدد منها في أي مكان من العالم. ويدل على وجودها كما يقول إمداد صابري ومحمد أفضل الدين إقبال، ما جاء عنها في "سراج الأخبار"[٢٥] دلهي و"أعظم الأخبار"[٢٦] تشنائي وكذلك تم نقل عباراتها الفارسية كما هي في أعداد ١٨٥١ و ١٨٥٢ لصحيفة "أخبار الأخبار."

وعــلاوة علــى تلــك، كانــت تصــدر صــحيفة فارســية باســم "دوربين" التي واجهت غضب الإنجليز خلال حرب الإستقلال في ١٨٥٧م وهكذا صدرت صحيفتان باسمي "مرتضائي" من بشاور "وشفيق" من حيدر آباد في ١٨٧٨م.

الهوامش

[١] - ج. ناترا جان: History of Indian Journalism (تاريخ الصحافة الهندية)، ص٢٢

[٢] مجلة كولكوتا، ٢٣ أبريل ١٨٢٢م مجلد:١١، عدد:٩٨، ص٥٨٣

[٣] المصدر نفسه

[٤] محمــد أســلم الصــديقي: الصحافة الفارسية في الهند، المجلة الهندية- الإيرانية، ١٩٤٧م، ص١٧

[٥] نصرت الأخبار، دلهي، ١ أغسطس ١٨٧٦م

[٦] نــادر علي: أردو صحافت كي تاريخ (تاريخ الصحافة الأردوية)، ص٦١-٦٢

[٧] إمــداد صابري: تاريخ صحافت اردو (تاريخ الصحافة الأردوية) ج١، ص٨٠

[٨] المصدر نفسه، ج١، ص٨٠

[٩] محند عتيق الصديقي: هندوستاني اخبار نويسي، كمبني كــــ عهد مين (الصحافة الهندية في عصر المؤسسة) ص٢٣٨

١٠ إمداد صابري: تاريخ اردو (تاريخ الأردوية) ج١

١١ الســيد كــيري: Good Old Days of Honourable John Company (الأيــام الســالفة الجمــيلة لمؤسســة جون المحترم) ج١، ص٤٤٨

١٢ محمد عتيق الصديقي: الصحافة الهندية، ص٢٣٦

١٣ المصدر نفسه، ص٢٥٦

١٤ أحسن الأخبار، ٢٥ يونيو ١٨٤٧م

١٥إمداد صابري: تاريخ الصحافة الأردوية، ج١، ص٣٦٣
١٦ الدكـتور محمـد أفضل الدين: جنوبي هند كي اردو صحافت (الصحافة الأردوية في الهند الجنوبية) ص٢٩
١٧ المصدر نفسه
١٨ المصدر نفسه
١٩ إمداد صابري: تاريخ الصحافة الأردوية، ج١، ص٩٥
٢٠ مفرح القلوب مجلد: ٢٤ عدد: ٥، ٣ صفر ١٢٩٦هـ ق
٢١ محمـد الهاشمي: تاريخ جرايد ومجلات إيران (تاريخ جرائد ومجلات إيران)، ج١، ص١٣٨
٢٢ البروفيسـور ألف.ج.براون: تاريخ مطبوعات وأدبيات مسـروطيت، ترجمة: محمد العباسي (الفارسية) ج١، ص٣٣٦
٢٣ أحمـد الكسروي: تاريخ مشروطيت إيران (الفارسية)، ج١، ص٤٢
٢٤ مفتاح الظفر عدد: ١٨، ١٥ مايو ١٨٩٩م
٢٥ س. س. سانيال: Islamic Culture (الثقافة الإسلامية)، ص١٠٥
٢٦ عـبد العلي: Persian Newspapers in Honourable John Company's Days (الصـحف الفارسية في أيام مؤسسة جون المحترم) مجلة بنغال، ماضيها وحاضرها مجلد: ٣٣، ١٩٧٧، ص٣٤

جواب

- أكيليش*
ترجمة :سيد إحسان الرحمن**

كان على أن أصل "كوتيا" في حوالي الساعة السابعة والنصف. وكان الوقت الآن الساعة السابعة. كنت صفر اليدين ولم يوجد عندي فلوس حتى أركب أوتوبيس. ويضاف إلى ذلك أن البرد كان في أوجه والرياح المبللة دخلت العظام. في هذه الظروف غير الموافِقة لم يكن بإمكاني أن أصل كوتيا في الساعة السابعة والنصف.

غطيت أذني باللفاع وكذلك الرأس والعنق وفكرت أنني الآن في وقاية من البرد القارس ويمكن لي أن أصل لكوتيا ولو متأخرا بدون أن أتضرر من لسعة البرد.

كنا اتفقنا نحن الأصدقاء أن نجتمع في كوتيا حتى نودع كل واحد منا الآخر قبل المغادرة إلى بيوتنا لتمضية إجازة الشتاء

* كاتب هندي شهير
** - المترجم أستاذ للغة العربية في جامعة جواهر لال نهرو ويترجم إلى اللغة العربية القصص الهندية والأردية من أصولها.

كالعادة في كل سنة. ولكن هذه المرة وجد شيء في الجو يقلقنا أكثر من قبل كأننا نفترق لآخر مرة. وجد شيء يجبرنا أن نفترق في وقت واحد والسبب في ذلك هو ربما انقطاع وصول حوالات البريد من آباءنا وكذلك فشلنا في اجتياز امتحانات تنافسية ودورنا أيضا على مكاتب الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون للحصول على عمل ولكن من دون جدوى. لم يوجد هناك عمل وإن وجد كان عملا شاقا مقابل أجرة تافهة.

إن الشخص الأول من بين الأصدقاء الذي أعلن نيته للعودة إلى البيت هو "راغو راج". قال :إنني أعود للبيت، هنا في الله آباد، أصبحت الظروف شديدة ولا أجد حتى الرغيف لسد رمقي.

وقال كريشنا ماني ترپاتي :لازم تصبر وثق بالله. إنه يرزق كل ذي روح يخلقه. ضحكنا لسماع ما قاله كريشنا ماني تربپاتي. وجدناه كذلك منذ أن عرفناه. لم يكن يوقن بوجود الله ويضحك علينا بالحديث عن الله في كل موقف شديد.

كانت هي البداية. ورويدا رويدا مع مضي الأيام قررنا نحن كلنا أننا نعود إلى بيوتنا.

قال فينود: هذه المرة لن يذهب كل واحد منا على حدة. بل سوف نغادر هنا في وقت واحد. ونحن كلنا نجتمع في غرفتي مع بعض قبل المغادرة.

كنا نطلق "كوتيا" على غرفة فينود، وفي هذا الوقت كنت متوجها إلى غرفة فينود حيث توقعت أن أقابل جميع الأصدقاء . كنا اتفقنا على مغادرة هذه المدينة في اليوم التالي.

إن البقية من هذه القصة غير مشوقة ومحزنة. فلذلك أود أن أتحدث عن بدايات قصتنا.

التقيت بـ "أنور" في محفل أدبي حيث ألقى قصيدة وانتقدته انتقادا شديدا، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا صديقين وبتوصيتي قُبل عضوا في عصابتنا. كنا في عملية التعارف إذ وصل صاحب منزلي يطلب مني أجرة المنزل تحققت عليّ لسبعة شهور الماضية، وتمسخرت معه قائلا: يا سيدي عليك أن تنتظر المزيد لشهرين حتى تكتمل مدة نضج الطفل. إن الولادة قبل الأوان في سبعة أشهر تشكل خطراً للاثنين – الطفل والأم.

وبعده بدأنا نتحدث عن البحث عن غرفة جديدة للعضو الجديد في العصابة، ومن اليوم التالي شرع كل واحد منا في البحث عن غرفة جديدة، وفيما يتعلق بإيجار غرفة فإن لأصحاب الغرف مبادئ وضوابط لا يعدلون عنها، فبعضهم يؤجرون الغرفة فقط للمتزوجين والذين يوجد لهم عمل ثابت في مؤسسات توجد لها فروع في مدن أخرى حتى لا يمكث المستأجر في بيته إلا لمدة سنتين أو ثلاث سنوات. وبعضهم يشترط على عدم طبخ أو أكل اللحوم والبعض الآخر لا يرضى أن تقام الحفلات حتى وقت متأخر في الليل. وهكذا...

ولم توجد فيّ خصوصية من هذه الخصائص. لم أكن متزوجا وكذلك لم يوجد لي عمل، ولكن في آخر المشوار حصلت

على غرفة. والحقيقة أنه وجدت لعصابتي مبادئ وضوابط. كنا نحاول أن نكتري الغرفة في حارة حيث وجدت فتيات حسناوات. وكنا نجمع معلومات بهذا الخصوص عن طرق مبتكرة. كنا نتصل بأصحاب المقاهي والذين يبيعون أوراق التنبول ونسألهم عن المكان. يضاف إلى ذلك أننا نفضل الحارات والأماكن حيث نرى الملابس النسائية منشورة على الخطوط والجدران وفينود كان شاطرا جدا في هذه الأمور. فكان يدق كل باب يرى على جدران بيته الملابس النسائية منشورة ويسأل عن الغرف الشاغرة، وبعد أن وجدنا غرفة شاغرة أعطينا المقدم من الأجرة بدون تلكؤ وبلا تاخير واتفقنا على احتلال الغرفة من اليوم الأول من الشهر القادم. وبعد احتلال الغرفة أدركنا بفشلنا حيث عرفنا أن البنات لم يوجدن في البيت ولا في الجوار. فشعرنا بخيبة الآمال. فقال راغوراج: إن البنات في هذه الأيام يغررن الفتيان حيث إنهن ينشرن ملابسهن في مكان ويسكن في مكان آخر. وقال "براديب": هي الدنيا، وشرع الجميع الموجودون في الغرفة يغنون في صوت واحد.

إنما هذه الدنيا تغرنا

توجد الناسكة للناسك وللملك الملكة...

تكونت العصابة من عدد من الأعضاء.. براديب.. راغوراج.. كريشنا ترپياتي.. فينود.. دينانات.. تيرلوكي.. مدن

ميشرا و..و.. كنا طلابا جامعيين. وكان لنا شغف كبير بكل شيء وأي شيء له علاقة بالبنات. لو سمع أحد حديثنا عن البنات يظننا أناس سوء، ولكننا لم نكن كذلك. والبنات أيضا يهتممن بنا. لم نكن أغنياء بل كنا دائما نسأل تبرعات من البنات لأعمال اجتماعية. وترلوكي كان يسأل الفلوس من البنات حتى لأعماله الخاصة.

ومرة سألت بنت ترلوكي: لما ذا أنتم الرجال دائما تسألوننا نحن البنات المعونات المالية؟.

"ذلك لأن البنات توجد داخل صدورهم قلوب رؤوفة"، أجاب ترلوكي.

يوم تلقى حوالة البريد من البيت تصرف كل واحد منا كأنه الملك الأعظم. ينفق بسخاوة حتى تنفد الفلوس في أقل من أسبوع. وبعد ذلك يعود إلى الحالة السابقة لتلقى الفلوس عن طريق حوالة البريد.

ت الجامعة بعد إجازة الشتاء. وكنا مليانين بالحماس. ولكن البرد كان شديدا. أثر البرد في تضييق نشاطاتنا. وصلت لغرفة جلوس الأستاذ "سدانند" مقدما. عادة لم أكن أحضر فصول أي استاذ ما عدا الأستاذ سدانند. والسبب في ذلك هو أن الأساتذة الآخرين لم ينصفوا مع موادهم. يأتون لإدارة الفصل متأخرين ويخرجون من الفصل متقدمين. يحضرون لإدارة الفصول من غير أن

يأخذوا الاستعداد. في أكثر الأحيان لا يدرسون شيئا مفيدا وفي الفصول يلقون الدروس علينا عن طريق قراءتها من الكتب. انتظرت لتريياتي حتى يقدم ونذهب إلى مقصف الكلية لتناول الشاي مع بعض.

في نفس الوقت وكنت انتظر تربياتي وصل الأستاذ سدانند على دراجته البخارية. وعندما رآني أمام غرفته ابتسم وبدأ يتحدث عن قصيدة لي نشرت أخيرا في مجلة. كنا في الحديث إذ وصلت "أوبوما سريفاستافا" فاوقفتها وقدمتها للأستاذ سدانند. وعمدا قلت: نعم يا سيدي، كنت سيادتك تقدم لي رأيك في قصيدتي: وددت أن تعرف أوبوماسريفاستافا بأنني شاعر ونشرت قصيدة.

ابتسم الأستاذ سدانند وقال: نعم، هي قصيدة جيدة. يلزم أن تستمر في الكتابة.

في نفس الوقت وصل تريياتي أيضا وسلم على الأستاذ سدانند بـ"نمستاي" على الطريقة الهندية. كنا نحن الأربعة واقفين في الشمس إذ وصل رئيس قسم اللغة الهندية "رميش براساد". نحن كلنا كرهناه وأطلقنا عليه "القابا وكنيات". لم يكن رميش برساد أستاذا قديرا ولكنه دائما تصرّف كأنه هو الكلمة الأخيرة في آداب اللغة الهندية- الذروة في الأدب لم توجد ذروة بعده. لم يكن يعرف كثيرا عن الأدب الهندي ولكنه دائما أثار مشاكل للآخرين من زملاءه في القسم والكلية على أساس انتماءه الطبقي. كان برهميا

اقترب رميش برساد منا. سكت سداننـد ولم يقل شيئا. سلمت أنـا وترلوكـي علـى الأستاذ رميش براسـاد ولكنه لم يرد علـى ذلك وتوجه إلى غرفته. سلمت على سداننـد وهرولت وراء رميش براساد قـائلا: يـا سيدي، يلزم أن ننـاقش موضوعنا اليوم. فتوجه إلي وسأل: أي موضـوع؟ قلـت: الأسـباب الاجتماعـية لحـركة "باكتـي" (أي التصوف).

" تحدثت فـي هذا الموضوع في ذلك اليوم" ولم تسمع شيئا، قال بامتعاض.

لا يـا سـيدي. كنـت سـيادتك فـي ذلـك الـيوم تنشـر الكراهية الطائفية فـي اسم التصوف، قلت له بصراحة: "طيب. لما ذا أحدثك في هذا الموضوع وأنت لست طالبا لآداب اللغة الهندية، قال رميش براساد. تدخل ترلوكـي: كـأن حـركة التصـوف تـراث فقط لطـلاب آداب اللغة الهندية.

زعل الأستاذ رميش براسـاد وصـرخ قـائلا: اتركوا غرفتي فورا. أنـا لا أود أن أكلمكم. أتحداك، قلت له، كلمني في أي موضوع تحـبة. سـوف تجدنـي مطلعـا علـى ذلـك. يمكـن لـي أن أنـاقش أي موضوع.

"اغرب بوجهك" صرخ الأستاذ رميش برساد في وجهي.

طيب. أنا ذاهب. ولكن أقول لك شيئا. منذ أن أصبحت رئيس القسم لم يتقدم القسم. والبنات فقط يأخذن الدرجات العليا.

خرجت من الغرفة في غضب شديد. وولعت سيجارة. رأيت أوبوما سريفاستافا واقفة في انتظاري. ابتسم ترلوكى لرؤيتها وقال: إنها أكيد في انتظارك. والتي تقف بجانبها فهي لي.

لا تحلم في وضح النهار، قلت لترلوكي: هذه الأحلام لا تتحقق.

توجهنا إلى محل "لالا" الذي وجد في جوار الجامعة، هذا المحل كان دائما مزدحما بالطلاب والسبب في ذلك هو وجود داخلية البنات مقابل هذا المحل. كالعادة رأينا عددا كبيرا من الطلاب والطالبات بالمحل. كانوا يتحدثون عن الانتخابات الطلابية. أشار ترلوكي إلى بنت لبست ساري أصفر اللون وقال: شوف هذه البنت. هي والله جميلة جدا واللون الأصفر يناسبها كثيرا. هي والله موناليزا الهند.

رأيت إلى حيث أشار وقلت: العار عليك يا ترلوكي. هي صديقة "بانكاج ساكسينا". وهما مزمعان على الزواج فور حصوله على عمل. وبدأنانتحدث عن الانتخابات. ان عضوا من أعضاء عصابتنا كان أيضا ترشح لمنصب رئيس الاتحاد الطلابي. لم يحتل هذا المنصب بعد الاستقلال إلا طالب برهمي. كنا في الحديث إذ رأينار اغوراج يقدم إلينا جريا. كان يلهث للنفس. وصل راغوراج إلينا وقال مباشرة: دبروالي ستة سنبسات. فهمنا أنه لم يأكل شيئا. سألناه: من أين أنت؟

قـال: حبائبـي، رأيت بنتين في الركشا وكنت أركب دراجتي. فتعقبتهما حتى وصلنا إلى دارخيال. فدخلتاها لمشاهدة الفلم وأنا أيضا تبعتهما.

" كيف كان الفلم". سألناه

"كان الفلم أوكى. ولكن صالة السنيما كانت وسخة.

"وكيف كانت البنات؟ وجهنا إليه سؤالا آخر.

"احداهما كانت متزوجة. والثانية فهي تليق أن تكون زوجتي."

ولكنك تحب المتزوجات أكثر نبهته.

وذلك لأنهن....

يلزم أن تكون أديبا. تكتب روايات.

نعم، أكيد، أنني بصدد كتابة رواية في هذه الأيام. وأخيرا أكملت قصة عنونتها: وقعت ثلاث بنات من دلهي في حب ثلاثة أولاد من الله آباد. قال هذا وقهقه. لازم تعرف أن المرأة العاقر لا تلد. إنني لم أكتب شيئا ولن أكتب.

فقلت له: هذا هو الوقت المناسب ان تزهد عن الدنيا.

طيب. ولكن لا تقله بصوت عال. إن البنات يسمعن كلامك. وأنت تعرف أنه توجد داخلية البنات مقابل هذا المحل. وبعد غروب الشمس تصبح الداخلية مدار فكري.

وبعده كنا متفقين على الاجتماع في "شهيد باوان" من نتوجه إلى مسرح "كالاباوان". كنا مزمعين على معارضة افتتاح مهرجان المسرحيات. ان كالا باوان منظمة حكومية حيث يجتمع كبار الشخصيات الحكومية والبيروقراطيون من حين إلى حين يراقصون البنات ويشربون الخمور. كان فينود حصل على تذكرة دخول واتفقنا أنه يدخل المسرح ويوزع المنشورات الاحتجاجية لإغفالهم الفن للفن والبقية يتظاهرون خارج المسرح ضد الإهمال الحكومي للفن والفنانين بشكل عام وتحويل المسرح إلى وكر الخلاعة لكبار الموظفين.

***

هكذا كنا نحن أعضاء العصابة شجعانا نعارض الظلم حيثما كان. لم نظلم أحدا وكذلك لم يكن بمقدورنا أن نتحمل شخصا يظلم آخرين. كنا نؤيد ونساعد المحتاجين. كنا نخ
اجتماعية ضد مرتكبي المظالم ونرفع هتافات ونعرات. كنا ننظم اجتماعات ونشارك فيها. كنا نضرب عن الدراسة ضد أعمال الظلم. ولكننا في نفس الوقت نولي اهتماما كافيا لدراساتنا. حصلنا على شهادات ولكننا منذ طويل لم نجد عملا. قدمنا طلبات وطلبات ودورنا على مكاتب ومؤسسات ولكن من غيرجدوى. كل محاولاتنا باءت بالفشل. ومع مضي الوقت بدأت ابوما تعاملني بخشونة. كل مرة قابلتها حدثتني عن بذل المزيد من الجهود. أصبحت علاقتنا ضعيفة وانقطعت. وكذلك بدأ الأساتذة يهملوننا وحتى الأستاذ سدانند

لم يهتم بنا كما سبق. بدأنا نغير طريقنا عند رؤيتنا الأساتذة والآخرين من معارفنا. كنا نخاف أن يسألونا عن نشاطاتنا.. عن العمل. ولم يكن بمقدورنا أن نواجههم.. ان نرد على أسئلتهم.

وكذلك تقللت لقاءاتنا نحن الأصدقاء الحميمين. وفي هذه الفترة ذهبنا مرة إلى بيوتنا وعند ما رجعنا لم نكن نشطاء مثلما كنا قبلا، كنا نخاف أن نتقابل. لم يوجد في الدنيا أحد يهتم بنا.. يحبنا.. حتى آباءنا وأقرباءنا فكروا بأننا ضيعنا وقتنا وفلوسهم. كنا فقدنا كل شيء في الحياة حتى الثقة بأنفسنا. كنا فاشلين فشلا ذريعا.

وأخيرا قررنا كلنا نحن الأصدقاء أن نعود للبيوت من غير رجعة إلى الله آباد. واتفقنا أن نجتمع للمرة الأخيرة في كوتيا أي غرفة فينود للتوديع الأخير.

والبقية للقصة أننا اجتمعنا في كوتيا. كان زمان أن وجدت الغرفة مرتبة ولكن الظروف الأخيرة أثرت فيها. فقدت الغرفة جمالها وزينتها. والآن كانت الأشياء منتشرة هنا وهناك. الملابس على الطاولة والكتب تحت السرير.. الأحذية والصنادل بجانب الكتب أو قل مع الكتب. بدأنا نشرب الخمور ربما لآخر مرة مع بعض. الأحزان والخمور أفقدت ترلوكي صوابه فبدأ يتحدث أو قل يهذي هذيانا.. قال: من سوء حظ بلادنا أن الشباب من أمثالنا لم يوجد لهم عمل مفيد ولا الزوجات.. فكيف نعيش عيشة راحة.

أيـوه.. أيـوه.. أعـرف جيدا، قلـت له. "إن الـناس أصـبحوا متوعين أكثر في هذه الأيام.. يوجهون كثيرا من الأسئلة.

لا، ابـدا.. لـيس الأمـر كذلـك. تدخـل فـي حديثـنا "ديـنانات" الأحوال تتغير ولن نعاني هكذا دائماً.

ولكن لما ذا اجتمعنا هنا؟ سأل "مدن" بلهجة الفلسفي.

" لنودع كل واحد منا الآخر.. ربما لآخر مرة، بلغته.

لا، ابـدا. تدخـل براديـب، نظمـنا هـذا المحفـل لنـندب علـى أنفسـنا.. علـى مسراتنا. انتهت كل مسراتنا قبل عقد هذا المحفل. ومن الغد سوف نكون من عداد المواطنين المحرومين.

لسنا آدميين لا توجد لنا حقوق. الذين لا يوجد لهم عمل ليسوا آدميين، بدأ ترلوكي يبكي بمرارة. كنا نحن كلنا محزونين. سكتنا ولم ينبس أحد ببنت شفة. استمر ترلوكي في البكاء. اقترب منه كريشنا ماني ودس سيجارة بين شفتيه المرتجفتين وقال متهكما: سيدي، لا تيئس. إن الله سوف يسبغ عليك نعماته يوماما. لا تبك هكذا. ان شاء الله في القريب سوف تصبح زعيما سياسيا وتكسب أموالا كثيرة.

نحـن كلـنا كـنا علـى وشـك الـبكاء فبدأ كـل واحـد مـنا يسـلي الآخر.

كـنا نشـرب الخمـور وندخـن السـجاير. كانـت الغـرفة ملـيانة بالدخـان. قـال مـدن بلهجـة الفلسـفي: نمـوت كـل يـوم مـرات عديـدة. عندما يسألني أحد: ما ذا تفعل في هذه الأيام فهذا السؤال يميتني كل

مرة اسمعه. ربما تفتكر بأنني أقول هذا الكلام تحت تأثير الخمور. لا أبدا، ليس الأمر كذلك، إنني بكيت كثيرا بسبب البطالة. قبل شهرين بمناسبة مهرجان "راكشاباندان" لم يوجد لدى ولا فلس حتى اعطيه لاختى الصغيرة. إن أخي الأكبر اشترى لها ملابس جديدة وأسورة وأعطاها خمسمائة روبية نقدا. إن اختى عرفت حالتي المادية. فوضعت ورقة نقدية من فئة مائة روبية في جيبي في الصباح حتى أعطيه اياها أمام الآخرين، إنني بكيت كثيرا في ذلك اليوم.

وقال فينود: إن والديّ يوليان اهتماما كثيرا بشقيقي الكاسب ويهملونني إهمالا. ووالدي لا يحدثني أبدا. ولا ينظر إليّ حتى. هو يغضب مني لسبب ومن غير سبب.

فتدخل راغو راج قائلا: إنني أود أن أبوح بسري. نحن الآن بصدد الافتراق ربما لأبد الآبدين. فلذلك أود أن أقول لكم سري. كنت اشتغل نصف دوام بصيدلية مقابل راتب شهري بلغ مائتين وخمسين روبية لست ساعات يوميا من غير إجازة في الأسبوع. قال هذا واجهش بالبكاء. فبدأنا كلنا نبكي. كان الوقت ليلا الآن. حان وقت التوديع. فقام راغو راج وقال: إخواني: الوداع، اتفقنا أن نبلغ الآخرين بعد الحصول على عمل. ولكن لغاية اليوم لم اتلق رسالة من أي صديق وكذلك لم اكتب لأحد.



استعراض كتاب

- محمد أسجد القاسمي الندوي *

اسم الكتاب: حركة الترجمة في العصر العباسي

اسم المؤلف : أورنك زيب الأعظمي

الناشر : دار الحرف العربي، بيروت

عدد الصفحات : ١٦٠

الثمن : لم يذكر

لدينا الآن كتاب جديد في طراز جديد وحلة قشيبة، وهو يبحث عن موضوع "حركة الترجمة في العصر العباسي" وقد أعدّ هذا الكتابَ الفريد العلمي الأخُ الفاضل أورنك زيب الأعظمي المعروف في الأوساط العلمية والأدبية منذ أعوام، تخرج الأعظمي في الجامعة العريقة الهندية "جامعة الإصلاح"، بسرائ مير أعظم جره، ولهذه الجامعة خدمات عظيمة في مجال البحث والتحقيق، وهي تتميز ببعض رجالها النابغين من بين سائر جامعات الهند، وعلى رأسهم العلامة حميد الدين الفراهي، وتلميذه النجيب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

* - محاضر بدار العلوم الإسلامية، بستي، الهند.

إن الأخ أورنك زيب يجمع بين عراقة النسب وغزارة العلم، ووسع الدراسة وعمقها والجهود الدائبة الحثيثة في خدمة العلم والدين، إنه تخرج عام ١٩٩٥-٩٦م في جامعة الإصلاح، ثم التحق بالجامعة الملية الإسلامية بدلهي، فأحرز درجات الفوز الممتاز في الليسانس عام ١٩٩٩م، وخلال ذلك حاز شهادتي الدبلوم والدبلوم المتقدم في اللغة العربية الجديدة والترجمة في ١٩٩٨م و١٩٩٩م وفي ٢٠٠١م أتم الدراسات العليا (الماجستير) بتفوق ممتاز، والآن هو باحث في جامعة جواهر لال نهرو بدلهي، وموضوع بحثه "Selected English Translations of the Quran, a critical and analitical study" ووفقه الله خاصة حيث قد قام بإعداد عديد من الكتب والبحوث والمقالات العلمية والأدبية، وترجم كثيرا من الكتب والبحوث إلى الإنجليزية والعربية ومنها، وأشهر مؤلفاته كما يلي:

(١) الأيام: دراسة تعريفية تحليلية نقدية

(٢) مبادئ تدبر قرآن (تحقيق) (بالأردية)

(٣) قاموس ألفاظ واصطلاحات قرآن (جمع وتحقيق) (بالأردية)

(٤) الخدمات القرآنية للعلماء والمفكرين الهندوس (ترجمة بالأردية)

وما عدا ذلك، فله عدة كتب في الإنجليزية، أما بحوثه القيمة فقد طبعت ولاتزال تطبع في عديد من مجلات الهند وخارجها، ومن تلك المجلات "ثقافة الهند، النهضة الإسلامية، المظاهر، صوت

الأمـة، البعـث الإسـلامي، صـوت الإسـلام، معـارف، ريديـنس" وغيرها.

أما الكتاب الذي أريد الاستعراض له فهو ينوط بموضوع مهمٍّ، وهو "حركة الترجمة في العصر العباسي" والكتاب يحوي زهاء ١٦٠ صفحة في طباعة أنيقة من دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، قد قام المؤلف الفاضل بتأدية حقوق المربّين له، فأهدى الكتاب إلى شيخين جليلين، وهما الشيخ السيد محمد الإصلاحي والشيخ احتشام الدين الإصلاحي حفظهما الله، وشكر إخوانه المساعدين في إعداد هذا الكتاب، وأبدى أن هذه الدراسة التحليلية إنما هي أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قد نوقشت بإشراف الأستاذ الدكتور سيد إحسان الرحمان رئيس قسم الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو.

ومن حسن حظّ المؤلف أن الدكتور السيد إحسان الرحمن حفظه الله قدّم الكتاب وعرّفه بالكلمات الغالية العالية، وأبدى رأيه بأن هذا الكتاب يتحدّث بإيجاز عن مختلف المراحل التي مرّت بها حركة الترجمة العربية عبر العصور ابتداء من عصر الجاهلية قبل الإسلام حتى العصر العباسي، وقد عالج المؤلف فيه هذا الموضوع بشمولية غطّت مختلف جوانبه ابتداء من البدايات البسيطة المقتصرة على الترجمة الشخصية، لإيجاد التفاهم بين طرفين أو أكثر من طرفين، حتى الترجمة الكتابية خلال العصور الإسلامية، وتحدّث

عن وجوه وأسباب العملية والفردية في البدايات ولأغراض محدودة، إلى حركة مزدهرة واسعة النطاق في العصر العباسي، وأورد المؤلف قائمة طويلة بأسماء الكتب والمصادر التي استفاد ونهل منها، وذلك يؤشّر إلى إطلاعه الواسع على الموضوع وعمق دراسته والخوض في الموضوع.

ثم سلط الأستاذ الدكتور رحاب عكاوي (بيروت) الضوء على تاريخ الترجمة العربية وترقيتها من طور إلى طور، ثم ذكر المؤلف في مقدمته أنه قسم هذا الكتاب إلى ثمانية عشر بابا، والباب الأول ينوط بحركة الترجمة في العصر الجاهلي، أثبت فيه المؤلف أن الترجمة ليست بدعة طارئة على العرب، بل هي معروفة لدى العرب منذ زمن بعيد، واستدلّ على ذلك بالعلاقات الشخصية والتجارية والدولية والدينية والدراسية، وأوضح توطّد الصلات الأكيدة بين عدة أفراد الجاهلية وغير العرب، ومنها زيارة الأعشى الحيرة وأرض النبط والعجم، ولقاء إمرئ القيس الملك الضليل مع القيصر، وصلة العرب الأعاظم مع المنذر بن نعمان، وهذا يدلّ على وجود ترجمة شفوية على الأقل في عرب الجاهلية، وأثبت العلاقات التجارية بين العرب في الجاهلية وغير العرب، ومنها علاقات قريش مع الهند والصين والفرس والروم والحبشة وحكومة الحيرة والغساسنة، وأوضح أن ورود الكلمات الخاصّة بتلك البلاد العجمية في لغة قريش دليلٌ قاطع على ذلك، وكذا أثبت العلاقات

الدولية بين العرب والعجم، ومنها عمل عدي بن زيد كسفير لهرمز بن أنوشيروان إلى القيصر وطيباريوس وغيره، يكتب المؤلف الفاضل أن الدين قد لعب أيضا دوراً بارزاً في إحياء حركة الترجمة، فكانت مكة محطة على طريق القوافل بالأخص لتمركزها الديني، وكذا جعل البيزنطيون كنائس في بلاد العرب، قامت بدور بارز في التبادل الثقافي، وقد ثبت أن التوراة كانت مترجمة إلى العربية في العصر الجاهلي، وأن الشعراء استخدموا في كلامهم معاني تختلف عن معاني كلمات ديانتهم ما يدلّ على وجود التبادل الثقافي والديني.

وأثبت المؤلف أن الجاهليين كانوا يرتحلون إلى بلاد أخرى لتعلم الطب والفلسفة وغيرهما، فتعلّم الحارث بن كندة وابنه النضر في فارس، وأرسل زيد ابنه "عديا" إلى الكتّاب لتعلّم الفارسية في فارس التي صار سفيراً فيها، ولا شك أن تبادل الآراء كان واقعاً فيهم عن طريق الترجمة.

وكذا وجود الكلمات الأجنبية في كلام الجاهليين دليل قاطع على ذلك، كما توجد كلمة "زبور" في شعر إمرئ القيس، مع أنها كلمة عبرية. وكذا توجد كلمة "السجنجل". وهي كلمة رومية، ز أمثالها كثيرة في أشعار الجاهليين.

والباب الثاني في الكتاب حول "حركة الترجمة في عصر ر الإسلام" قد ذكر فيه المؤلف دلائل عديدة على وجود الترجمة

وحركتها المنظّمة في عصر صدر الأسلام. ومنها الحوار الجاري بين النجاشي والمهاجرين في المسلمين والوفد القرشي الذي ذهب لاسترداد المهاجرين، فقد تمّ هذا الحوار بترجمان في بلاطه. ومنها استفادة المسلمين من أهل الكتاب، ومنها أن مكة والمدينة كانتا مركزين لليهود والأحابشة والفرس والبيزنطيين المتكلمين بلغاتهم، فتعلّم أصحاب الرسول الأبرار لغاتهم، وخاصة تعلّم زيد بن ثابت هذه اللغات جمعاء على الناطقين بها، وقام بالترجمة للنبي صلى الله عليه وسلم في عدة مناسبات، ومنها معرفة سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص اللغة السريانية، ومعرفة عديد من الصحابة اللغات المختلفة.

والباب الثالث بصدد "حركة الترجمة في العصر الأموي" أثبت فيه المؤلف أن العصر الأموي لم يتأخر شيئاً على العصر الإسلامي الأول في مجال الترجمة، بل تقدّم عليه وازدهر، وأكبر دليل على ذلك أن الطبيب المعروف ابن أثال ترجم لسيدنا معاوية عدة كتب في الطب من اليونانية إلى العربية، وكان معاوية ولوعاً إلى سير سلاطين العالم، فاختار لذلك عددا من المترجمين يقرءون عليه السير مترجمة إلى العربية، وكذا ترجمت لخالد بن يزيد بن معاوية عدة كتب في الصنعة والطب والنجوم، ومن أبرز التراجم في عصر الأمويين ترجمة الدواوين التي تمّت في عصر الحجّاج من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، وكذا ترجمت عدة كتب للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك.

أما الباب الرابع للكتاب فهو يبحث عن "حركة الترجمة في العصر العباسي" أثبت في الباب المؤلفُ أن العصر العباسي في الواقع عصر نشأت فيه حركة عظيمة للترجمة، حركة رغب فيها خلفاء الدولة، ولم يتأخر عامة الناس عن مواكبة الدولة، فهو عصر ممتاز بالمحاولة الاجتماعية الجادّة، ولم تقتصر عملية الترجمة فيه على العلوم العملية فحسب، بل قد تعدّت إلى العلوم العقلية حتى الخرَافات، ووزع المؤلف العصر العباسي على ثلاثة أقسام.

(١). الدور الأول من خلافة السفاح إلى نهاية حكم الأمين (٧٥٤ – ٨١٣) وهذا الدور يمتاز بترجمة الكتب العلمية بما فيها الطب والفلك والرياضيات وفي خلافة المنصور عنيت الدولة بترجمة كتب الطب والفلك والتنجيم، وفي زمن هارون الرشيد الذي كان مولعاً بالعلوم اليونانية ترجمت الكتب الطبية القديمة، وكتب أرسطو في المنطق، وكتاب اقليدس، وعدة كتب هندية واعتنى خلفاء هذا الدور بالكتب الفلكية، وكان هذا الدور مزدحماً بالعلماء والأدباء.

(٢). الدور الثاني من خلافة المامون إلى نهاية حكم المقتدر (٨١٣-٩٠٨) وهو يتميز بترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والمنطق مع القيام بالتأليف والتعليق والتلخيص، وعلى رأس خلفاء هذا العصر مامون الرشيد الذي كان مائلاً بطبعه إلى كتب الحكمة والفلسفة والمنطق بسبب نزعاته الاعتزالية، فقد أكمل ما بدأ به المنصور، وأمر بترجمة جميع الكتب الفلسفية لأرسطو، وأرسل

الوفود إلى مختلف بقاع العالم لجمع الكتب ثم ترجمتها، وتوجد تراجم العصر الماموني منقحة بالنسبة لتراجم العصر الهاروني كما هو رأي المؤلف الفاضل. وفي حذاق الترجمة في عصر المامون حنين بن إسحاق ويعقوب بن إسحاق الكندي وعمر بن الفرخان الطبري، ويتميز هذا الدور بالحماسة البارزة للترجمة، حيث كان يوزن الكتاب المترجم بالذهب. وكذا يتميز بترجمة كتب الهيئة، وفي عصر الواثق بالله توّفر عدد كبير من المترجمين والفلاسفة، وفي عصر المتوكل ترجمت عدة كتب، وفي عهد المستعين بالله ترجمت عدة كتب يونانية، والمقتدر بالله أرسل وفداً من أطباء العرب إلى الهند لكي يأتوا منها بعقاقيرها المفيدة في أمراض الناس.

(٣). الدور الثالث من خلافة القاهر إلى نهاية العصر العباسي (٩٠٨-١٢٥٨). وهو يتسم بقلة الاهتمام بترجمة الكتب الفلسفية وبزيادة العناية بترجمة الكتب الأدبية وبالأخص من أدب الفرس، ولم تزل هذه السلسلة جارية حتى وقعت كارثة سقوط بغداد على يد هلاكو عام ١٢٥٧م، فانقلب للعرب ظهر المجن، وبدأ العهد العكسي- على لسان المؤلف- للتقدم العلمي والفكري لينطلق من العربية إلى اللاتينية وغيرها من اللغات، وقد أجاد المؤلف في استعراض حركة الترجمة في هذه العصور الأربعة.

الباب الخامس في الكتاب متعلق ببواعث النقل والترجمة، ذكر فيه المؤلف أهم الدواعي في ترجمة الكتب والعلوم، وهي أكثر

من عشرين: (١) القرآن والحديث: وتاكيدهما على التعليم والتفكير والبحث، (٢) احتكاك العرب بغيرهم من الأمم (٣) حاجة العرب إلى العلوم (٤) العلم من توابع الحفارة (٥) رعاية الخلفاء للترجمة والمترجمين (٦) العلم من مظاهر التقدم (٧) الجدل الديني والمناظرات (٨) معرفة الفلسفة والمنطق اليونانيين (٩) التدوين بالعربية (١٠) حب علم الغيب (في النجوم والنبوءات) (١١) اتساع الدولة (١٢)حاجة الدولة (١٣) الدين والدنيا (١٤) وحدة اللغة (١٥) الرد على الأفكار الباطلة (١٦) حب الاستطلاع (١٧) وجود المعرفة والحياة الفكرية (١٨)الإيمان بأثر النجوم في المراسم (١٩) تكميل ما بدأوه في العصر السابق (٢٠) شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وتحريضه الناس على التفكير والتدبّر والأخذ من غيرهم (٢١) توفر الرخاء وأوقات الفراغ، وقد توفرت أسباب الرخاء بالأخص في العصر العباسي فبدأ الناس يتدبرون ويتفكرون ويبحثون عما أحبّوا وأرادوا، وصار ذلك سببا أكبر في زيادة حركة النقل سرعة وازدهاراً، (٢٢) الطابع العام للدولة العباسية فقد كوّنت في المسلمين طابعا عاما للترجمة والتاليف والتفكير.

لقد ذكر المؤلف هذه الدواعي المهمة في ضوء دراسته العميقة ما يدلّ على جهده المضني الحثيث في إعداد هذا البحث العلمي.

الباب السادس من الكتاب منوط بمدارس الترجمة، ذكر فيه المؤلف الفاضل قائمة أهم المدارس التي لعبت دوراً بارزاً في مجال

الترجمة، ومنها المدرسة الاسكندرية (٣٠٦ ق.م.) التي اهتمت كثيرا بجانب علم اللاهوت في الطب، وكانت تلقى فيها محاضرات وشروح بستة عشر كتابا من كتب جالينوس، ولا زالت معروفة باتجاهها العلمي في دراساتها حينما جاء الفتح العربي الإسلامي، ومن أبرز المتخرجين من هذه المدرسة يحي النحوي وأصطفان الأسكندري، ويوحنا الأفامي وسرجيوس الرأس عيني وأمثالهم، ولكتابات هؤلاء دور رائع هامّ في دراسات العرب الأولى، وفي تلك المدارس مدرسة قنسرين الواقعة على ضفة نهر الفرات، وقد أنجبت هذه المدرسة رجالا نابغين كان لهم تأثير عميق في تطوّر الفكر العلمي لدى العرب، وهم أول من نقل الكتب الفلسفية والطبية من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية، ومنها مدرسة جنديسابور (٢٥٠٠) أسسها ملك الفرس خسرو أنو شيروان، وعناية هذه المدرسة لم تقتصر على الدراسات اليونانية والسريانية والفارسية، بل اتجهت أيضا إلى فلسفة الهند وعلومها حيث ترجم فيها قدر كبير، وكان الطب اليوناني والطب الهندي يعلّمان في هذه المدرسة ويتطوّران، وفي العصر العباسي الأول انتقل أطباء هذه المدرسة إلى بغداد.

ومن تلك المدارس مدرسة حران التي أنشئت في عهد الإسكندر واستمرت لمدة طويلة مركزاً للدراسات اليونانية الوطنية ودراسة الأفلاطونية الجديدة. وكان لها أثرها الفعّال في نشر الرياضيات والفلك، ومن تلك المدارس مدرسة الرها، ومدرسة

نصيبين ومدرسة قيسارية ومدرسة أنطاكية، أثبت المؤلف أن الحقبة الواقعة بين ظهور الفرق المسيحية وبين فتح العرب لهذه البلاد كانت غنية بالترجمات من اليونانية إلى السريانية، وهذه المدارس أصبحت أرضاً خصبة مهيأة لاستقبال بذور الفكر العربي الذي كان على وشك الظهور والانبثاق وقدّمت الأسس التي استطاع العرب المسلمون أن يبنوا عليها فلسفة وعلوماً دينية وطبية ورياضية وغيرها.

الباب السابع حول تنافس الخلفاء والوزراء والعامة في مجال الترجمة، أثبت فيه المؤلف أن العصر العباسي يتميز عن سائر العصور بالتنافس في مجال الترجمة، واستعرض المؤلف عناية خلفاء العصر العباسي ووزراءه ورعيته بالترجمة، فذكر من الخلفاء الخليفة المنصور وهارون الرشيد وما أنشا هارون داراً لهذا الفن أسماها "بيت الحكمة" وما أمدّ هارون المترجمين بأنواع من المساعدات وما قام به الخليفة العباسي مأمون الرشيد من ترقية فنّ الترجمة وتعظيم المترجمين والعناية البالغة بترجمة الكتب وتعيين كتاب نحارير ناقلين ذخائر العلم اليوناني، وذكر أن المتوكل أبلغ الاهتمام بهذا الفن ذروته، وكذا ذكر اهتمام الواثق بذلك.

وذكر من الوزراء والأمراء والندماء المساهمين في مجال الترجمة البرامكة الذين قدّموا خدمات جليلة بهذا الصدد، وخاصة يحيى البرمكي الذي رسم خريطة بيت الحكمة الذي أنشأه هارون

الرشيد، وجلب الأطباء من الهند، وبذل أموالا طائلة في ترجمة كتبهم إلى العربية، ومن المعروفين في الإسهام في هذا المجال بنو موسى الذين نافسوا الخلفاء في إرسال الوفود إلى بلاد الروم لشراء الكتب اليونانية وفي التعاقد مع خيرة أرباب الخبرة من المترجمين، والوزير القاسم بن عبيد الله، والوزير محمد بن عبد الملك الزيات وابن المنعم نديم المأمون، والفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون وغيرهم.

أما رعية العصر العباسي فكانت مهتمة كثيراً بشأن الترجمة، ومن المترجمين العامّة الراغبين في هذا الفن عبد الله بن المقفع المترجم لكثير من الكتب، وشير شوع بن قطرب الذي أكثر تراجمه من السريانية إلى العربية، وثادري أسقف بغداد، وعيسى بن يونس الكاتب، وبختيشوع بن جبريل الذي ترجم له أكثر كتب جالينوس، وأحمد بن محمد المعروف بابن المدبّر، وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب، وسيف الدولة والفتح بن خاقان وعلي بن عيسى، وعبد الله بن إسحاق وإبراهيم بن علي وغيرهم.

والباب الثامن من الكتاب على موضوع "عدد البلاد والعلوم واللغات والمترجمين" ذكر المؤلف أن هذا الموضوع صعب، واستقصاء عدد البلاد والعلوم واللغات والمترجمين عسير جداً، مع أن المؤلف قدّم خطاه في هذا المجال، وذكر تسع عشرة لغة من اللغات التي ترجمت منها العلوم، وهي السريانية واليونانية

والسنسكريتية والهندية والأفريقية والفهلوية والسندية والفارسية والعبرية والنبطية والكلدانية والقبطية والشامية والكالدية والرومية والمجوسية واللاتينية (الرومية القديمة) والآرامية والحبشية.

وذكر من البلاد التي ترجمت منها العلوم اليونان ومصر والعراق وفارس والهند والشام والروم وإسرائيل والحبشة، وذكر أن العلوم التي دخلت بلاد العرب عددها أكثر من ثلاثين علماً، وذكر قائمة ما يطول ذكرها هاهنا، وذكر في عدد المترجمين أن تعيينه صعب للعناية، فإن عدد مترجمي "بيت الحكمة" فقط يربو على ١٩٠ مترجماً، وأبدى رأيه بأن المترجمين كانوا أكثر من خمسمأة.

وفي الباب التاسع من الكتاب فهرس المترجمين، وعدّ المؤلف فيه مترجمي الفارسية، ومن أشهرهم ابن المقفع وفضل بن نوبخت وأحمد بن يحيى البلاذري وغيرهم، وعدّ مترجمي السنسكريتية، ومن أشهرهم بازيكر الهندي، وصنجل الهندي ونوكشل وغيرهم، وعد مترجمي اليونانية واللاتينية ومن أشهرهم أصطفن والبطريق وموسى الخالد وحنين بن اسحاق وغيرهم.

الباب العاشر للكتاب يرتبط بموضوع "متطلبات المترجمين" أثبت فيه المؤلف أن الترجمة عملية صعبة دقيقة، لابدّ لأداء حقها أن يتصف المترجم بالإطلاع الواسع على اللغتين: اللغة التي يترجم إليها واللغة التي يترجم منها، ومترجمو العصر العباسي

كـانوا بارعيـن ممتازيـن بـالإطلاع الواسـع علـى اللغـات، ولابـدّ أن يكون المترجم قـادراً علـى فهم الموضـوع الـذي يـترجمه وشـرحه وتفسيره، ومـن هـذه الجهـة أيضـا كـان مترجمو العصـر العباسـي صـادقين للمستوى، وأن يكون المترجم باحثا عن النسخة الأصلية للكتاب الذي يريد ترجمته فإن التصحيف طالما يقع في نسخ الكتاب، وأن يعيد النظر فـي الترجمة مراراً وتكراراً كـي ينقحها ويجلوها، وذكـر المؤلـف أن المسؤولين فـي العصـر العباسـي كـانوا يأمـرون العديد من المترجمين بترجمة كتاب واحد ثم بعد ذلك كانوا يختارون الجيد الصحيح منها، وهذا الأمر نهاية في الدقة والاهتمام بالترجمة.

الباب الحـادي عشر للكتاب في أنواع الترجمة، استعرض فيه المؤلـف سـائر أنـواع التراجم فـي العصـر العباسـي، وذكر اثنتي عشرة ترجمة وهي كما يلي:

(١) الـترجمة الحرفـية (٢) الـترجمة الأدبـية (٣) الـترجمة الحــرّة (٤) الـــترجمة التلخيصـــية (٥) الـــترجمة التشـــريحية (٦) الترجمـة المــباشرة (٧) الترجمـة الاستفادية (٨) الترجمة التحليلية (٩) الـترجمة التطبيعـية (١٠) الـترجمة الجامعـة (١١) الـترجمة الكاذبة (١٢) التعريب

ثـم ذكـر المؤلـف تفاصيل هذه الأنـواع والحذاق فيها وذكـر الـترجمة الكاذبـة وصـورها المختلفة مـن تـرجمة الفصـل مـن كـتاب

وتسميته كتاباً مستقلاً، أو الانتحال والنسبة إلى الغير وغيرذلك، وذكر المؤلف أن الحرص على الأموال أو الفخر بوجود كتاب الأعاظم لديه أو غلط النسبة إلى غير المؤلف هي الباعث للترجمة الكاذبة.

الباب الثاني عشر يوضّح نتائج الترجمة، ذكر المؤلف عديدا من نتائج التراجم ومنها اتساع الثقافة العربية بما دخل عليها من ثقافات الأمم ومذاهب فكرها، وإطلاع العرب على علوم كانوا في حاجة إليها كالرياضيات والطب، وإتاحة فرصة مبكّرة للعرب مكّنتهم من أن يؤدّوا رسالتهم في تطوير الثقافة الإنسانية، وارتقاء الحضارة العربية في الحياة العلمية العامة في مختلف العلوم والفنون، واتساع اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتعابير الفلسفية، وتطور الأدب العربي، والاستفادة من المقاييس والمدارك الأجنبية في معالجة العديد من العلوم الشرعية واللغوية: في التعريف والتقييم والمنهج المنطقي والبراهين، وظهور العبقريات، وإزدهار مهنة الوراقة، والإخلاص في قبول الدين وغيرها، وقد أوضح المؤلف في أسلوبه الخاص سائر هذه النتائج، ما يدلّ على عمق دراسته وسعة فكره في هذا الشأن.

الباب الثالث عشر حول "أثر الأمم الأجنبية في العرب"، أوضح فيه المؤلف أن العرب أخذوا العلوم والفنون من مختلف الأمم والأقوام، والأمم التي أخذ منها العرب أكثر فأكثر هي ثلاث على

رأي المؤلف، وهي الهند واليونان والفرس، ذكر المؤلف أن الهنود أثروا في العرب من طرق أربع:

(١) إثراء المعجم العربي بالكلمات الهندية

(٢) القصص الهندية التي كان العرب مولعين بها

(٣) الحكم التي كان العرب ولوعين بها

(٤) الأفكار الدينية التي أخذ العرب كثيراً منها،

أما اليونان فتأثر العرب كثيرا منها، وأخذوا منها الكثير من المفردات، ومن ذلك زيادة في المعجم العربي، والقصص اليونانية، والحكم والمناظرات ومذاهب الفكر الجديدة، والإلحاد والزندقة، وطابع المنطق، والبعد عن تعاليم الإسلام، وكذا تأثر العرب بالفرس، ودوافع التأثر بالفرس هي التربية الفارسية، وأثر الفرس في الحكومة وعادة الفرس في أمور الدين من البحث والجدل والمناظرة، وميزة الفرس العلمية، والكتب وغيرها، والمجالات التي تأثر فيها العرب بالفرس هي العواطف والأفكار والإدارة والزعامة العجمية، والكتب والعلاقة الجغرافية، ومسلو الفرس والموسيقى والغناء، والأدب والشعر، والتعظيم والتبجيل، وزيادة المعجم العربي، والفرق الضالة، ووضع الأحاديث والأشعار والتقاليد الفاسدة، أثبت المؤلف بذلك غلبة تأثر العرب بالفرس على تأثرهم بغير الفرس، ثم ذكر المؤلف تأثر العرب بالصحف السماوية الأخرى من التوراة والإنجيل، والمترجمة إلى العربية في العصر

العباسي، تأثر العرب من هذه الصحف في اعتقاداتهم وفي القصص وفي زيادة المعجم العربي.

الباب الرابع عشر يتعلق بالاعتراضات القائمة من قبل المستشرقين والنقاد على صحة ترجمة العصر العباسي، وأمانة المترجمين وديانتهم، استعرض المؤلف هذه الاعتراضات وأجاب عليها بدلائل صريحة مفحمة، ردّ المؤلف على اعتراض صحّة الترجمة بأمثلة صريحة تصرح بغاية العناية على تصحيح الترجمة وإجادتها ونقدها في العصر العباسي، وكذا ردّ على ما قاله النقاد من خيانة المترجمين ، وأثبت في ضوء البراهين أمانة المترجمين وغاية حذرهم وحيطتهم والتزامهم الدقة، وكذا ردّ على ما يقوله النقاد من كون أغلبية المترجمين من غير المسلمين، وذكر المؤلف أن هذا القول خطأ تاريخي، فإسهام عدد ملموس من المسلمين في مجال الترجمة بيّن معلوم، وعلى رأسهم أبو سفيان بن بكر المقدسي ويوسف بن محمد النيسابوري وأبو زيد أحمد البلخي وأبو الحارث القمي، وأحمد الأسفرائي وطلحة النقي والبلاذري والفزاري وغيرهم، وردّ المؤلف على ما يقال أن نطاق العربية ضاق اليوم، وأثبت المؤلف أن العربية تقبل في كل عصر ما صلح من كلمات اللغات الأجنبية وأساليبها ومصطلحاتها، وهي الآن جديرة ومستعدة لأكثر من ذي قبل، ولكن العرب نائمون.

في الباب الخامس عشر بعض الملاحظات، ذكر فيه المؤلف ما أهمل مترجمو العصر العباسي من بعض الأمور المهمة، وتدخلت في التراجم أخطاء وزلات، ذكر المؤلف أن هناك لا يوجد كتاب خاص بالناحية النظرية لعملية الترجمة، وموضح لمشكلات الترجمة وأصولها، سوى بعض الإشارات لدى الأديب العباسي الجاحظ.

أما الباب السادس عشر ففيه تراجم أعلام المترجمين من حنين بن إسحاق وقسطا بن لوقا وجيش بن الحسن، والحراني وأصطفن وابن مطر، وإبراهيم بن الصلت، وأبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي وأيوب الرهاوي ويوحنا وابن المقفع والفضل بن نوبخت وعمر الطبري وموسى بن خالد وعباس الجوهري ويعقوب الكندي والبلاذري والفزاري ومنكة الهندي وابن دهن الهندي وجودر الهندي.

والباب السابع عشر حول "أهم معاهد الترجمة" ذكر فيه المؤلف أن بيوت الحكمة وخزائن الكتب والبيمارستانات لعبت دوراً كبيراً في تطوير حركة الترجمة، وخلال ذلك سلط الضوء على الأسباب المؤدية إلى قيام هذه المكتبات العلمية وأسباب ذكرها وطرق المعرفة بها، والأثر الذي خلفته في المجتمع الإسلامي آنذاك بغاية في الوضوح والتفصيل، ثم ذكر بيت الحكمة ودار كتب سابوربن أرد شير وبيت الحكمة التونسي وخزانة الحكمة الخاصة

بعلي بن يحيى المنجم، وخزانة الكتب الخاصة بالفتح بن خاقان والبيمارستانات.

والباب الثامن عشر الأخير يذكر نماذج الترجمة، ذكر فيه المؤلف أن النماذج لها دور هامّ في توضيح فنّ الترجمة وتفصيله وتحديد مميزاته وتعيين درجتِه، ثم أورد نماذج لترجمات العصر العباسي، وفي الختام ذكر المؤلف قدم حركة الترجمة وبلوغها أوجَها في العصر العباسي، ثم ذكر قائمة المصادر المختارة العربية والإنجليزية والفارسية والأردية ما يبلغ عددها حول مأة وخمسين، وهذا يدلّ على ما قام به من المحاولة الجادّة والجهد المتواصل لإعداد هذا البحث العلمي والتحليلي المتّزن، وهذه النظرة العابرة على محتويات الكتاب تدل على أن المؤلف عالج الموضوع بشمولية مغطّية لجميع جوانبه، والكتاب بظاهره وباطنه، بإناقة طباعته وموضوعه أجدر بأن يلتفت إليه الباحثون والمتذوقون، فجزى الله المؤلف على جهده وحسن عمله أحسن ما يجزي عباده الصالحين.



تقرير

الندوة الدولية على نجيب محفوظ و آثاره

- أ.د. أسلم الإصلاحي*

في الهند توجد معاهد علمية وجمعيات أدبية عديدة تعقد و تُنظم من حين لآخر ندوات ودورات ثقافية و علمية و أدبية حول الموضوعات المتعلقة بالأدب العربي و عباقرته الأفذاذ الذين أثروا اللغة العربية بكتاباتهم القيمة و من ضمن هذه الجهود و المساعي كانت الندوة الأدبية التي قد نظمها حاليا المعهد المركزي للدراسات الإنكليزية و اللغات الاجنبية الكائن بمدينة حيدرآباد التي قد حضرها عديد من الباحثين و الأكاديميين من مختلف أنحاء الهند والتي كان موضوعها شخيصة نجيب محفوظ الفائز بجائزة النوبيل في الآداب و معاصروه في القصة العربية. تم انعقاد هذه الندوة في الفترة ما بين ٢٤- ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٤ واستهلت فعاليات هذه الندوة بتلاوة

---

*أستاذ اللغة العربية، مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهى

آيات قرآنية رتلها السيد عبد الله القريشي الأزهري. و بعد ذلك رحب الأستاذ محسن العثماني مدير الندوة بالضيوف و المشاركين و عبر في كلماته الترحيبية عن تقديره و امتنانه على أن المثقفين و العارفين باللغة العربية قد لبوا نداءه و حضروا الندوة بعدد كبير. و هذا الأمر في الحقيقة قد حفزه على مزيد من الجد والكد في سبيل نشر اللغة العربية في الأرجاء المختلفة لبلاد الهند.

بعد الأستاذ محسن العثماني ألقى ضيف الشرف الدكتور خير الدين عبد اللطيف محمد سفير جمهورية مصر العربية لدى الهند كلمات افتتاحية أبدى فيها عن رغبته و فرحته للمشاركة فى هذه النشاطات العلمية و الأدبية اذ أنها تبرهن على سعة انتشار اللغة العربية في أقاليم العالم المختلفة و في هذا السياق إنه أيضا أبدى ابتهاجه أن موضوع الندوة يدور حول شخصية عبقرية تفتخر بها لا مصر فحسب بل البلدان العربية كلها. فنظرا لأهمية هذا الموضوع إنه أجل كافة ارتباطاته الرسمية و قبل دعوة الحضور إلى الندوة بدون توقف وفي أثناء خطابه أفاد الحضور بأنه متأثر للغاية بمدينة حيدرآباد و هي بالأخص بثقافتها الغنية و حضارتها العريقة وسكانها الطيبين الذين لهم سمعة واسعة في حسن الضيافة و كرم الحفاوة. واستطرد معالي السفير قائلا بأن العلاقات بين الهند و البلدان العربية عريقة منذ قديم الزمان و تشهد على ذلك الأقمشة التي كان يلف بها فراعنة مصر أجساد موتاهم. وهذا الأمر يدل على

أن الروابط التجارية و الثقافية كانت على ذروة الازدهار قبل مجيئ الاسلام. وكانت و لاتزال هذه الروابط تستمر و تنمو على مختلف الصعد. فمثلا في أيامنا هذه نقرأ في الكتب أن الاواصر السياسية كانت بين الزعيم الهندي الكبير المهاتما غاندي و البطل المصري العظيم سعد زغلول و ذلك لأن كليهما كانا يواجهان اضطهاد الاستعمار البريطاني و كانا يبذلان كافة جهودهم للاستخلاص من ربقة المستعمرين الأجانب. و مع هذا اعترف معالي السفير بأن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في الزمن الراهن ليست على المستوى المطلوب و لها أسباب عديدة و لا يليق هذا المكان للخوض في التفاصيل عنها. و في هذا الخصوص أشار معالي السفير إلى أنه يفرق بين الثقافة و الدبلوماسية و انه يؤمن بأن الثقافة لها جوانب متنوعة و أشكال مختلفة فلا يمكن لأحد أن يتجاهلها و ان قمنا بازدراء أهمية الثقافة نواجه أخطارا كثيرة و بناء على هذا لهذه الندوة في رأيه أهمية قصوى إذ أنه يعتبر المثقفين و المعلمين والأكاديمين مثل المهندسين الذين يشيدون الجسور بين الشعوب المختلفة و خاصة للمترجمين في هذا المضمار درجة عليا و لذلك لأن الترجمة عنده ليست عملية أدبية فحسب بل هي تعتبر أداة هامة لإرسال الثقافة والحضارة إلى جميع جهات المعمورة.

وفي سياق كلمة العولمة قال معالي السفير إن العولمة ليست من المصطلحات العصرية إذ أنها كانت توجد منذ قديم الزمان ولكن

الناس في الزمن الماضي لم يكونوا خائفين منها و ذلك لأن محاولة التغلب عن طريق العولمة لم تكن موجودة في زمن مضى فلا شك أن الصراع بين الثقافات كان يسود المجتمع الانساني إلا أن هذا الصراع لم يكن على حساب الثقافات الأخرى. العولمة في رأيه تمهد الطريق إلى مبدء المساوات بين الشعوب و إذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الناحية من العولمة نجد فيها منافع كثيرة للبشرية كافة.

فيما يتعلق بموضوع الندوة تكلم معالي السفير بالإسهاب عن نجيب محفوظ ومساهماته في الروايات العربية الحديثة و قال إن نجيب محفوظ علم شامخ كبير و هو من العباقرة الذين يدعمون ويرسون قواعد الحضارة والثقافة. وإنه أحاط في كتاباته بأكثر نواحي السيكولوجية الإنسانية و من ثمة أفكاره وآراءه تتسرب إلى أعماق القلوب والنفوس بمنتهى السهولة و في هذا السياق قال معالي السفير إن في تشكيل شخصيته الفكرية والأدبية نصيبا وافراً لكتابات نجيب محفوظ التي تنعكس فيها الظروف الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية التي تنفرد بها مدينة القاهرة فكل من رواياته يجد فيها روح القاهرة الحية و لمسة إنسانية تنم عن حب الأقوام و ب الشعوب و حب الإنسانية.

و بعد إلقاء الكلمات القيمة ترأس معالي السفير الجلسة الافتتاحية للندوة التي تم من خلالها إجراء مجلة " أقلام واعدة " بيد الشيخ بدر الحسن القاسمي الذي قال إن مثل هذه الجهود الأدبية

لمعهد الدراسات الإنكليزية و اللغات الأجنبية خير شاهد على أن جذور اللغة العربية في القارة الهندية عميقة للغاية و في هذه السياق أشار الشيخ القاسمي إلى أن لـ"دائرة المعارف" العثمانية الكائنة بمدنية حيدرآباد دورا كبيرا للحفاظ على التراث العربي القديم بحيث أنها قامت بطبع و نشر عديد من أمهات الكتب العربية وهكذا انقذتها من ذهابها أدراج الرياح .

بعد الشيخ القاسمي أنشد الدكتور جهانكير، الأستاذ المشارك في مركز الدراسات العربية بالمعهد المذكور قصيدة بالعربية أمام الحضور. كانت هذه القصيدة تتضمن ذكر مساعي زملاء الدكتور في إنجاح الندوة التي نحن بصددها. و بعد الدكتور جهانكير ألقى الدكتور إقبال حسين الأستاذ المشارك في المركز المذكور كلماته التي سلط فيها الضوء بالاختصار على تاريخ القصة في الأدب العربي . و حسب قوله تاريخ تطور القصة العربية بمعناها الحقيقي لا يمتد إلا على مئتي عام الماضية على وجه التقريب و مع هذا كله فانه أشار إلى أن المقامات فيها عديد من العناصر و المقومات للقصة العربية الحديثة و ذلك لأنها أيضاً تكشف النقاب عن العيوب الاجتماعية و الأخلاقية. و فيهذا الخصوص تطرق إلى ذكر "طوق الحمامة" للحي بن يقظان و قال إن مثل هذه القصص والحكايات تنم عن أن فن القصة في شكل من أشكالها كان موجوداً في التراث العربي القديم و لذلك نلاحظ أن الروائيين و القصاصيين في عصرنا

الحديث قد اختاروا في باديء ذي بدء أسلوب المقامات والأقاصيص القديمة و نسجوا قصصهم ورواياتهم على منوالها و سبق في هذا المضمار حسب رأي الدكتور إقبال لناصف اليازجي الذي ألف المقامات و مجمع البحرين و أحمد فارس الشدياق و عيسي بن هشام المويلحي و بعد هؤلاء الروائيين ظهر على منصة الرواية والقصة العربية كل من جرجي زيدان و نقولا حداد و فرح أنطون و أحمد حسين هيكل وقد أشار الدكتور إقبال إلىَ أن جرجي زيدان هو أول روائ عربي استفاد كثيرا من أدباء الغرب وبالأخص من روايات اسكارت و الجيل الذي قد أتى بعد الروائيين المذكورين آنفا قد أثار في كتاباتهم القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإقليمية والريفية والفكرية على رأسهم طاهر لاشين ، طه حسين ، عباس محمود عقاد ، يوسف السباعي ، لويس عوض ، عبد الرحمان الزرقاوي ، لطيف اياز ، يوسف ادريس ، ثناء الله ابراهيم ، نجيب أحمد الكيلاني ، علي أحمد باكثير و أمثالهم كثيرون .

قبل نهاية الجلسة الافتتاحية ألقى رئيس الجامعة الأستاذ في. جنيشان كلماته الرياسية التي عبر فيها عن فرحته البالغة على أن الندوة قد اشترك فيها الباحثون والأكاديميون من أكثر أربع عشرة جامعة هندية و هذا الأمر يثبت أن اللغة العربية أكثر قبولا وشيوعا في مختلف الولايات الهندية. و ما يتعلق بعلاقته مع العرب و ثقافتهم فانه أشار إلى أنه كانت له روابط متينة مع بعض الطلاب

المصريين عندما كان هو يواصل دراسته العلمية في جامعة بون الألمانية وكانت العلاقات بين الهند و مصر في اوج الازدهار بسبب كونهما عضوين بارزين في الحركة المعروفة بحركة دول الانحياز.

و استمر السيد غنيشان قائلا بأنه لاحظ أن العرب بوجه عام أكثر شغفا بالموسيقي الهندية و أن معلوماتهم عن الأفلام الهندية تدل على أنهم أكثر ميولا إلى الأفلام الهندية و بمقابل ذلك معلومات الهنود عن الحركات الثقافية و الموجات الفنية المصرية قليلة للغاية و من هذه الناحية مطالعتنا عن الآثار الأدبية لنجيب محفوظ تجبرنا على القول إننا محرومون من الاستفادة بأفكار أكبر الروائيين العرب ألا وهو نجيب محفوظ ومن هنا قد حان الوقت لنقل الآثار الأدبية العربية بما في ذلك روائع نجيب محفوظ إلى اللغات الهندية المختلفة .

وقبل نهاية الجلسة الافتتاحية قدم الدكتور السيد راشد نسيم كلمات الشكر و الامتنان إلى كافة المشاركين و الحضورو بالأخص إلى معالي السفير المصري الدكتور خير الدين عبد اللطيف محمد .

بعد الجلسة الأولى بكلمات الشيخ بدر الحسن القاسمي التي عبّر فيها عن أحاسيسه و مشاعره تجاه شخصية نجيب محفوظ وأعماله الأدبية. و في سياق كلامه اعترف الشيخ القاسمي بأن نجيب محفوظ بلا منازع رائد الفن القصصي و الروائي الحديث

وذلك لأنه قد صوّر في كتاباته الأوضاع الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية و لكن ما عدا كله قد أشار الشيخ القاسمي إلى أن نجيب محفوظ في معظم رواياته ركز عنايته على تصوير حياة الخونة و البغاة و أراد بذلك أن يهدم القيم الدينية الأصيلة التي يتميز بها المجتمع الإسلامي فحسب قوله رواية "أولاد حارتنا" جريمة هدفها الاستخفاف بالتعاليم الدينية الإسلامية و كذلك أشار الشيخ القاسمي إلى أن رواية نجيب محفوظ زاخرة بكلمات نابية سوقية يندى بذكره جبين الحياة ومثل هذه الأفكار للشيخ القاسمي قد أثار نقاشا حادا في صفوف المشاركين فقال البعض منهم أن الشيخ القاسمي لم يقصد بمحاضرته إلا الحط من قدر نجيب محفوظ و مكانته الأدبية و الفنية المعترفة لدى العالم كله و في هذا الخصوص قد أوضح بعض المشاركين أن الأدب ليس المطلوب منه إلا وضع الأنامل على مواطن الضعف و الخلل الموجود في المجتمع لكي يقوم بإصلاحه كل من له رغبة في تحسين الظروف و الأوضاع البشرية فإذا قمنا بتحليل كتابات نجيب محفوظ في ضوء هذه الحقيقة الباهرة لوجدنا أن نجيب محفوظ أقرب إلى الصدق و الحق في تصوير عيوب و مثالب المجتمع المصري في العصر الحديث.

وبعد الشيخ القاسمي جاء دور الدكتور شفيق الندوي أستاذ اللغة العربية و آدابها في الجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي الذي ألقى محاضرته بعنوان " مواقف دينية في روايات نجيب محفوظ"

وقد أبرز الدكتور الندوي في هذه المحاضرة اتجاهات نجيب محفوظ الدينية المنعكسة في أكثر كتاباته وتوصل إلى نتيجة أن نجيب محفوظ قد استهزأ و استخف بالقيم الإسلامية و المعتقدات الدينية في غالبية رواياته و ذلك لأنه حسب قول الدكتور الندوي يؤمن بأن انفجار العلوم الحديثة سيقضي على كافة الآثار الدينية وخير دليل على هذا رواية نجيب محفوظ " أولاد حارتنا" التي تثبت تفوق العلم على المبادئ الدينية التي تستقي جذورها من الوحي و الإلهام . وبعد الدكتور الندوي قدم عبد القادر مقالته المتعلقة بواحد من أكبر معاصري نجيب محفوظ ألا وهو الدكتور طه حسين و قد أشار الدكتور المذكور في مقالته هذه إلى أن هناك جوانب عديدة في كتابات طه حسين تساعد المتلقى على فهم روايات نجيب محفوظ وإثر الدكتور عبد القادر ألقى الدكتور جهانكير محاضرته التي قام فيها بتحليل قصة نجيب محفوظ المعنونة بخريطة الموت التي تحتوي عليها مجموعة قصة نجيب محفوظ " الفجر الكاذب" وأكد الدكتورجهانكير في هذه المحاضرة أن قصص نجيب محفوظ تنم عن أنه كان يقصد بها إصلاح العيوب الاجتماعية و المساؤي الأخلاقية التي كانت تسود المجتمع المصري في أواسط القرن العشرين .

وبدأت الجلسة الثالثة بمحاضرة الدكتور عبد الجميل خان الذي أثبت فيها أن نجيب محفوظ كان متأثرا بالتيار الشيوعي ومن

هنا بذل كل الجهد لنفخ روح الحرية و الاستقلال في الطبقة الكادحة من المجتمع. وفي هذا السياق أنه وضع حكايات و روايات تدل على سعة إطلاعه على الظروف السيئة التي كان يتجشمها المضطهدون و المعذبون في مصر و بوجه أخص في القاهرة.

وبعد الدكتور خان ألقى عبد الجبار كلماته بعنوان "محمود تيمور - أحد معاصري نجيب محفوظ و مساهمته في تطور الروايات" ثم جاء دور شمس الدين الجمالى الذي قدم مقالته التي كان يتضمن أكثر أجزاءها آراء الباحثين و الناقدين عن نجيب محفوظ و مساهمته في تطور الروايات العربية. و فيما يتعلق بمحاضرة الدكتورسي سعيد فكان عنوانها الأستاذ نجيب محفوظ في ضوء مجموعة قصصه المعروفة بـ "همس الجنون". و أوضح الدكتور المذكور في محاضرته أن جميع قصص نجيب محفوظ تقريبا تدل على أنه كان خبيرا بتقلبات و تغيرات مجتمعه ومن هنا نشاهد في قصصه ألوانا متنوعة لحياة الشعب المصري . فتنعكس فيها حياة الطبقة الوسطي القاطنة في مخلتف أحياء القاهرة بكل محاسنها و مثالبها فنجد فيها قضايا تتعلق بالحياة الجديدة و تعدد الزوجات و النزعات الجنسية و الطبقات الشعبية و تيارات الرأسمالية و الاشتراكية . إثر الدكتور سي سعيد قدم الدكتور عبد الرشيد من كلية الفاروق، كالى كوت كيرلا، مقالته التي كانت تتضمن دراسة نقدية حول حديث الصباح و المساء و بعد الدكتور

عبد الرشيد ألقى الباحث في المعهد المركزي للدراسات الإنكليزية واللغات الأجنبية و هو الأخ محمد أنظر محاضرته التي حاول فيها القاء الضوء على الجوانب الإيجابية لروايات نجيب محفوظ كما أوضح فيها أن نجيب محفوظ قد استفاد كثيرا من التراث الأدبي العربي القديم و بفضل براعته و ملكته الأدبية قد لفت أنظار العالم كله إلى الثقافة العربية بما في ذلك اللغة العربية و في نفس الجلسة قدم الباحثان السيد نوشاد عالم و سراج أحمد مقالتيهما اللتين نالتا الثناء و التقدير من قبل الحضور.

استهلت الجلسة الرابعة بمقالة الدكتور عبد الباري الأستاذ المتقاعد من جامعة علي جره المسلمة التي أكد فيها الدكتور المذكور أن نجيب محفوظ يمتلك عينا نافذة و ذهنا خارقا و نفسا طموحا و أسلوبا فائقا و صفاته هذه كلها تتبلور في معظم كتاباته. وبعد الدكتور عبد الباري قدم الدكتور منظور الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة كاشمير مقالته التي أوضح فيها مفهوم القومية لدى نجيب محفوظ و توصل إلى نتيجة أن لنجيب محفوظ دورا كبيرا في إيقاذ الوعي القومي و أكبر دليل على هذا مسرحيات نجيب محفوظ التاريخية و بوجه أخص كفاح الطيبة. وألقت بعد ذلك الأستاذة قمر النساء من قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية، حيدر آباد محاضرتها التي قامت فيها بتقييم مساهمة الدكتور طه حسين في مجال رواية و لكن قبل ذلك ألقت الضوء على المراحل المخلتفة

للدكتور طه حسين. وعقب الأستاذة المذكورة قدم الدكتور فيضان بيغ مقالته بعنوان "رواية نجيب محفوظ و المغزي الطائفي" و قد حاول الدكتور بيغ في محاضرته لفت أنظار الحضور إلى الدوافع السياسية التي حدت نجيب محفوظ بكتابة رواياته و قصصه كما أشار إلى أن الظروف والأوضاع التي ألف فيها نجيب محفوظ كتاباته كانت مضطربة قلقة و ثورية فكان من المستبعد لنجيب محفوظ أن يكون مصونا من أفكار الأحزاب السياسية التي كانت تسود المجتمع المصري في أواسط القرن الماضي. و في نفس الجلسة ألقى الدكتور ثناء الله الندوي الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، جامعة عليكره الإسلامية كلماته التي كانت تبرهن على أن نجيب محفوظ كان متأثرا للغاية بأفكار فلاسفة الغرب وخاصة بآراء تي ايس ايليت إذ هو يعتقد أن الغموض و الأسرار تحيط بحياتنا و تكنف أذهاننا فلا يستطيع أحد أن يقوم بحل المعضلات الفكرية و لأجل ذلك كان ولايزال الإنسان حائرا و مشدوها أمام الطبيعة الغامضة و هذا الجانب للحياة البشرية قد عني به فلاسفة العرب و أدباء هم منذ قديم الزمان. و يجدر بالذكر هنا أن محاضرة الدكتور ثناء الله كانت أصلا عن فلسفة الوجودية في الروايات العربية و روايات سهيل إدريس إلا أنه تطرق في أثناء الكلام إلى ذكر آراء نجيب محفوظ المتعلقة بفلسفة الوجودية و قال إن نجيب محفوظ كان متأثرا بفلسفة الوجودية كما يتضح من أكثر رواياته و لاسيما رواية "السمان و الخريف" و "اللص و الكلاب". و بعد الدكتور الندوي

قدم الدكتور أبو سفيان الاصلاحي مقالته بعنوان القاهرة الجديدة (دراسة نقدية) و ركز فيها عنايته على الجوانب السلبية الموجودة في الروايات السالفة الذكر و مع هذا كله لقد اعترف الدكتور المذكور بأن نجيب محفوظ بذل جهودا حثيثة لإبراز المساوئ الأخلاقية التي كانت تتصف بها القاهرة في العقدين الثالث و الرابع للقرن المنصرم. و فيما يتعلق بمقالة السيد محمد الهاشمي فهي كانت معنونة بـ "القضايا الاجتماعية في روايات نجيب محفوظ" و قد ركز فيها السيد الهاشمي عنايته على الروايتين الشهيرتين لنجيب محفوظ وهما "القاهرة الجديدة" و"خان الخليلي" و وصل إلى نتيجة ان نجيب محفوظ كان بارعا في رسم التفاصيل الدقيقة التي كانت يتميز بها المجتمع القاهري في وسط القرن الماضي وبعد السيد الهاشمي ألقى السيد شمس الدين محاضرته التي أثبت فيها أن نجيب محفوظ دقيق الملاحظة و واسع الإطلاع على التطورات و التقلبات التي كانت تمر بها الطبقة الوسطى لسكان القاهرة وأنه صادق وواقعي في تصوير المجتمع المصري وفي حين جاء دور محمد عبد الصمد العمري فانه قدم مقالته بعنوان " نجيب محفوظ و ثلاثيته " و قال إن ثلاثية نجيب محفوظ لها أهمية كبرى بين جميع روايات نجيب محفوظ إذ أنها تصور الصراعات الداخلية التي هي كانت تمتد على ثلاثة أجيال من القاهرة الجديدة و نشاهد فيها كيف كان المجتمع المصري يتعامل و يتفاعل مع التيارات الاجتماعية الحديثة.

الجلسة الخامسة قد بدأت بمقالة عبد المنعم على ابن على الشيباني المعنونة بـ "الموهبة العربية بين مسئولية الانتماء" وقد لفت فيها السيد الشيباني أنظار الحضور إلى أن العرب عندهم مواهب كثيرة فيجب علينا أن نستخدم هذه المواهب لتقوية جذورنا الثقافية والحضارية و في هذا السياق أشار إلى أن جائزة نوبيل بعض الأحيان تمنح لأسباب سياسية أكثر من كونها أدبية و ضرب في هذا الخصوص السيد الشيباني بعض الأمثلة فعلى حد قوله أنه هناك عديد من الأدباء و الشعراء العرب الذين يستحقون بجائزة نوبيل إلا أنهم محرومون منها لأسباب سياسية و من بينهم الشاعر الفلسطيني وشاعر المقاومة محمود درويش وبعد السيد الشيباني ألقى الدكتور حسان خان الأستاذ في قسم اللغة العربية و عميد كلية الأداب بجامعة بهوبال كلماته التي كانت تدور حول رواية نجيب محفوظ "الحب تحت المطر" و التي أوضح فيها الدكتور المذكور أن معظم روايات نجيب محفوظ تستهدف إبراز العيوب الاجتماعية وذلك انه كان يبغي و يسعى لإصلاح المجتمع المصري الذي كان يئن تحت نير الاستعمار البريطاني و لتحقيق هذا الهدف بذل كل الجهد و نجح إلى حد كبير في إثارة العواطف الوطنية وإيقاظ الوعي القومي . وبعد الأستاذ الدكتور إحسان قدمت الأستاذة عصمت مهدي مقالتها التي قد أحاطت فيها بجوانب روايات نجيب محفوظ المتعلقة بمختلف المدن المصرية و ثقافتها مثل الاسكندرية و القاهرة وأثبتت

الأستاذة المذكورة بجدارة أن نجيب محفوظ قد رسم صور الأمثال و المدن المصرية بمنتهى البراعة حتى تبدو للمتلقى هذه المدن و الأمثال نابضة بالحياة أحسن مثال على هذا القول رواية "زقاق المدق" التي نشاهد من خلالها الصفات البارزة التي تتميز بها الاحياء القديمة لمدينة القاهرة. وعقب الأستاذة عصمت مهدي ألقى الدكتور صلاح الدين مقالته بعنوان المنهج و الفكر في روايات نجيب محفوظ الواقعية أكد الدكتور صلاح الدين في مقالته أن نجيب محفوظ كان متأثرا بافكار "بلزاك" و"تشيخوف" و لأجل ذلك أنه كان يعتقد أن حل المشاكل المادية يكون في الفكرة الشيوعية و بناء على هذا الرأي حسب قول الدكتور المذكور نجيب محفوظ لا يؤيد تشكيل حكومة إسلامية ولذلك لأن العدالة الاجتماعية عنده لا و لن تتحقق تحت الحكومة الإسلامية وفي ختام هذه الجلسة قدم الأستاذ معين الاعظمي مقالته حول يوسف إدريس و إنجازاته الأدبية و حاول الأستاذ المذكور في مقالته أن يبيب اللثام عن الاتجاهات الأدبية و الثقافية والاجتماعية التي تأثر بها يوسف إدريس في أكثر رواياته و قصصه .

استهلت الجلسة السادسة بمقالة الأستاذ كيه محمد التي كانت تدور حول أحد معاصر نجيب محفوظ ألا وهو توفيق الحكيم و قد أشار الأستاذ المذكور في مقالته إلى أن توفيق الحكيم مثل نجيب محفوظ كان يريد استلفات أنظار الناس إلى التراث الأدبي العربي

القديم ومن هنا أن كليهما كانا سعة الإطلاع على ذخائر الأدب العربي القديم إذ أنهما استفاداً كثيرا من الحكايات و القصص الموجودة في أمهات الكتب العربية و بعد الأستاذ كيه محمد ألقى صاحب هذا السطور محاضرته حول " توفيق الحكيم في ضوء مسرحيتيه أهل الكهف" و أوضح فيها أن توفيق الحكيم لا تخلو مسرحياته من الأفكار التي تجبر الإنسانِ على التأمل و التفكر في مصير الإنسان و أزمته الذهنية و تتبلور هذه الأزمة بأسلوب أحسن في الشخصيات المذكورة في مسرحية أهل الكهف مثل مشلينيا و ابليخا و مرنوش و بيرسكا و بعد هذه المحاضرة ألقى الدكتور مصطفى شريف كلماته حول نجيب محفوظ و المراحل المختلفة لأفكاره و في هذه الكلمات أحاط الدكتور مصطفى بمختلف مراحل حياة نجيب محفوظ التي مر بها هذا الأديب العبقري بين النضج والكمال و عقب ذلك قام الدكتور شاد حسين بتحليل رواية نجيب محفوظ الشهيرة " بداية ونهاية " و حاول أن يثبت أن نجيب محفوظ كان يؤمن بأن العلم و التصوف على حدة لا يستطيعان حل المشاكل الإنسانية فمن الضروري المزج بينهما لإرساء دعائم الرخاء و الهدوء والأمان فلو عملت الإنسانية في ضوء هذه القاعدة لتتطور السعادة لكل ذي روح على سطح الأرض وجاء بعد ذلك دور الأخ نور الدين الذي ألقى مقالته حول " العلم الحديث في قصة نجيب محفوظ " و توصل إلى نتيجة أن العلم له أهمية قصوى عند

نجيب محفوظ بحيث أنه يعتبر العلم قنديل البشرية و كذلك يرى نجيب محفوظ أن العلم له درو كبير في إحياء التراث العربي القديم وبعد الأخ نور الدين قدم الأستاذ عبد المجيد من الجامعة العثمانية مقالته بعنوان " نجيب الكيلاني أحد معاصري لنجيب محفوظ" و قد أشار الأستاذ في هذه المقالة إلى أن نجيب الكيلاني كان غزير الإنتاج مثل نجيب محفوظ وله روايات عديدة أبرز فيها الجوانب المشرقة للتاريخ الاسلامي ومن الملاحظ أن نجيب الكيلاني قد استفاد من التاريخ الإسلامي فله روايات تلقي الضوء على الثقافات الإسلامية من جاكورتا إلى تركستان فعلى سبيل المثال نجيب كيلاني ألف روايات بعناوين "عذراء جاكورتا" و "ليالى تركستان" و "على اسوار دمشق" بعد الأستاذ عبد المجيد السيد ايس ايم هارون قدم مقالته حول " مكانة يوسف إدريس في القصة القصيرة" وحاول فيها الباحث المذكور أن يقارن بين يوسف ادريس و نجيب محفوظ ويثتب أن كلا العبقريين يحتلان مكانة بارزة في مضمار الروايات العربية الحديثة و في النهاية ألقت الدكتورة عائشة كمال مقالتها بعنوان " المرأة في القصة القصيرة " في هذه المقالة أنها قامت بتحليل أفكار نجيب محفوظ المتعلقة بقضايا المرأة .



THAQAFAT-UL-HIND : **Statement of ownership and other particulars.**

FORM IV

(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Rakesh Kumar
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Asstt. Editor's Name	:	Rizwanur Rahman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Rakesh Kumar, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Rakesh Kumar
Signature of Publisher

